تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(إضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : تفسير جوامع الجامع
المؤلف :
المحقق :
الناشر :
الطبعة :
عدد الأجزاء : ٢
مصدر الكتاب :
[ الكتاب ]

هذا الكتاب الإلكتروني من منشورات شبكة الكوثر الإسلامية في الإنترنت
www.al-kawthar.com/maktaba

بسمه تعالى

- موضوع اصلى : ٢٠٣٢ -

/ صفحة ١ /

تفسير جوامع الجامع للمفسر الكبير والمحقق النحرير الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره من أعلام القرن السادس الهجري الجزء الاول تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

/ صفحة ٢ /

شابك ٥ - ١٥٨ - ٤٧٠ - ٩٦٤ ٥ - ١٥٨ - ٤٧٠ - ISBN 964 جوامع الجامع ( ج ١ )
تأليف : المفسر الكبير الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الاسلامي الموضوع : تفسير عدد الاجزاء : ٣ أجزاء الطبعة : الاولى المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة التاريخ : ١٤١٨ هـ . القيمة : ١٥٦٠ تومان مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

/ صفحة ٣ /

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير من بعثه بالرسالة محمد ( صلى الله عليه وآله ) الطيبين الطاهرين . وبعد ، لا شك أن للقرآن دور بارز وفعال في حياة المسلمين ، إذ به اندكت قلاع الضلال وهدمت بيع المضلين ، وبه اهتدت الإنسانية إلى سبيلها الذي رسمته السماء ، ودعا إليه الأنبياء ، فكان من الطبيعي أن تبرز اهتمامات المسلمين له ، وتميل توجهاتهم إليه ، وأن يبالغوا في اهتمامهم به بحيث يقل مثيله في الديانات الاخر ، وينقطع نظيره في الكتب السماوية الاول . ومن أبرز اهتمامات المسلمين للقرآن هو خوض علمائهم الأعلام في ميدان التفسير ، لما لمسوا في كلماته من أسرار خفية ، وحقائق ثمينة تستحق أن تستجلى وتكشف للآخرين ، فطفق بعض يبحث في معاني سوره وآياته ، واعتكف آخرون يستجلي حقائقه من كلماته ، وانطلق ثالث يستخرج مفاهيمه وموضوعاته ، ثم عرضها على الناس بأوضح تعبير وأجلى بيان ، بالتدريس تارة وبالتصنيف اخرى ، فخلفوا خزانة ضخمة ضمت بين مطاويها ثروة علمية فخمة ، أغنت المكتبة الإسلامية عن حاجتها الى غيرها . ومن هؤلاء الأعلام أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي المفسر الذائع الصيت ، صاحب المؤلفات الفائقة ، والمصنفات الرائقة كما حكاه عنه الفاضل النوري ، ومن جملتها هذا الكتاب – الماثل بين يديك عزيزنا القارئ – الذي لا يقل



---

شهرة عن تفسيره الكبير " مجمع البيان " والصغير " الكاف الشاف " والذي جعله وسطا جامعا بينهما ، وأضاف إليه كل ذي فائدة وجدها في كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري بعد اطلاعه عليه ، فخرج كتابا جامعا بين فوائد هذه الكتب على وجه الاختصار كما صرح هو به في مقدمته . ونظرا لأهمية هذا الكتاب وما امتاز به ، وعدم وجود طبعة محققة وموثقة منه ، أقدمت مؤسستنا – كعادتها – على إخراجه بحلة جديدة ، وطبعه بطبعة أنيقة ، حاوية على موارد تفيد طلاب العلم وتنفع الباحثين ، ويمكن أن تكون موضع استفادة للمؤسسات والمراكز المعنية بهذا الفن . ونحن إذ نفخر أن نقدم هذا الكتاب بهذه الحلة القشيبة بأجزائها يهمنا أن نؤكد أننا بصدد الاهتمام بامهات كتب التراث الإسلامي ، والعمل على إخراجها ونشرها تباعا ، بلا كلل أو ملل ، خدمة للعلم والدين . وبالوقت الذي تقدم مؤسستنا هذا السفر القرآني الشريف الى هذه الامة تود أن تقدم شكرها وتقديرها لجميع الاخوة الأعزاء الذين بذلوا قصارى جهدهم في إنجاز هذا المشروع القيم ، فجزاهم الله تعالى خير جزاء المحسنين ، كما تدعو شبابنا الى الاهتمام به والتمسك بجوانبه في ظروف اشتدت الحاجة الى العودة الى الينابيع الصافية : القرآن الكريم ، والسنة الشريفة الصحيحة عن الرسول الأعظم ( صلى

الله عليه وآله ) وخلفائه الأئمة المعصومين ( عليهم السلام ) وصحبه المنتجبين ومن تابعهم على ذلك بإحسان ، من أجل إعلاء كلمة الحق دوما ودحض كلمة المبطلين . مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
/ صفحة ٥ /

(٣/١)

---

مقدمة التحقيق مقدمة التحقيق مقدمة التحقيق : بسم الله الرحمن الرحيم " كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء : على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام ، والإشارة للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء " . الحسين بن علي ( عليه السلام ) الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن ، وجعله كتابا ساطعا فيه تبيانا لكل شئ ، والصلاة والسلام على النبي الامي المكتوب اسمه في التوراة والانجيل أبي القاسم محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، وعلى آله الميامين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وبعد ، فقد مرت على الإنسانية حين من الدهر وهي تتخبط في الضلال وفوضى الأخلاق وتنازع الأهواء ، ثم أراد الله سبحانه لهذه الإنسانية التائهة أن ترقى بروح منه ، وتسعد بوحي من لدنه ، فبعث رسولا صادقا أمينا من عنده ، لا ينطق عن الهوى بل عن وحي يوحى ، فكانت البداية من غار بعيد عن مكة ، حيث لم يكن يسمع فيه غير جلال الصمت وهيبة التأمل ، ومن خلال هذا الصمت انصدع نداء " إقرأ " ، ومن ثنايا هذا التأمل ارتفع النور وانتشر ، ومن بطن هذا الغار كان إيذان فجر القرآن الحكيم .
فالقرآن كتاب الله لجميع البشرية ، والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل ، والخالد عبر العصور والأزمان ، إذ أن فيه نور لا يخمد ، ومواهب لا تنكد ، وعطايا
/ صفحة ٦ /

(٤/١)

---

لا تنفد ، فكما أنه الكتاب الرابط بين الخالق وخلقه ، فكان مبشرا للمؤمنين ومنذرا للكافرين ، كذلك هو المبين لأحكام الله وشرائعه ، فكان ذا بطون عديدة وتأويلات مختلفة ، ثم حث الناس على اقتفاء أثر هذه البطون واستجلاء حقائقها وبيانها للناس ، فقال عز من قائل : * ( أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها ) * ( ١ ) ، وقال عز اسمه : * ( أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلفا كثيرا ) * ( ٢ ) . ثم جاءت السنة النبوية الشريفة لتقرر هذا الحث وتدعو له ،

قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : " القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع " ( ٣ ) . وقال ( صلى الله عليه وآله ) أيضا : " إن أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء ، والنجاة يوم الحسرة ، والظل يوم الحرور ، والهدى يوم الضلالة ، فادرسوا القرآن ، فإنه كلام الرحمن ، وحرز من الشيطان ، ورجحان في الميزان " ( ٤ ) . إهتمام المسلمين بالقرآن : ولهذا اهتم المسلمون بالقرآن اهتماما بالغا منذ صدوره من المشرع الحكيم الى رسوله الكريم ، واستمر بعد وفاته قرنا بعد قرن وحتى عصرنا الحاضر ، بحيث لم يشهد تاريخ الديانات والشرائع لها مثيلا ولا نظيرا ، ذلك أنه ما حظي كتاب في تاريخ البشرية بمثل ما حظي به القرآن العظيم عناية ورعاية من حيث : جمعه وحفظه ، وكتابة آياته ، وإعراب كلماته وضبط قراءاته ، وشرح مفرداته ، وتفسير آياته ، وبيان بديعه ، وإظهار إعجازه ، واستخراج موضوعاته ، وترجمة آياته وكلماته ، وبيان أحكامه ، وتفصيل محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ، . . . الى غير ذلك .

* ( هامش ) *

( ١ ) محمد : ٢٤ .

( ٢ ) النساء : ٨٢ .

( ٣ ) جامع الأخبار للسبزواري : ص ١١٤ ، مستدرك الحاكم : ج ١ ص ٥٥٥ .

( ٤ ) أمالي الطوسي : ج ١ ص ٥ ، جامع الأخبار للسبزواري : ص ١١٥ . ( * )

/ صفحة ٧ /



---

ومن أهم ما حظي به القرآن الكريم هو تفسير آياته ، فقد استقطب هذا الفن قسطا وافرا من اهتمام علماء المسلمين ، نظرا لدوره الكبير في مساعدته على فهم معاني القرآن الدقيقة ومفاهيمه العميقة وبسطها للناس وبالتالي تطبيقها على مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية ، ولهذا اندفع كل من اوتي حظا من الثقافة والفكر القرآني من المسلمين إلى خوض هذا الميدان الشريف بهمة وإلاخلاص ، مشمرين عن ساعد الجد لاستجلاء حقائقه واستخراج جواهره ، بالتدريس تارة وبالتأليف اخرى ، فطلعوا على الناس بمكتبة قرآنية عامرة لا تقدر بثمن . اهتمام الإمامية بالتفسير : ولم يكن اهتمام الإمامية يقل عن اهتمام جمهور المسلمين في القرآن وتفسيره ، فقد خاض علماؤهم وفضلاؤهم في هذا الميدان بجد وإقدام ومنذ صدور الإسلام ، فقاموا بتأليف كتب التفسير ، وما زالوا حتى عصرنا الحاضر ، بل كثير منهم لم يكتف بتأليف تفسير واحد حتى ضم إليه آخر ( ١ ) ، فطلعوا على الجمهور بمكتبة قرآنية زاخرة أثارت دهشة الباحثين ، واستجلبت ثناء المتتبعين ، ذلك لأنهم قد أخذوا

علوم القرآن وتبيين معانيه عن أئمتهم ( عليهم السلام ) وكتبوا على هداهم . والمتتبع لهذه المؤلفات يجد أن اهتمام الإمامية بتفسير القرآن مضى على شكلين : الأول : التفسير بالأثر والرواية ، وكأنهم كانوا يجتنبون عن تفسير القرآن تفسيرا تحليليا احترازا من وصمة التفسير بالرأي التي جاءت بعض الأخبار في لعنه ( ٢ ) ، ومن نماذجه : ( ١ ) تفسير علي بن ابراهيم القمي ( ٢ ) تفسير محمد بن مسعود العياشي ( ٣ ) تفسير البرهان ( ٤ ) تفسير نور الثقلين ( ٥ ) تفسير كنز الدقائق .

الثاني : التفسير العلمي التحليلي ، منضما إليه ما روي عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) والأئمة * ( هامش ) *

( ١ ) ذكر أسماء بعض هؤلاء الأعلام الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة : ج ٤ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ فراجع .

( ٢ ) انظر ميزان الحكمة : ج ٨ ص ٩٥ – ٩٦ . ( * )



---



الأطهار ( عليهم السلام ) ، ولعل الباعث الى ظهور هذا الشكل من التفسير هو الإحساس بالحاجة إليه ، نظرا للتطور الفكري الحاصل ، وحاجة الناس الى معان ومفاهيم جديدة تتناسب ومتطلبات الوضع الثقافي الجديد ، كل ذلك بسبب احتكاكهم بالامم الاخرى من جهة ، وبروز ضرورات اجتماعية وفكرية جديدة الذي كان لها الأثر الفاعل في تنمية الذوق العام من جهة اخرى . ولعل أول من خاض هذا المضمار السيد الشريف الرضي ، فألف كتابه " حقائق التأويل " في عشرين جزءا ، ثم أخوه الشريف علم الهدى في أماليه وسماه بـ " الغرر والدرر " في جزئين ، ثم من بعدهما الشيخ الطوسي فألف " التبيان " ( ١ ) ، ثم صار من بعد ذلك منهجا متبعا وشائعا في كتب التفسير .

إضافة الى ذلك ، فإن هذا التطور الفكري والثقافي الحاصل عند المسلمين كان له الأثر الذي دعا علماء الإمامية الى إضافة مناهج جديدة الى تفاسيرهم ، فأدخلوا فيها : القراءات ، والإعراب ، وشرح المفردات ، وأسباب النزول ، وتفصيل القصص ، وبيان الأحكام ، ورد مطاعن المبطلين ، والاستدلال للمذهب ، وغير ذلك . وفيما يلي نذكر بعض أعلام المفسرين من الإمامية ، ممن ذاع في الأمصار صيته وشاع عند المسلمين اسمه ، على سبيل المثال لا الحصر ، وإلا فسنحتاج الى مجلدات ضخمة : ١ – سعيد بن جبير التابعي الشهيد للتشيع ، قتله الحجاج الثقفي عام ٩٥ هـ ، وقصته معروفة ، ذكر تفسيره ابن النديم في " الفهرست " والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٢ – عطية بن سعيد ( أو سعد ) العوفي الجدلي الكوفي ، عده البرقي والشيخ من أصحاب الباقر ( عليه

السلام ) ، له تفسير في خمسة أجزاء ، ينقل عنه أبان بن تغلب وزياد بن المنذر كما ذكره النجاشي في ترجمتهما ، توفي عام ١١١ هـ .

* ( هامش ) *

( ١ ) وقد قامت مؤسستنا بتحقيقه وطبعه في حلة قشيبة ، خرج بعض أجزائه الى النور .(* )

/ صفحة ٩ /

*(٧/١)*

---

٣ – السدي الكبير اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي التابعي الكوفي ، من أصحاب السجاد والباقر والصادق ( عليهم السلام ) ، ذكره الشيخ في رجاله قائلا : المفسر الكوفي . وقال السيوطي في الإتقان : إن تفسير إسماعيل السدي من أمثل التفاسير . توفي عام ١٢٧ هـ . ٤ – جابر بن يزيد الجعفي ، لقي الباقر والصادق ( عليهما السلام ) ، ذكره الشيخ في " الفهرست " : أن له كتاب التفسير . توفي عام ١٢٨ هـ . ٥ – زيد بن أسلم العدوي ، عده البرقي والشيخ في رجاله أيضا من أصحاب السجاد والصادق ( عليهما السلام ) ، وذكر ابن النديم : أن له كتاب التفسير . توفي عام ١١٩ هـ ، وقيل : ١٢٤ هـ . ٦ – أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري ، لقي السجاد والباقر والصادق ( عليهم السلام ) وروى عنهم ، وكانت له عندهم منزلة وقدر ، ذكر النجاشي : أن له كتبا ، منها تفسير " غريب القرآن " . توفي عام ١٤١ هـ . ٧ – محمد بن السائب الكلبي ، من أصحاب الباقر والصادق ( عليهما السلام ) ، وهو والد أبي المنذر هشام الكلبي النسابة المعروف ، ترجمه ابن النديم وذكر تفسيره وقال : هو تفسير كبير . توفي عام ١٤٦ هـ . ٨ – أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية ، لقي السجاد والباقر والصادق والكاظم ( عليهم السلام ) وروى عنهم ، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ، ذكر النجاشي : أن له كتاب تفسير القرآن . توفي عام ١٥٠ هـ . ٩ – زياد بن المنذر ، أبو الجارود الهمداني ، من أصحاب الباقر ( عليه السلام ) ، وروى عن الصادق ( عليه السلام ) ، ذكر الشيخ في " الفهرست " : أن له كتاب تفسير عن الباقر ( عليه السلام ) . توفي بعد عام ١٥٠ هـ . ١٠ – الحسن بن واقد ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق ( عليه السلام ) ، ذكر ابن النديم في " الفهرست " : أن له كتاب التفسير . ١١ – أبو جنادة الحصين بن المخارق السلولي ، عده الشيخ من أصحاب

/ صفحة ١٠ /

*(٨/١)*

---

الصادق والكاظم ( عليهما السلام ) ، ذكر النجاشي : أن له كتاب التفسير والقراءات وقال : هو كتاب كبير . ١٢ – وهيب بن حفص ، أبو علي الجريري ، روى عن الصادق والكاظم ( عليهما السلام ) ، وكان ثقة ، ذكر النجاشي : أن له كتبا ، منها كتاب تفسير القرآن . ١٣ – عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني ، ترجمه الذهبي وأطرى عليه ووثقه وقال : ونقموا عليه التشيع . عده الشيخ من أصحاب الصادق ( عليه السلام ) ، له مصنفات ، منها كتاب التفسير ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " وقال : إن تفسيره هذا من أقدم تفاسيرنا الموجودة في العالم ، ويعد من مفاخر الشيعة وآثارها الخالدة الباقية حتى اليوم ، فإن سائر التفاسير المؤلفة لأصحابنا قبل هذا التفسير ، كتفسير سعيد بن جبير ، وتفسير السدي ، وتفسير محمد بن السائب الكلبي ، وتفسير أبي بصير ، وتفسير أبي الجارود ، وتفسير جابر بن يزيد الجعفي ، وتفسير أبي حمزة الثمالي ، وغيرها من تفاسير الأصحاب السابقة عليه كلها مما لم نطلع على وجود عينها في عصرنا هذا . ١٤ – الحسن بن محبوب الكوفي ، روى عن الرضا ( عليه السلام ) ، وكان جليل القدر ، ذكر ابن النديم : أن له كتاب التفسير . توفي عام ٢٢٤ هـ . ١٥ – الحسن بن علي بن فضال الكوفي ، عده الشيخ والبرقي من أصحاب الرضا ( عليه السلام ) خصيصا به ، وكان جليل القدر ، ذكر ابن النديم : أن له كتاب التفسير . توفي عام ٢٢٤ هـ . ١٦ – الحسن بن سعيد الأهوازي ، عده الشيخ من أصحاب الرضا ( عليه السلام ) ، شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنفة ، منها كتاب تفسير القرآن ، ذكره النجاشي في رجاله . ١٧ – محمد بن خالد البرقي الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الرضا والجواد ( عليهما السلام ) ، ذكر النجاشي : أن له كتبا منها كتاب التفسير .

١٨ – عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي البصري ، شيخ البصرة ، ذكره



---

النجاشي من أصحاب الباقر ( عليه السلام ) وقال : وله كتب منها كتاب التفسير ، وكتاب القراءات ، وكتاب ما نزل فيه من القرآن . قيل : توفي عام ٢٣٢ هـ . ١٩ – محمد بن العباس بن عيسى ، عده الشيخ في رجاله في من لم يرو عن الأئمة ( عليهم السلام ) ، وذكره النجاشي وقال : له كتب ، منها كتاب التفسير . ٢٠ – علي بن الحسن بن فضال ، كان فقيه أصحابنا بالكوفة وثقتهم ووجههم ، وكان كثير العلم ، عده الشيخ من أصحاب الهادي والعسكري ( عليهما السلام ) ، ذكر النجاشي في رجاله والشيخ في " الفهرست " : أن له كتبا كثيرة ، منها كتاب التفسير . توفي عام ٢٢٤ هـ . ٢١ – أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، صاحب " المحاسن " وهو مشتمل على عدة كتب ، منها كتاب التفسير والتأويل ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد والهادي ( عليهما

السلام ) ، وذكر في " الفهرست " : أنه صنف كتبا ، منها كتاب التفسير . توفي عام ٢٧٤ هـ ، وقيل : ٢٨٠ هـ . ٢٢ – محمد بن أورمة القمي ، عده الشيخ في من لم يرو عن الأئمة ( عليهم السلام ) ، ذكره النجاشي في رجاله وقال : له كتب ، منها كتاب تفسير القرآن . ٢٣ – علي بن ابراهيم بن هاشم القمي ، استاذ الكليني ، عاصر الإمام العسكري ( عليه السلام ) ، وكان ثقة ثبتا معتمدا ، ذكر الشيخ في " الفهرست " والنجاشي في رجاله : أن له كتبا ، منها كتاب التفسير . وكان قد بقي حيا الى عام ٣٠٧ هـ . ٢٤ – علي بن الحسين بن بابويه القمي ، فقيه ، جليل ، ثقة ، ذكره الشيخ في باب من لم يرو عن الأئمة ، وذكره في " الفهرست " والنجاشي في رجاله : أن له كتبا كثيرة ، منها كتاب التفسير . توفي عام ٣٢٩ هـ . ٢٥ – محمد بن مسعود السمرقندي العياشي ، من مشايخ الكشي ، ثقة وعين من عيون هذه الطائفة ، قال الشيخ في " الفهرست " : إن له كتبا كثيرة تزيد على مائتي مصنف ، منها كتاب التفسير . ٢٦ – محمد بن ابراهيم الكاتب النعماني ، من تلامذة الكليني ، شيخ من



---



أصحابنا ، عظيم القدر ، ذكره الحر العاملي في " أمل الآمل " وقال : من مؤلفاته تفسير القرآن ، رأيت قطعة منه . ٢٧ – محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد شيخ القميين وفقيههم ووجههم ، ذكر النجاشي : أن له كتبا ، منها كتاب تفسير القرآن . ٢٨ – محمد بن أحمد بن ابراهيم الصابوني ، من قدماء أصحابنا وفقهائهم ، كان زيديا ثم عاد إلينا ، عده الشيخ من أصحاب الهادي ( عليه السلام ) ، ذكر النجاشي كتبه وعد منها تفسير معاني القرآن . ٢٩ – أبو منصور الصرام ، من جلة المتكلمين من أهل نيسابور ، وكان رئيسا مقدما ، له كتب كثيرة ، منها كتاب تفسير القرآن ، ذكره الشيخ في " الفهرست " وقال : وهو تفسير كبير حسن . ٣٠ – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، نزيل الري ، من وجوه الطائفة وفقهائها ، كان جليل القدر ، ناقدا للأخبار ، ذكر الشيخ في " الفهرست " : أن له كتبا كثيرة نحو من ثلاثمائة مصنفا ، وعد منها كتاب التفسير ، وقد ذكر النجاشي فهرس كتبه . توفي عام ٣٨١ هـ . ٣١ – الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، صنف كتبا عديدة ، منها في علوم القرآن ، ذكرها تلميذه النجاشي في رجاله . توفي عام ٤١٣ هـ . ٣٢ – الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ، نقيب العلويين ببغداد ، له كتب عدها النجاشي في رجاله ، وله معاني القرآن ذكرها ابن شهر آشوب في " معالم العلماء " وقال : يتعذر وجود مثله . توفي عام ٤٠٦ هـ . ٣٣ – السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين بن موسى ، حاز من العلوم ما لم يحز أحد في زمانه ،

عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا ، وهو من المكثرين في التأليف حول القرآن وتفسيره ، ذكرها النجاشي في رجاله . توفي عام ٤٣٦ هـ . ٣٤ – الشيخ الطوسي محمد بن الحسن شيخ الطائفة ، جليل القدر ، عظيم

/ صفحة ١٣ /



---

المنزلة ، أشهر من أن يعرف ، له " التبيان " في تفسير القرآن . توفي عام ٤٦٠ هـ . ٣٥ – اسماعيل بن علي بن الحسين السمان ، المعاصر للسيد المرتضى ، مفسر ، ثقة ، له " البستان في تفسير القرآن " في عشر مجلدات ، ذكره الشيخ منتجب الدين في " الفهرست " . ٣٦ – محمد بن علي الفتال النيسابوري ، ثقة ، ذكره الشيخ منتجب الدين بصاحب التفسير . ٣٧ – محمد بن الحسن الفتال النيسابوري ، ذكره ابن شهر آشوب في " معالم العلماء " ، صاحب " روضة الواعظين " و " التنوير في معاني التفسير " . ٣٨ – الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي – مؤلف هذا الكتاب – من أكابر علماء الإمامية ومفسريهم ، وفضله أشهر من أن يوصف . توفي عام ٥٤٨ هـ . ٣٩ – فضل الله بن علي الراوندي الحسني ، علامة زمانه ، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب ، له كتاب تفسير ، ذكره الشيخ منتجب الدين في " الفهرست "

وقال : شاهدته وقرأت بعضه عليه . وفي " تذكرة المتبحرين " : من مؤلفاته " الكافي في التفسير " ذكره العلامة في إجازته لبني زهرة . ٤٠ – أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي الرازي ، عالم ، واعظ ، مفسر ، له تصانيف ، منها تفسيره المسمى بـ " روض الجنان في تفسير القرآن " في عشرين مجلدا ، ذكره الشيخ منتجب الدين في " الفهرست " ، وابن شهر آشوب في " معالم العلماء " . ٤١ – قطب الدين سعيد بن هبة الراوندي ، فقيه ، عين ، ثقة ، له تصانيف عديدة ، منها " خلاصة التفاسير " في عشر مجلدات ، وتفسير القرآن في مجلدين ، و " فقه القرآن في بيان آيات الأحكام " أيضا في مجلدين . توفي عام ٥٧٣ هـ . ٤٢ – محمد بن هارون المعروف والده بالكال ، فاضل ، جليل ، فقيه ، له كتب منها : " مختصر التبيان في تفسير القرآن " و " متشابه القرآن " و " اللحن الخفي واللحن الجلي " ، ذكره الحر العاملي في " أمل الآمل " . توفي عام ٥٩٧ هـ .

/ صفحة ١٤ /



---

٤٣ – محمد بن منصور بن إدريس العجلي الحلي ، فاضل ، فقيه ، شيخ الفقهاء في الحلة ، صاحب " السرائر " وغيرها ، له " مختصر التبيان " ذكره الخوانساري في " روضات الجنات " ، والقمي في " الكنى والألقاب " . توفي عام ٥٩٨ هـ . ٤٤ – محمد بن أبي الخير الحمداني ، عالم ، مفسر ، واعظ ، له كتب ، منها : " مفتاح التفسير " و " دلائل القرآن " وغيرهما ، ذكره الشيخ منتجب الدين في " الفهرست " . ٤٥ – علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلي ، عالم ، فاضل ، زاهد ، فقيه ، وهو أشهر من أن يذكر ، له مصنفات كثيرة ، منها " سعد السعود " في تفسير آيات الذكر ، ذكره الحر العاملي في " أمل الآمل " . توفي عام ٦٦٤ هـ . ٤٦ – أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلي ، من مشايخ العلامة وابن داود ، فاضل ، مجتهد ، ورع ، له مصنفات ، منها " شواهد القرآن " مجلدان ، ذكره ابن داود في رجاله . توفي عام ٦٧٣ هـ . ٤٧ – العلامة الحلي الحسن بن يوسف مطهر ، وهو أظهر من أن يعرف ، صاحب المصنفات الكثيرة والمختلفة ، وله في مجال التفسير مؤلفات عديدة ، منها " نهج الإيمان في تفسير القرآن " وهو ملخص الكشاف والتبيان وغيرهما ، و " القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " كما ذكره هو ( قدس سره ) في خلاصته . توفي عام ٧٢٦ هـ . ٤٨ – عبد الرزاق أحمد الكاشي ، فاضل ، عارف ، حكيم ، معاصر للعلامة ، له مصنفات عديدة ، منها " السراج الوهاج في تفسير القرآن " و " تأويلات القرآن " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ٧٣٠ هـ ، وقيل : ٧٣٥ هـ . ٤٩ – محمد بن محمد الرازي البويهي ، تلميذ العلامة ، واستاذ الشهيد الأول ، فاضل ، عالم ، مفسر ، له تفسيران : " تحفة الأشراف " وهو تفسير كبير ، و " بحر الأصداف " . توفي عام ٧٦٦ هـ . ٥٠ – حيدر بن علي بن حيدر الحسيني الآملي ، صاحب تفسير " المحيط



---

الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " وقال : رأيته في الخزانة الغروية ، ثم ذكر : أن له ثلاث تفاسير اخر : " التأويلات " و " جامع الأسرار " و " منتخب التأويل " . ٥١ – أبو الفضل بن يوسف الديملي الجيلاني ، فاضل ، عالم ، مفسر ، له تصانيف ، منها تفسير القرآن في مجلدين ضخمين ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٥٢ – الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلي ، تلميذ الشهيد الأول ، عالم ، فقيه ، محقق ، مفسر ، له مصنفات عديدة ، منها تفسير " مغمضات القرآن " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ٨٢٦ هـ . ٥٣ – الحسن بن محمد بن الحسين الاسترآبادي ، تلميذ الفاضل المقداد ، فاضل ، عالم ، له كتب ، منها " معارج السؤول ومدارج المأمول " في تفسير آيات الأحكام ، ذكره

الشيخ آقا بزرك في " الضياء اللامع " . ٥٤ – الشيخ عفيف الدين طيفور بن سراج الدين جنيد ، واعظ ، مفسر ، له تفسير اقتصر على الأحاديث المروية عن الأئمة ( عليهم السلام ) ، قد فرغ منه عام ٨٧٦ هـ ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٥٥ – المولى حسين بن علي الواعظ الكاشفي ، صاحب " جواهر التفسير لتحفة الأمير " ويقال له : " العروس " أيضا ، و " المواهب العلية " . توفي عام ٩١٠ هـ . ٥٦ – المولى حسين بن الخواجة شرف الدين الأردبيلي المعروف بالالهي ، فاضل ، عالم ، متبحر ، له تفسير كبير لتمام القرآن الكريم في مجلدين ، يسمى بـ " تفسير الالهي " ، وقد يسمى بـ " تفسير الأردبيلي " ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " ، والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ٩٥٠ هـ . ٥٧ – علم النجفي ابن سيف بن منصور الحلي ، فاضل ، عالم ، صاحب " كنز الفوائد " وهو المنتخب من كتاب " تأويل الآيات الباهرة " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " إحياء الداثر " . ٥٨ – أبو المحاسن الحسين بن الحسن الجرجاني ، محدث ، مفسر ، من



---

مشاهي

ر

/ صفحة ١٦ /

الإمامية في القرن العاشر ، صاحب " جلاء الأذهان في تفسير القرآن " ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " وقال : هو كبير حسن الفوائد . ٥٩ – المقدس الأردبيلي أحمد بن محمد النجفي ، عالم ، فاضل ، فقيه ، ثقة ، جليل القدر ، له مؤلفات جيدة ، منها " زبدة البيان في شرح آيات أحكام القرآن " ، ذكره الحر العاملي في " أمل الآمل " والسيد التفريشي في رجاله . توفي عام ٩٩٣ هـ . ٦٠ – غياث الدين الزواري ، المعاصر للمحقق الكركي ، فاضل ، مفسر ، ينسب إليه تفسير " گازر " المعروف . ذكره الشيخ آقا بزرك في كتبه . ٦١ – الأمير أبو الفتح بن محمد الحسيني الجرجاني ، فاضل ، شاعر ، مفسر ، صاحب " تفسير شاهي " وهو تفسير لآيات الأحكام في مجلد ضخم ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ٩٧٦ هـ . ٦٢ – محمد بن علي بن ابراهيم الاسترآبادي ، عالم ، فاضل ، ثقة ، محقق في الرجال والرواية والتفسير ، ذكره السيد التفريشي في رجاله وقال : له كتب جيدة ، منها كتاب شرح آيات الأحكام . توفي عام ١٠٣٦ هـ . ٦٣ – بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي ، عالم ، ثقة ، جليل القدر ، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان ، صاحب المصنفات ، منها " العروة الوثقى في تفسير القرآن " و " عين الحياة " وغيرهما ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " . توفي عام ١٠٣٠ هـ ، وقيل : ١٠٣٥ هـ . ٦٤ – الشيخ جواد بن سعيد بن جواد الكاظمي ، تلميذ الشيخ البهائي ، فاضل ، عالم ، جليل القدر

، له كتب ، منها " مسالك الأفهام في شرح آيات الأحكام " ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " .
٦٥ – صدر المتألهين محمد بن ابراهيم الشيرازي ، وهو أشهر من أن يوصف ، صاحب المصنفات ، منها التفاسير العديدة ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " . توفي عام ١٠٥٠ هـ .
/ صفحة ١٧ /

*(١٥/١)*

---

٦٦ – المولى محمد رضا بن عبد الحسين النصيري الطوسي ، محدث ، مفسر مشهور ، صاحب " تفسير الأئمة لهداية الامة " في ثلاثين مجلدا ، و " كشف الآيات " وغيرهما ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٦٧ – المولى عبد الوحيد بن نعمة الله الواعظ الاسترآبادي ، تلميذ الشيخ البهائي ، فاضل ، عالم ، فقيه ، مفسر ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، منها كتاب " أسرار القرآن في تفسير الفرقان " ، ذكره صاحب " رياض العلماء " . ٦٨ – الشيخ فخر الدين بن محمد بن علي بن طريح الرماحي النجفي المعروف بالطريحي ، فاضل ، عالم ، جليل ، صاحب المصنفات العديدة ، منها " كشف غوامض القرآن " و " غريب القرآن " ، ذكرها صاحب " رياض العلماء " . توفي عام ١٠٨٥ هـ . ٦٩ – المولى تاج الدين الحسن بن محمد الإصفهاني ، والد الفاضل الهندي صاحب " كشف اللثام " ، فاضل ، عالم ، له " البحر المواج في تفسير القرآن " ، ذكره صاحب الروضات ، والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ١٠٨٥ هـ . ٧٠ – المولى محمد بن مرتضى المشهور بالفيض الكاشاني ، محدث ، فاضل ، فقيه ، صاحب الكتب العديدة ، منها التفاسير الثلاثة المشهورة : " الصافي " و " المصفى " و " الأصفى " ، ذكرها الحر العاملي في " أمل الآمل " والأفندي في " رياض العلماء " . توفي عام ١٠٩١ هـ . ٧١ – الشيخ عبد علي الحويزي ، استاذ المحدث الجزائري ، عالم ، محدث ، له كتب ، منها تفسير القرآن على هدى روايات أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) ، وهو من المجامع الكبيرة للتفسير بالأثر ، ذكره الشيخ الحر العاملي في " أمل الآمل " . ٧٢ – السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني ، فاضل ، عالم ، عارف بالتفسير والعربية والرجال ، صاحب المؤلفات الغزيرة والمصنفات الكثيرة ، منها " البرهان في تفسير القرآن " مشتمل على أخبار أهل البيت ( عليهم السلام ) ، و " كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن " وهو كبير أيضا ، ذكره الحر العاملي

*(١٦/١)*

---

في " أمل
/ صفحة ١٨ /
الآمل " ، والأفندي في " رياض العلماء " . توفي عام ١١٠٧ هـ أو ١١٠٩ هـ . ٧٣ – السيد نعمة الله بن عبد الله الحسيني الموسوي الجزائري ، فقيه ، محدث ، أديب ، له كتب عديدة ، منها " العقود والمرجان في تفسير القرآن " في ثلاث مجلدات ، وله أيضا تفسير للقرآن كتبه على هامش القرآن يقرب من سبعين ألف بيت ، ذكره الأفندي في " رياض العلماء " ، والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ١١١٢ هـ . ٧٤ – محمد اسماعيل بن محمد باقر الإصفهاني الخاتون آبادي ، فاضل ، مفسر ، كان مدرسا في الجامع العباسي بإصفهان ، له كتاب تفسير كبير من أربعة عشر مجلدا ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " عن " تذكرة القبور " للجزي . توفي عام ١١١٦ هـ . ٧٥ – محمد بن محمد رضا بن اسماعيل المشهدي ، فاضل ، عالم ، فقيه ، مفسر ، صاحب " كنز الدقائق " في تفسير القرآن ، ذكره الخوانساري في " روضات الجنات " وقال : كتاب كبير في التفسير بأحاديث أهل بيت العصمة ( عليهم السلام ) . توفي عام ١١٢٥ هـ .
٧٦ – علي بن الحسين العاملي ، فاضل ، نحوي ، مفسر ، له كتب ، منها " الوجيز في تفسير القرآن العزيز " ، وهو تفسير مزجي نافع كاف في معرفة ما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب واختلاف القراءات ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٧٧ – أحمد بن الحسن بن علي الحر العاملي ، أخو الشيخ الحر العاملي المعروف ، فاضل ، عارف بالتواريخ ، له كتاب تفسير القرآن ، ذكره أخوه في " أمل الآمل " . ٧٨ – المولى أبو الحسن بن الشيخ محمد طاهر الفتوني النباطي العاملي ، من أجداد صاحب " الجواهر " من طرف امه ، فاضل ، عالم ، مفسر ، له " مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن " وقد يقال : " مشكاة الأنوار " ، ذكره الشيخ آقا
/ صفحة ١٩ /



---

بزرك في " الذريعة " وقال : هو تفسير جليل . ٧٩ – عبد الله الأفندي ابن عيسى التبريزي ، جليل القدر ، رفيع المنزلة عند السلطان العثماني آنذاك ، وكان يخاطبه الملك تعظيما وتكريما له بالأفندي ، فاشتهر به من بعد ، صاحب " رياض العلماء " و " الأمان من النيران في تفسير القرآن " ، ذكره الخوانساري في " روضات الجنات " ، والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٨٠ – المولى محمد بن علي النجار التستري ، من تلاميذ المحدث الجزائري ، عالم ، محدث ، مفسر ، خطيب ، صاحب التفسير الكبير المسمى بـ " تفسير ابن النجار " أو بـ " مجمع التفاسير " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ١١٤٠ هـ . ٨١ – الشيخ عبد النبي الطسوجي ، تلميذ المقدس الجيلاني

المشهدي ، من مشايخ صاحب " الحدائق " ، عالم ، فاضل ، مفسر ، له تفسير كبير ويحوي على نكات بديعة ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ١١٦٠ هـ . ٨٢ – السيد عبد الله بن محمد رضا الحسيني الكاظمي ، الشهير بشبر ، من أعيان فضلاء المتأخرين ومحدثيهم ، فقيه ، متتبع ، صاحب المؤلفات الكثيرة في التفسير والحديث والفقه والاصول وغيرها ، له تفاسير ثلاثة للقرآن المجيد : كبير ووسيط وصغير ، ذكره الخوانساري في " روضات الجنات " . توفي عام ١٢٤٢ هـ . ٨٣ – المولى محمد جعفر الاسترآبادي المعروف بشريعتمدار ، فاضل ، عالم ، مفسر ، له كتب ، منها تفسيره المسمى بـ " تفسير محمد جعفر الاسترآبادي " ، ذكره الخوانساري في " روضات الجنات " ، والشيخ آقا بزرك في " الذريعة " وقال : والظاهر أنه غير تفسيره الموسوم بـ " مظاهر الأسرار " . توفي عام ١٢٦٣ هـ . ٨٤ – السيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني ، فاضل ، محدث ، مفسر ، له كتب ، منها " خلاصة التفاسير " ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . ٨٥ – الشيخ صالح بن محمد البرقاني القزويني ، عالم ، فاضل ، مفسر ، متبحر ، صاحب التفاسير : الكبير



---

المسمى بـ " بحر العرفان " في سبعة عشر مجلدا ، والوسيط

/ صفحة ٢٠ /

في تسعة مجلدات ، والصغير في مجلد واحد ، ذكرها الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي عام ١٢٧٥ هـ . ٨٦ – السيد حسين بن رضا الحسيني البروجردي ، فاضل ، عالم بالرجال ، صاحب " نخبة المقال " المشهور ، له كتاب تفسير ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " وقال : خرج منه مجلد كبير . توفي عام ١٢٧٧ هـ . ٨٧ – الشيخ محمد حسين بن باقر البروجردي ، فاضل ، عابد ، صاحب " النص الجلي " ، له تفسير كبير ، وآخر يسمى بـ " أسرار التنزيل " اختاره من تفسيره ، ذكره الشيخ آقا بزرك في " الذريعة " . توفي في نيف وثلثمائة بعد الألف . ٨٨ – العلامة السيد نور الدين العراقي ، له " القرآن والعقل " في ثلاثة أجزاء . توفي عام ١٣٤١ هـ . ٨٩ – العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي ، له " آلاء الرحمن في تفسير القرآن " . توفي عام ١٣٥٢ هـ . ٩٠ – السيد علي بن الحسين الحائري ، من تلاميذ المجدد الشيرازي ، له " مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر " في اثني عشر مجلدا . توفي عام ١٣٥٣ هـ . ٩١ – العلامة السيد محمد مولانا ، له " التفسير الوجيز " . توفي عام ١٣٦٣ هـ . ٩٢ – العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، المفسر الكبير ، له " الميزان في تفسير القرآن " في عشرين مجلدا . توفي عام ١٤٠٢ هـ . ٩٣ – العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، الكاتب الكبير ، له " الكاشف في تفسير القرآن " وغيره . توفي عام ١٤٠٠ هـ . ٩٤ –

المحقق الكبير السيد آية الله أبو القاسم الخوئي ، له " البيان في تفسير القرآن " خرج منه جزء واحد . توفي عام ١٤١٣ هـ . وغيرهم الكثير . ترجمة المؤلف : هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي السبزواري الرضوي أو





---

المشهدي ، أمين الدين أو أمين الاسلام . والطبرسي نسبة الى طبرستان ، فعن رياض العلماء : هي بلاد مازندران بعينها ، وقد يعم بلاد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر ( ١ ) . قال ياقوت الحموي : الطبر – بالتحريك – هو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس ، واستان : الموضع أو الناحية ، كأنه يقول : ناحية الطبر ( ٢ ) . ثم

ذكر سبب تسميتها بذلك فقال : سببه أن أكثر أهل تلك الجبال كثيرو الحروب ، وأكثر أسلحتهم بل كلها الأطبار ، حتى أنك قل : إن ترى صعلوكا أو غنيا إلا وبيده الطبر صغيرهم وكبيرهم ، فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك ، ومعنى طبرستان من غير تعريب : موضع الأطباء ( ٣ ) . والرضوي والمشهدي نسبة الى مشهد الرضا ( عليه السلام ) ، لأنه ( قدس سره ) قد سكن فيها ، ثم انتقل الى سبزوار سنة ٥٢٣ هـ ، ومن ثم توفي فيها ليلة النحر سنة ٥٤٨ هـ ، وحمل نعشه الى المشهد المقدس الرضوي ، ودفن هناك في المقبرة بجانب الحرم الرضوي الشريف . إطراء العلماء عليه : كان ( قدس سره ) من جملة العلماء الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان من العامة والخاصة : فعن نقد الرجال للميرزا مصطفى التفريشي : أبو علي الطبرسي ثقة ، فاضل ، دين ، من أجلاء هذه الطائفة ( ٤ ) . وعن فهرست الشيخ منتجب الدين بعد وصفه بالإمام : ثقة ، فاضل ، دين ، عين ( ٥ ) . وفي الوجيزة للمجلسي : ثقة جليل ( ٦ ) .

* ( هامش ) *

( ١ ) رياض العلماء : ج ٤ ص ٣٥٧ .

( ٢ ) معجم البلدان : ج ٣ ص ٥٠١ .

( ٣ ) نفس المصدر .

( ٤ ) نقد الرجال : ص ٢٦٦ .

( ٥ ) الفهرست : ص ١٤٤ رقم ٣٣٦ .

( ٦ ) الوجيزة : ص ٢٦٦ . ( * )

وفي مستدرك الوسائل للمحدث النوري : فخر العلماء الأعلام وأمين الملة والإسلام ، المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل ( ١ ) . وعن صاحب رياض العلماء أنه قال بعد مدحه بعبارات الثناء : كان ( قدس سره ) وولده رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل صاحب كتاب " مكارم الأخلاق " ، وسبطه أبو الفضل علي بن الحسن صاحب " مشكاة الأنوار " ، وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء ( ٢ ) . وفي الروضات : الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ( ٣ ) . وعن صاحب المقابس عند ذكر ألقاب العلماء : ومنها أمين الإسلام الشيخ الأجل الأوحد والأكمل الأسعد قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين ، أمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي ، قدس الله نفسه الزكية ، وأفاض على تربته المراحم السرمدية ( ٤ ) . وعن لؤلؤة البحرين : وكان هذا الشيخ عالما فاضلا ثقة جليل القدر في أصحابنا ( ٥ ) . وفي مجالس المؤمنين ما ترجمته : عمدة المفسرين أمين الدين ثقة الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، كان من نحارير علماء التفسير ( ٦ ) . وفي كتاب " النقض " لعبد الجليل الرازي أنه قال في معرض ذكره المفسرين من علماء الشيعة : عالم وأمين ومعتمد ( ٧ ) . وعن تاريخ بيهق لأبي الحسن علي بن زيد : الإمام الطبرسي ، كان فريد عصره . . . . الخ ، وقال : ولقد أنشأ في مرحلة شبابه الكثير من الأشعار ، وقد أورد في

* ( هامش ) *

( ١ ) مستدرك وسائل الشيعة : ج ٣ ص ٤٨٦ .

( ٢ ) رياض العلماء : ج ٤ ص ٣٤١ .

( ٣ ) روضات الجنات : ج ٥ ص ٣٥٧ .

( ٤ ) مقابس الأنوار : ص ١٠ .

( ٥ ) لؤلؤة البحرين : ص ٣٤٦ .

( ٦ ) مجالس المؤمنين : ج ١ ص ٤٩٠ .

( ٧ ) النقض : ص ٣٠٤ . ( * )

/ صفحة ٢٣ /

كتاب " الوشاح " بعضا منها . ثم قال : وكان يشار إليه في علوم الحساب والجبر والمقابلة ( ١ ) . وفي الأعلام للزركلي : أمين الدين أبو علي ، مفسر ، محقق ، لغوي ، من أجلاء الإمامية ( ٢ ) . ثم إن هذا الرجل الذي خاض في ميدان التفسير وأحسن ، وطلع على المسلمين بمجموعته التفسيرية الفاخرة التي شهد لها العامة والخاصة ، وغاص في بحار هذا القرآن – الذي يتضمن على الاصول والمباني الفقهية للشريعة ، ويشتمل على القوانين الأساسية للإسلام ، ويحتوي على آيات فيها العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه – لابد أن يكون متضلعا بالعلوم الشرعية الأصلية منها والفرعية ، ومتمكنا في الفصل بين العام والخاص وبين المطلق والمقيد وبين المجمل والمتشابه . . . ، ومتبحرا في رد الفروع الى الاصول أو استنباط الفروع من الاصول كما يظهر من بعض سطوره عند تفسيره آيات الأحكام ، وهذا ما لا يخفى على من اطلع على مصنفاته . وصف قلمه الشريف : اتصف قلمه الشريف بمواصفات قلما اتصفت به أقلام المصنفين المتقدمين منهم والمتأخرين ، مما كان لها الدور الكبير في بروزه على معاصريه ، وانطلاقه في عداد الممدوحين من الفريقين ، فقد اتصف قلمه بالإنصاف والانحياد في ذكر الآراء أو رد الأقوال ، وعدم التفريق بين أصحابها ، سواء كان مخالفا أو موافقا ، طالما كان صائبا ولا يخالف الحق والحقيقة ، فتراه يأخذه بعين الاعتبار وليس له أي دافع أو مصلحة في تقديم أو تأخير أي من الأقوال . فالزمخشري عالم يذهب في الاصول الى المعتزلة ومبتنياتها ، وفي الفروع الى الحنفية واستحساناتها ، تراه ( قدس سره ) يذكره مع التبجيل والتعظيم لقلمه وكلامه ، قال

* ( هامش ) *

( ١ ) تاريخ بيهق : ص ٢٤٢ .

( ٢ ) الأعلام : ج ٥ ص ١٤٨ . ( * )



---

في مقدمته لهذا الكتاب – جوامع الجامع – : ومما حداني إليه وحثني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري ، بل القي في روعي محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه ، فإن لألفاظه لذة الجد ورونق الحداثة . . . الخ . مشايخه : لا يخفى على كل متتبع لأحوال أي عالم أو علم من أعلام أصحابنا بعد ملاحظة آثاره القيمة وكتبه وأبحاثه العلمية يجعله يحدس أن هذا العلم كان قد ترعرع في أحضان أساتذة عظام ، مما يدفعه قلمه إلى ذكر هؤلاء العظام ، فمن أساتذة المترجم له ومشايخه ممن يروي عنهم : ١ – الشيخ الأجل الفقيه الثقة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، ابن شيخ الطائفة ، المعروف بالمفيد الثاني . ٢ – الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار

بن عبد الله بن علي المقري الرازي ، الملقب بالمفيد الرازي . ٣ – الشيخ الأجل الثقة الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي ، جد الشيخ منتجب الدين . ٤ – الشيخ الفقيه الثقة موفق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكر آبادي الجرجاني . ٥ – السيد أبو طالب محمد بن حسين الحسيني الجرجاني . ٦ – الشيخ أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ، روى عنه صحيفة الرضا ( عليه السلام ) المعروفة . ٧ – الشيخ الفاضل المحدث أبو الحسن عبيد الله محمد بن حسين البيهقي . ٨ – الشيخ جعفر بن محمد الدوريستي ، أحد تلاميذ الشيخ المفيد . تلامذته : ثم إن من تتبع أحوال هذا العلم ومشايخه لابد أن يتعرض الى من استقى من



---

علمه ، وتتلمذ عليه ، وارتفع في دنيا العلم والدين ، حتى أصبح من نحارير الأصحاب وعلمائهم ، فمن تلامذته : ١ – ولده الشيخ رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي ، صاحب " مكارم الأخلاق " . ٢ – الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي ، صاحب " مناقب آل أبي طالب " . ٣ – الشيخ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن حسن بن حسين بن بابويه القمي ، صاحب " فهرست الرجال " . ٤ – السيد ضياء الدين فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني الراوندي الكاشاني ، صاحب " قصص الأنبياء " . ٥ – الشيخ الفقيه والمفسر المحدث قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ، المعروف بقطب الدين الراوندي ، صاحب " الخرائج والجرائح " . ٦ – السيد الفاضل الأديب العالم شرف شاه بن محمد الحسيني الأفطسي النيشابوري . ٧ – الشيخ الثقة أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدوريستي . ٨ – الشيخ الجليل الثقة الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبريل بن اسماعيل القمي . مصنفاته : لقد خلف الشيخ المصنف ( قدس سره ) ثروة علمية تنبو على براعته في العلم والأدب والفن والنحو ، وتفوقه على أقرانه من أهل النظر والتحقيق ، حتى عدت آثاره الخالدة درة ناصعة في جبين التاريخ ، كما حكى عنه الفاضل النوري ( ١ ) بأن له

* ( هامش ) *

( ١ ) مستدرك الوسائل : ج ٣ ص ٤٨٧ . ( * )



---

مؤلفات فائقة رائقة . هذا بالأضافة الى ما امتازت به – أي مصنفاته – من صفة التنوع ، إذ أنه ( قدس سره ) لم يغفل عن الكتابة والتحقيق في حقل العقائد والنحو والأدب والأخلاق والدعاء والسيرة والفلسفة طول مدة حياته . فمن مصنفاته : ١ – الآداب الدينية للخزانة المعينية ، وهو كتاب فخم في الأخلاق والآداب . ٢ – أسرار الإمامة ، نسبه إليه بعض الأعلام ، واستظهر صاحب الروضات أنه لولده الحسن بن الفضل . ٣ – إعلام الورى بأعلام الهدى ، في فضائل أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) وأحوالهم وآثارهم . ٤ – تاج المواليد . ٥ – جوامع الجامع ، وهو الكتاب الماثل بين يديك . ٦ – الجواهر في النحو . ٧ – رسالة حقائق الامور في الأخبار . ٨ – شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، كما ذكره هو بنفسه في مجمع البيان ذيل آية : * ( يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ) * ( ١ ) . ٩ – عدة السفر وعمدة الحضر . ١٠ – العمدة في اصول الدين والفرائض والنوافل . ١١ – غنية العابد ومنية الزاهد . ١٢ – الفائق . ١٣ – كنوز النجاح في الأدعية المأثورة . ١٤ – الكاف الشاف من كتاب الكشاف ، وهو تفسير مختصر . ١٥ – مجمع البيان لعلوم القرآن ، في عشر مجلدات .

* ( هامش ) *

( ١ ) الآية : ٦٧ من سورة المائدة . ( * )

/ صفحة ٢٧ /

١٦ – مشكاة الأنوار في الأخبار . قال صاحب الروضات : الظاهر أنه غير " مشكاة الأنوار في غرر الأخبار " التي هي لسبطه الشيخ أبي الفضل علي بن الحسن بن الفضل ، وهو كتاب ظريف يشتمل على أخبار غريبة . ١٧ – معارج السؤال . ١٨ – نثر اللآلي ، وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مرتبة على حروف المعجم . ١٩ – النور المبين . ٢٠ – الوافي في تفسير القرآن على ما نسب إليه . ٢١ – رواية صحيفة الرضا ( عليه السلام ) . جوامع الجوامع : هذا الكتاب – الذي بين يديك – هو من أشهر مؤلفات الشيخ الطبرسي ( قدس سره ) بعد



---

كتاب " مجمع البيان " ، وقد سمى العلامة المجلسي في مقدمة بحار الأنوار ( ١ ) هذا الكتاب بـ " جامع الجوامع " ، وهكذا ذكره الأفندي في رياض العلماء ( ٢ ) عند تعرضه لترجمة الطبرسي ، لكن النسخ المعتمدة ذكرت أن اسمه " جوامع الجامع " . ثم إنه قد وقع الخلاف بين أصحاب التراجم في أن هذا الكتاب هل هو " الكاف الشاف " أم غيره ؟ أو هل هو " الوسيط " أم غيره ؟ فقد ذكر ابن شهر آشوب في " معالم العلماء " ( ٣ ) بأن تفسير مجمع البيان والكلام الشاف من كتاب الكشاف

فقط ، وأما " جوامع الجامع " و " الوسيط " و " الوجيز " فلم يتعرض لذكرها ، ويمكن أن يقال : إنه ذكر " الكلام الشاف " بدل " الكاف الشاف " .

* ( هامش ) *

( ١ ) بحار الأنوار : ج ١ ص ٦ الطبعة الحجرية .

( ٢ ) رياض العلماء : ج ٢ باب الفاء ، الفضل بن الحسن الطبعة الحجرية .

( ٣ ) معالم العلماء : ص ١٢٣ رقم ٨٩٣ . ( * )

/ صفحة ٢٨ /

*(٢٦/١)*

---

وقال الشيخ منتجب الدين في " الفهرست " : له تصانيف ، منها : مجمع البيان في تفسير القرآن عشر مجلدات ، الوسيط في التفسير أربع مجلدات ، الوجيز مجلدة ( ١ ) . ولم يذكر " جوامع الجامع " ولا " الكاف الشاف " . وأما القاضي نور الله في " مجالس المؤمنين " ( ٢ ) فلم يتطرق لذكر التفسير الكبير ولا الجوامع ، لكنه أشار الى تفسير ثالث مختصر ولم يذكر اسمه . وقال السيد مصطفى التفريشي في " نقد الرجال " : إن كتاب " مجمع البيان في تفسير القرآن " عشر مجلدات ، و " الوسيط في التفسير " أربع مجلدات ، و " الوجيز " مجلدة ( ٣ ) . وقال الأفندي في " رياض العلماء " : ولعل المراد بالوسيط في التفسير هو تفسير " جامع الجوامع " المشهور ، وبالوجيز " الكاف الشاف " ، ويحتمل المغايرة ، وقد يتوهم أن " الكاف الشاف عن الكشاف " هو بعينه كتاب " جامع الجوامع " حيث قال في أوله : إنه ملخص من الكشاف ، ولكن الحق أنه غيره ( ٤ ) .

وينبغي الإشارة الى أن الشيخ المصنف ( قدس سره ) لم يذكر في طيات كتابه " جوامع الجامع " أن هذا الكتاب هو تلخيص من الكشاف ، وإنما ذكر في بداية مقدمته عبارة حول " الكاف الشاف " ، ومضمونها : أن تفسير " الكاف الشاف " خلاصة من تفسير الكشاف ، وليس تفسير " جوامع الجامع " . وحول تفسير " جوامع الجامع " قال : " ومما حداني إليه وحثني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري ، بل القي في روعي محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه ، فإن لألفاظه لذة الجدة ورونق الحداثة ، مقتصرا فيه على إيراد المعنى البحت ، والإشارة الى مواضع النكت بالعبارات الموجزة والايماءات المعجزة مما يناسب الحق والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة . . . " فلا يستفاد بأي

* ( هامش ) *

( ١ ) الفهرست : ص ١٤٤ رقم ٣٣٦ .

( ٢ ) مجالس المؤمنين : ج ١ ص ٤٩٠ .

( ٣ ) نقد الرجال للتفريشي : ص ٢٦٦ .
( ٤ ) رياض العلماء : ج ٤ ص ٣٤٢ الطبعة الحديثة . ( * )



---

/ صفحة ٢٩ /
وجه من هذه العبارة بأن تفسير " جوامع الجامع " هو تلخيص لتفسير الكشاف . وقال صاحب ريحانة الأدب : إن تفسير " الكاف الشاف " قد الف بعد التفسيرين : " مجمع البيان " و " جوامع الجامع " وذلك بطلب من ولده الشيخ حسن بن فضل وقد انتخبه منهما ، أو بالعكس ، أي أن تفسير " جوامع الجامع " قد الف بعد التفسيرين : " مجمع البيان " و " الكاف الشاف " وقد انتخبه منهما كما هو الظاهر ، بل صريح كلام كتاب الذريعة ( ١ ) . والتحقيق في هذا نقول : إن الظاهر من كلام الطبرسي نفسه – من بعض القرائن – أنه لم يؤلف أكثر من ثلاثة تفاسير : " مجمع البيان " ، و " الكاف الشاف " أو " الوجيز " ، و " جوامع الجامع " أو " الوسيط " . ومما لا شك فيه أنه ( قدس سره ) لم يشرع بتأليف أي تفسير قبل " مجمع البيان " ، حيث قال في مقدمته : وقد كنت في عهد ريعان الشباب حداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع ، قلق التشوق ، شديد التشوف الى جمع كتاب في التفسير . . . إلى أن قال : وهلم جرا الى الآن وقد ذرف سني على الستين . . . الى أن قال : فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل . . . أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني . . . بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا العلم ( ٢ ) . فيفهم ممن كلامه ( قدس سره ) أنه قبل سن الستين لم يكتب أي تفسير ، وفي هذه السن بدأ بتأليف " مجمع البيان " . وأما التفسير الثاني له فهو " الكاف الشاف " ، وهو خلاصة لتفسير الزمخشري الموسوم بـ " الكشاف " ، وكان تأليفه بعد " مجمع البيان " وقبل " جوامع الجامع " ، وهذا ما يفهم من كلامه في مقدمة " جوامع الجامع " حيث قال : فإني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ " مجمع البيان لعلوم القرآن " ثم عثرت من بعد
* ( هامش ) *
( ١ ) ريحانة الأدب : ج ٤ ص ٢٠ .
( ٢ ) مجمع البيان : ج ١ – ٢ ص ١٠ . ( * )
/ صفحة ٣٠ /



---

بالكتاب " الكشاف لحقائق التنزيل " لجار الله العلامة ، واستصلحت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه ما لا يلقى مثله في كتاب مجتمع الأطراف ، ورأيت أن أسمه واسميه بـ " الكاف الشاف " ، فخرج الكتابان الى الوجود . وأما التفسير الثالث له فهو هذا الكتاب " جوامع الجامع " وكان بطلب من ولده ، حيث اختاره من التفسيرين المتقدمين ، فقد قال في مقدمته : اقترح علي من حل مني محل السواد من البصر والفؤاد ولدي أبو نصر الحسن – أحسن الله نصره وأرشد أمري وأمره – أن اجرد من الكتابين كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما ، يأخذ بأطرافها ويتصف بأوصافهما ، ويزيد بأبكار طرائف وبواكير لطائف عليهما . لكنه استعفاه أول الأمر ، لأن عمره جاوز السبعين وقد أخذه من الكبر عتيا ، لكن أمام إلحاح الابن أجاب مطلبه ونفذه بقوله : فلم أجد بدا من صرف وجه الهمة إليه ، والإقبال بكل العزيمة عليه ، وهممت أن أضع يدي فيه ، ثم استخرت الله تعالى وتقدس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع ، اسميه كتاب " جوامع الجامع " ، ولا شك أنه اسم وفق للمسمى ولفظ طبق للمعنى . ثم إنه عاد وسماه بالوسيط في قوله : وأرجو أن يكون بتوفيق الله وعونه وفيض فضله ومنه كتابا وسيطا خفيف الحجم كثير الغنم ، لا يصعب حمله ويسهل حفظه ويكثر معناه وإن قل لفظه . وعلى ضوء ما تقدم يمكن أن يقال : إنه ( قدس سره ) لم يؤلف أكثر من هذه التفاسير الثلاثة المذكورة ، وقد صرح بكبر الأول وباختصار الثاني وأوسطية الثالث ، وإنه بسبب كبر سنه وعجزه وضعفه بقوله في مقدمة هذا الكتاب : فاستعفيته مرة بعد اخرى ، لما كنت أجده في نفسي من ضعف المنة ووهن القوة ، فلقد ذرفت على السبعين سنيا ، وبلغت من الكبر عتيا ، وصرت كالحنية حنيا ، واشتعل الرأس شيبا ، وقاربت شمس العمر مغيبا ، فأبى إلا المراجعة فيه . . . الخ ، فإنه ( قدس سره ) بسبب كبره وشدة ضعفه لم يستطع تأليف أي تفسير آخر



---

لكي يضع له أي اسم آخر . ومن هنا يمكن الجزم أن التفسير الكبير هو " مجمع البيان " ، والتفسير



المختصر هو " الكاف الشاف " ، والتفسير الوسيط هو " جوامع الجامع " ولا غيرها . سبب تأليفه : ثم إنه ( قدس سره ) قد ذكر سبب تأليف هذا الكتاب والباعث على تصنيفه من جراء إصرار ولده وإلحاحه عليه فيه ، لكنه مضافا إليه كان هناك مشجعا آخر إليه ، حيث يقول في مقدمته : ومما حداني إليه وحثني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري ، بل القي في روعي محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه . . . الخ . مزايا هذا الكتاب : لقد امتاز هذا التفسير

بعدة مزايا كان لها الأثر في انتخابه ككتاب درسي يستفاد منه في الحوزات الدينية الشيعية بل وغير الشيعية ، ويمكن اختصارها بعدة نقاط : ١ – أنه تفسير وجيز ، جمع فيه الشمولية من غير إطناب ممل والاختصار من غير اقتصار مخل . ٢ – أنه وسيط ، خفيف الحجم كثير الغنم ، لا يصعب حمله ويسهل حفظه ، كما ذكره هو نفسه ( قدس سره ) في ثنايا مقدمته . ٣ – أنه جمع الى التفسير اللغة والإعراب والنحو وبيان النظم وسبب النزول والقراءة . ٤ – أنه جمع فيه آراء الصحابة والتابعين بالإضافة الى مرويات أهل البيت ( عليهم السلام ) . ٥ – أنه بين فيه مواضع الخلاف مع ما ذهب إليه العامة من جهة ، ومع ما ذهب إليه الزمخشري من حيث اعتزاله من جهة اخرى .
وأما من ناحية امتيازه عن الكشاف فيمكن تلخيصها ما يلي :





---

١ – الاختصار في كلامه ، وحذف الموارد الزائدة والمواضع غير الضرورية فيه ، إذ كثير من الموارد قد أطنب فيه صاحب الكشاف وأطال ، فسعى الشيخ المصنف الى اختصار هذا الإطناب خدمة للموضوع الذي يرى فيه موضع فائدة للقراء . ٢ – في موارد اختلاف آراء الإمامية مع المعتزلة في تفسير الآية ، فإنه ( قدس سره ) يعدل عن رأي صاحب الكشاف ويثبت ما يعتقده الحق . ٣ – إيراده بعض الروايات من طرق الخاصة والتي لا توافق مذهب صاحب الكشاف ، بل كثير منها مخالف له . منهج هذا الكتاب : ولا يخفى أن هذا التفسير لم يرتب على منهج " مجمع البيان " في تبويبه وترتيبه ، وإنما وضع على منهج الكشاف في تسلسله الموضوعي ، إذ تذكر في بداية المقال الآيات التى تتعلق بالموضوع المدرج ، ثم يؤتى بها مجزأة ويتخللها الشرح لمعاني المفردات أو لمعنى الآية مجملة ، ثم يذكر الأوجه الأدبية لتلك المعاني من الصرف والإعراب واللغة والاشتقاق والبلاغة والبيان . . . ، وأحيانا الفقه والكلام ، ثم ينقل الأقوال من دون تقسيم أو تنظيم ، وهكذا حتى يأتي على آخر الآيات . منهجية التحقيق : لا يخفى على ذوي الخبرة في ميدان تحقيق الكتب والآثار القديمة بما يواجهه المحقق من مصاعب شتى في مسيرة عمله التحقيقي ، من الحصول على النسخ المعتمدة تارة ، ومطابقة هذه النسخ ومقابلتها مع بعضها من أجل تثبيت
موارد الاختلاف والمواضع المضطربة أو المشوهة أو الممزقة في بعضها تارة اخرى ، فالحصول على نسخة مشتملة على كافة الشرائط التي تجعل منها " معتمدة " والتي يمكن أن تجرى عليها باقي مراحل العمل التحقيقي ليس بالأمر

السهل ، وخصوصا في الكتب التفسيرية التي تعتمد في بنى أساسها على اللغة والإعراب والصرف والنحو والأدب والشعر ، مما يضع المحقق في دوامة اللغة واشتقاقاتها ومترادفاتها ، سيما وأن الكتاب درسي ، لأنه سوف يغطي مقدارا واسعا من القراء المثقفين ، طلبة كانوا أم أساتذة ، مما يعطي مساحة كبيرة من المتابعة والتمحيص ، وقوة أكبر من الدقة والانتباه لابتغاء المطلوب الذي جهدت اللجنة المكلفة بكل ما وهبها الله سبحانه من قوة على تحقيقه . فقد حاولت هذه اللجنة أن لا تدخر جهدا ممكنا إلا وظفته لخدمة هذا الكتاب الشريف ، ولا سعيا مقدورا إلا يسرته لإتمام هذا المشروع المبارك الذي عزمت هذه المؤسسة على إخراجه الى النور خدمة للعلم وطلبته ، فبادرت هذه اللجنة بتشكيل برنامج للعمل وعلى النحو الملخص التالي : ١ – إحضار النسخ الخطية منها والمطبوعة المتوفرة باختلافاتها ، ورصد تلك الاختلافات باجراء عملية مقابلة دقيقة ، ثم تثبيت الضروري منها والمفيد على نسخة ملفقة ومصححة ، كانت هي الأساس الذي جرت عليها مراحل العمل المتلاحقة . ولا يفوتنا ذكر ما استفدناه في هذه المرحلة من النسخة التي قام بتصحيحها الاستاذ أبو القاسم الگرجي . ٢ – قيام المجموعة باستخراج الموارد التالية : ( أ ) الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المستشهد بها في المتن . ( ب ) الأقوال الواردة ، سواء المصرح فيها اسم القائل أو ذكرت بعنوان القيل ، ونسب هذه الأقوال الى قائليها حسب تسلسل السلم التاريخي ، ابتداء بالصحابة والتابعين ومرورا بالذين كتبوا في مصنفاتهم التفسيرية ، فأدرجوا فيها أقوالهم تارة ومختارهم اخرى ، وانتهاء بالذين خاضوا هذا المضمار من اللغويين وما أدرجوا في كتبهم من آراء ومختارات . ( ج ) الأشعار والأرجاز المستشهدة بها في المتن ، ونسبها الى قائلها إن عثرنا على مصدر يؤيد ذلك ، مع الإشارة الى ذلك المصدر أو المصادر المعتمدة ، وبيان





معناها ملخصا . ( د ) أسامي الأعلام المشهورين المذكورين في المتن ، وترجمة حياتهم ترجمة مختصرة ، وقد أشرنا في الأثناء الى مصادر الترجمة . ( هـ ) أسامي الأمكنة والبقاع المندرجة في ثنايا المتن ، والعمل على ترجمتها باختصار غير مخل مع الإشارة الى المصادر التي اعتمدت في ترجمتها . ( و ) الكلمات المبهمة والغامضة التي تحتاج الى توضيح ، والسعي الى بيان معناها مع الإشارة الى المصادر . ٣ – إجراء تقويم للمتن وفق الحركات الإعرابية اللازمة ، سواء للنصوص

القرآنية أو الأحاديث الشريفة أو للشرح المتخلل ، وتقطيع المقاطع اللازمة والضرورية من أجل بيان التسلسل الموضوعي المدرج في الكلام . ٤ – كتابة النص القرآني طبقا لرسم المصحف الشريف المطبوع في هذه المؤسسة ، وهو على قراءة عاصم برواية حفص . ٥ – إجراء تنضيد حروف الكتاب – وفق الحروف الكمبيوترية – وحركاتها الإعرابية ، وخاصة نصوص القرآن الكريم ، مع الالتزام برسم المصحف الشريف كما هو ، حفاظا على نهج القرآن وقداسة رسمه عبر الأجيال . ٦ – قيام مجموعتين من ضمن اللجنة المكلفة بعهدة المقابلة بين المطبوع والأصل المعتمد وعلى مرحلتين : الاولى : مقابلة المتن المشروح ، وهو تارة متابعة كلماته وحروفه ، واخرى حركاته الإعرابية ، ابتغاء أكبر قدر ممكن من الدقة والضبط الصحيح . الثانية : مقابلة النصوص القرآنية الواردة في متن الكتاب بكامل رسمها وحركاتها وسكناتها مع نسخة المصحف الشريف . ٧ – القيام بمهمة النظرة الأخيرة على الكتاب ، وذلك على نحوين : ( أ ) ويشمل : متابعة المنصوص والمشروح من زاوية نظر أوسع ، والإمعان في سياقها وتراكيبها الجملية ، ومتابعة الامور الفنية المتعلقة بالطبع والطبعة ، حرصا



---

على إخراجه بحلة قشيبة باهرة . ( ب ) الإشراف على وضع اللمسات الأخيرة ، وتدوين الملاحظات الهامة . ولا يفوتنا ذكر ما استفدناه من خبرة وتجربة الاستاذ المحقق الألمعي الشيخ محمد مهدي نجف دامت توفيقاته ، وما أبدى من توجيهات في جميع مراحل العمل في هذا السفر القرآني ، جزاه الله خيرا . وصف المخطوطات : وقد اعتمدنا في تحقيقنا في هذه الطبعة على النسخ التالية : ١ – النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية " ملي " بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢ مجهولة الناسخ والتاريخ ، لتأكل بعض أوراقها وفقدان أجزائها ، لكن في خاتمة الجلد الأول منها ذكر الناسخ تاريخ فراغه من نسخه ، وصورته : " تم الجلد الأول من الجوامع بعون الله وحسن توفيقه يوم الاثنين رابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبعمائة " ، إذا قد كتبت هذه النسخة في القرن الثامن الهجري ،

وبالتحديد في النصف الثاني منه ، أي أن تاريخ كتابة هذه النسخة متأخر عن تاريخ تأليف الكتاب بحوالي ٢٢١ سنة . وعدد صفحاتها ٦٣٢ صفحة ، ومن القطع الرحلي ، وخطها ردئ ، وتحوي على حواش قد كتبت بخط غير خط الناسخ . ٢ – النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلية الإلهيات والعلوم الدينية تحت رقم ٥٦ ، وهي واحدة من مجموعة ما وقفه المرحوم آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي ( قدس سره ) لهذه المكتبة ، وكاتب هذه النسخة هو محمد سميع الخاوري ، وفرغ

منها يوم عيد الغدير من سنة ١١١١ هـ ، وعدد صفحاتها ٣٧٤ صفحة ، في كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومن القطع الرحلي . ٣ – النسخة المحفوظة أيضا في خزانة مكتبة كلية الإلهيات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١ ، وهي واحدة من مجموعة ما وقفته عائلة آل آقا ، وكاتب النسخة هو محمد حسن بن درويش علي أبردمي المشهدي ، وقد فرغ منها في العاشر من

/ صفحة ٣٦ /



---

جمادي الثانية من سنة ١١١٩ هـ في المدرسة السميعية بخراسان ، وعدد صفحاتها ٥٠٥ صفحة ، في كل صفحة ٢١ سطرا . ٤ – النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمد حسين الگلپايگاني بطلب من الحاج محمد حسين الكاشاني ، وقد أشرف على تصحيحها جمع من علماء قم ، وذلك في طهران سنة ١٣٢١ هـ . والنسخة من القطع الرحلي . ٥ – نسخة كتبت بخط الحاج طاهر خوشنويس ، وبنفقة المرحوم الحاج آقا بالاكلاهي ، وقد قام بتصحيحها وتحقيقها العالم الشهيد السيد محمد علي القاضي الطباطبائي بمساعدة بعض الفضلاء في شهر رجب سنة ١٣٧٩ هـ ، وتم الفراغ منها في شعبان سنة ١٣٨٣ هـ ، وقد طبعت في مطبعة مصباحي بطريقة الافست . ويذكر أن المحقق قد كتب مقدمة مفيدة في ٢١ صفحة في خصوص القرآن وتفسيره ، وحول كتاب " جوامع الجامع " والطبعات المتقدمة له ، وترجمة حول المؤلف ومصنفاته . بلغ عدد صفحات هذه النسخة ٥٥٨ صفحة ، وفي كل صفحة ٣٢ – ٣٤ سطرا . اللهم إجعلنا ممن يعتصم بحبله ، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله ، ويهتدي بضوء صباحه ، ويستصبح بمصباحه ، ولا يلتمس الهدى في غيره ، بحق محمد وآله الطاهرين .

/ صفحة ٣٧ /

نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الاول من النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية " ملي " بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢

/ صفحة ٣٨ /

نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الثاني من النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية " ملي " بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢

/ صفحة ٣٩ /

نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الاول من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلية الالهيات والعلوم الدينية تحت رقم ٥٦

/ صفحة ٤٠ /

نموذج من الصفحة الاولى للمجلد الثاني من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلية الالهيات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١
/ صفحة ٤١ /
نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الثاني من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلية الالهيات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١
/ صفحة ٤٢ /



---

نموذج من الصفحة الاولى للمجلد الاول من النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمد حسين الگلپايگاني
/ صفحة ٤٣ /
نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الثاني من النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمد حسين الگلپايگاني
/ صفحة ٤٤ /
نموذج من الصفحة الاولى للمجلد الاول من النسخة المكتوبة بخط الحاج طاهر خوشنويس
/ صفحة ٤٥ /
نموذج من الصفحة الاخيرة للمجلد الثاني من النسخة المكتوبة بخط الحاج طاهر خوشنويس
/ صفحة ٤٧ /
مقدمة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه الكريم ، ومن علينا بالسبع المثاني ( ١ ) والقرآن العظيم ، وما ضمنه من الآيات والذكر الحكيم ، فهو النور الساطع برهانه ، والفرقان الصادع ( ٢ ) تبيانه ، والمعجز الباقي على مر الدهور ، والحجة الثابتة سجيس ( ٣ ) العصور ، يهدي إلى صالح القول والعمل ، ويثبت من الميل والزلل ، لا تمجه ( ٤ ) الأسماع ، ولا تمله الطباع ، معدن كل علم ومنبع كل حكم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ، نزل به الروح الأمين على خاتم النبيين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين . ثم الصلاة والسلام على الرسول الأمين والنبي المكين ، محمد خير البشر ، وسيد البشر ( ٥ ) ، وأكرم النذر ، المنتجب من أشرف المناصب ، المنتخب من أعلى
* ( هامش ) *
( ١ ) وهي من أسماء سورة الفاتحة ، سميت بالسبع لأنها سبع آيات بالاتفاق بين قراء الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام وفقهائها ، وبالمثاني لأنها تثنى بقراءتها في كل صلاة فرض ونفل ،

ففي تفسير العياشي : ج ١ ص ١٩ ح ٣ باسناده عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) في قوله تعالى : * ( ولقد ءاتينك سبعا من المثانى ) * قال : " هي سورة الحمد وهي سبع آيات . . . وإنما سميت المثاني لأنها تثنى في الركعتين " .

( ٢ ) الصادع : الفارق بين الحق والباطل ، أو المظهر . ( القاموس المحيط : مادة صدع ) .



---

( ٣ ) سجيس : أي أبدا . ( القاموس المحيط : مادة سجس ) .

( ٤ ) تمجه : أي ترميه وتقذفه وتستكرهه . ( القاموس المحيط والصحاح : مادة مجج ) .

( ٥ ) البشر – بضمتين – : جمع البشير . ( لسان العرب : مادة بشر ) . ( * )

/ صفحة ٤٨ /

المناسب ، الذي سما بسمو انتسابه اسم عدنان ( ١ ) ومضر ( ٢ ) ، وبعلو قدره علا كعب كعب وكبر ( ٣ ) ، وبنضرة جاهه وجه النضر نضر ( ٤ ) ، وبرفعة أمره استمر أمر مرة وأمر ، فأسرته خير الأسر ، وشجرته أكرم الشجر ، وعترته أفضل العتر ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . أما بعد ، فإني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ " مجمع البيان لعلوم القرآن " ، ثم عثرت من بعد بالكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله ( ٥ )

* ( هامش ) *



---

( ١ ) هو أحد من تقف عندهم أنساب العرب ، والمؤرخون متفقون على أنه من أبناء إسماعيل بن إبراهيم ، والى عدنان ينتسب معظم أهل الحجاز . ولد له معد ، وولد لمعد نزار ، ومن نزار ربيعة ومضر ، وكثرت بطون هذين ، فكان من ربيعة : بنو أسد وعبد القيس وعنزة وبكر وتغلب ووائل والأراقم والدؤل وغيرهم كثيرين ، وتشعبت قبائل مضر شعبتين عظيمتين : قيس عيلان بن مضر ، وإلياس بن مضر . فمن قيس عيلان : غطفان وسليم ، ومن غطفان : بغيض وعبس وذبيان وما يتفرع منهم ، ومن سليم : بهثة وهوازن . وأما إلياس فمن بنيه : تميم وهذيل وأسد وبطون كنانة ، ومن كنانة : قريش ، وانقسمت قريش فكان منها : جمح وسهم وعدي ومخزوم وتيم وزهرة وعبد الدار وأسد بن عبد العزى وعبد مناف ، وكان من عبد مناف : عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم ، ومن

هاشم : رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والعباسيون ، ومن عبد شمس : بنو امية . وانتشرت بطون عدنان في أنحاء الحجاز وتهامة ونجد والعراق ثم اليمن . وكان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إذا انتسب فبلغ عدنان يمسك ، ويقول : كذب النسابون ، فلا يتجاوزه . ( طرق الأصحاب : ص ١٤ ، وتاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٩١ ، وجمهرة الأنساب : ص ٨ وبعدها ) .

( ٢ ) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، من سلسلة النسب النبوي ، من أهل الحجاز ، قيل : إنه أول من سن الحداء للإبل في العرب ، وكان من أحسن الناس صوتا ، أما بنوه فهم أهل الكثرة والغلبة في الحجاز ، من دون سائر بني عدنان ، كانت الرياسة لهم بمكة والحرم . ( سبائك الذهب : ص ١٨ ، وتاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٨٩ ، والكامل لابن الأثير : ج ٢ ص ١٠ ، ومعجم قبائل العرب : ص ١١٠٧ ) .

( ٣ ) كبر – بضم الباء – : ضد صغر ، وبفتحها : زاد . ( القاموس المحيط : مادة كبر ) .

( ٤ ) نضر : حسن ونعم . ( القاموس المحيط : مادة نضر ) .



---

( ٥ ) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي المعتزلي ، وجار الله لقب لقب به ، لأنه سافر إلى مكة وجاور بها زمانا حتى عرف بهذا اللقب واشتهر به ، وصار كأنه علم عليه ، ولد في رجب سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر ، وهي قرية من قرى خوارزم ، وقدم = ( * ) / صفحة ٤٩ /

العلامة ، واستخلصت ( ١ ) من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه مالا يلفى مثله في كتاب مجتمع الأطراف ، ورأيت أن أسمه وأسميه بالكاف الشاف ، فخرج الكتابان إلى الوجود ، وقد ملكا أزمة القلوب ، إذ أحرزا من فنون العلم غاية المطلوب ، وجادت جدواهما ، وتراءت ناراهما ، وبعد في استجماع جواهر الألفاظ وزواهر المعاني مداهما ، فسارا ( ٢ ) في الأمصار مسير الأمثال ، وسريا في الأقطار مسرى الخيال ، اقترح علي من حل مني محل السواد من البصر والسويداء من الفؤاد ، ولدي أبو نصر الحسن – أحسن الله نصره وأرشد أمري وأمره – أن أجرد من الكتابين كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحجر ( ٣ ) عينهما ، يأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما ، ويزيد بأبكار الطرائف وبواكير ( ٤ ) اللطائف عليهما ، فيتحقق ما قيل : إن الثالث خير ، فإن الكتب الكبار قد يشق على الشادي ( ٥ ) حملها ويثقل على الناقل نقلها ، فأكثر أبناء الزمان تقصر هممهم عن احتمال أعباء ( ٦ ) العلوم الثقيلة والإجراء في حلباته ( ٧ ) المديدة الطويلة ، فاستعفيته من ذلك مرة بعد أخرى لما كنت أجده في نفسي من ضعف المنة ( ٨ ) ووهن القوة ، فلقد ذرفت ( ٩ ) على السبعين سنيا ، وبلغت من الكبر عتيا ، وصرت كالحنية حنيا ( ١٠ ) ، واشتعل الرأس

* ( هامش ) *

= بغداد ولقي الكبار وأخذ عنهم ، كانت وفاته ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ بجرجانية خوار بعد رجوعه من مكة . ( وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٢٥٤ ، وشذرات الذهب : ج ٤ ص ١٢١ ، وطبقات المفسرين للسيوطي : ص ٤١ ) .

( ١ ) في نسخة : استصلحت .

( ٢ ) في نسخة : فصارا .

(٣٩/١)

---

( ٣ ) المحجر من العين : ما دار بها وتحرك . ( القاموس المحيط : مادة حجر ) .

( ٤ ) الباكورة : أول ما يدرك من الفاكهة أو أول كل شئ . ( القاموس المحيط : مادة بكر ) .

( ٥ ) الشادي : الآخذ بطرف من الأدب أو العلم . ( القاموس المحيط : مادة شدى ) .

( ٦ ) الأعباء : الأثقال والأحمال . ( القاموس المحيط : مادة عبأ ) .

( ٧ ) الحلبة : الدفعة من الخيل في الرهان ، وخيل تجتمع للسباق . ( لسان العرب : مادة حلب ) .

( ٨ ) المنة : القوة . ( لسان العرب : مادة منن ) .

( ٩ ) ذرف – بالتشديد – : زاد . ( القاموس المحيط : مادة ذرف ) .

( ١٠ ) حناه : عطفه ، والحنية : القوس . ( القاموس المحيط : مادة حنى ) . ( * ) / صفحة ٥٠ /

(٤٠/١)

---

شيبا ، وقاربت شمس العمر مغيبا ، فأبى إلا المراجعة فيه ، والعود والاستشفاع بمن لم أستجز ( ١ ) له الرد فلم أجد بدا من صرف وجه الهمة إليه والإقبال بكل العزيمة عليه ، وهممت أن أضع يدي فيه ، ثم استخرت الله تعالى وتقدس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع ، أسميه كتاب " جوامع الجامع " ، ولاشك أنه اسم وفق للمسمى ولفظ طبق للمعنى ، وأرجو أن يكون بتوفيق الله وعونه وفيض فضله ومنه كتابا وسيطا خفيف الحجم ، كثير الغنم ، لا يصعب حمله ، ويسهل حفظه ، ويكثر معناه وإن قل لفظه ، يروع ( ٢ ) موضوعه ، ويروق مسموعه ، ينظم وسائط القلائد ، ويحوي بسائط الفوائد ، ويستضئ العلماء بغرره ودرره ، ويفتقر الفضلاء إلى فقره ، فيكتب ( ٣ ) على وجه الدهر ، ويعلق في كعبة المجد والفخر . ومما حداني إليه وحثني وبعثني عليه ، أن خطر

ببالي وهجس بضميري ، بل ألقي في روعي ( ٤ ) محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه ، فإن لألفاظه لذة الجدة ورونق الحداثة ، مقتصرا فيه على إيراد المعنى البحت ، والإشارة إلى مواضع النكت ، بالعبارات الموجزة والإيماءات المعجزة ، مما يناسب الحق والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة . وإذا ورد في أثناء الآيات شئ قد تقدم الكلام في نظيره ، أعول في أكثره على المذكور قبل ، إيثارا للإيجاز والاختصار . وأنا أسأل الله الكريم المنان مستشفعا إليه بمحمد المصطفى وآله مصابيح الإيمان ومفاتيح الجنان ، عليه وعليهم الصلاة والسلام ما اختلف الضياء والظلام ، أن يجعل وكدي ( ٥ ) وكدي في تأليفه مع تخاذل الأعضاء وتواكل الأجزاء موجبا لغفرانه ، ومؤديا إلى رضوانه ، ويمن بالتسهيل والتيسير ، فإن تيسير العسير عليه جلت قدرته يسير ، وهو على ما يشاء قدير ، نعم المولى ونعم النصير .

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : استحسن .

( ٢ ) يروع : يعجب . ( لسان العرب : مادة روع ) .

( ٣ ) في نسخة : فليكتب .



---

( ٤ ) الروع : القلب . ( القاموس المحيط : مادة روع ) .

( ٥ ) الوكد بالضم : الفعل ، وبالفتح : المراد والهم والقصد . ( القاموس المحيط : مادة وكد ) . ( * )

/ صفحة ٥١ /

سورة الفاتحة / ٢ سورة الفاتحة مكية سبع آيات بلا خلاف ، إلا أن أهل مكة والكوفة عدوا * ( بسم الله الرحمن الرحيم ) * آية من الفاتحة ، وغيرهم عدوا * ( أنعمت عليهم ) * آية . وروي عن ابن عباس ( ١ ) أنه قال : من ترك * ( بسم الله الرحمن الرحيم ) * فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى ( ٢ ) . وعن الصادق ( عليه السلام ) أنه سئل عن قوله تعالى : * ( سبعا من المثانى ) * ( ٣ ) ، فقال ( عليه السلام ) : " هي سورة الحمد ، وهي سبع آيات منها بسم الله الرحمن الرحيم " ( ٤ ) .

* ( هامش ) *

( ١ ) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن مناف الهاشمي المكي ، ابن عم النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وسمع النبي ( صلى الله عليه وآله ) وروى عن جماعة من الصحابة ، روى عنه : سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وجماعة

من التابعين ، وروي أنه دعا له الرسول ( صلى الله عليه وآله ) : " اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين " . توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، وقيل : تسع وستين . ( طبقات المفسرين للداودي : ج ١ ص ٢٣٢ ، وتاريخ بغداد : ج ١ ص ١٧٣ ، وطبقات القراء : ج ١ ص ٤٢٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : ج ١ ص ٤٠ ، وتاريخ التراث العربي : مج ١ ج ١ ص ٦٣ ) .

( ٢ ) رواه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١ .

( ٣ ) الحجر : ٨٧ . ( ٤ ) تفسير العياشي : ج ١ ص ١٩ ح ٣ ، وعنه تفسير البرهان : ج ١ ص ٤٢ ح ١٤ . ( * )



---

وعن أبي بن كعب ( ١ ) قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : " أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن ، وأعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة " ( ٢ ) . وعن جابر بن عبد الله ( ٣ ) عنه ( عليه السلام ) قال : " هي شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت " ( ٤ ) . * ( بسم الله الرحمن الرحيم ) * ( ١ ) ( ٥ ) أصل الاسم : سمو ، لأن جمعه أسماء وتصغيره سمي * ( الله ) * أصله : إله ، فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ، ولذلك قيل في النداء : " يا الله " بقطع الهمزة ، كما يقال : " يا إله " . ومعناه : أنه الذي يحق له العبادة ، وإنما حقت له العبادة لقدرته على أصول النعم ، فهذا الاسم مختص بالمعبود بالحق لا يطلق على غيره ،

وهو اسم غير صفة لأنك تصفه فتقول : " إله واحد " ولا تصف به ، فلا تقول : شئ

* ( هامش ) *

( ١ ) هو ابي بن كعب بن قيس ، يكنى أبا الطفيل ، وأبا المنذر ، كتب الوحي لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، شهد العقبة الثانية ، وبالغ النبي ( صلى الله عليه وآله ) فيها ، وشهد بدرا ، وكان أحد فقهاء الصحابة ، مات على أرجح الأقوال في خلافة عمر بن الخطاب سنة تسع عشرة ، وقيل : اثنتين وعشرين . ( الاستيعاب : ج ١ ص ٦٥ ) .

( ٢ ) أورده في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ١٧ .



---

( ٣ ) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو عبد الرحمن ، صاحب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، روى الكثير عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، وروى عن أبي بكر وعمر ومعاذ وغيرهم . قال ابن سعد : شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم ، وشهد الحديبية فهو من أهل بيعة الرضوان ، توفي سنة ثمان وسبعين ، وقيل : سبع وسبعين ، وقيل : إنه عاش أربعا وتسعين سنة . ( تاريخ الاسلام : ج ٥ ص ٣٧٧ ، وطبقات ابن سعد : ج ٣ ص ٥٧٤ ، والثقات لابن حبان : ص ٥٢ ، والمعارف لابن قتيبة : ص ١٦٢ و ٣٠٧ و ٥٥٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : ج ١ ص ٤٣ ) .

( ٤ ) تفسير العياشي : ج ١ ص ٢٠ ح ٩ ، وعنه تفسير البرهان : ج ١ ص ٤٢ ح ٢٠ ، وتفسير الصافي : ج ١ ص ٥٦ .

( ٥ ) قال الشيخ الطوسي : عندنا آية من الحمد ومن كل سورة . التبيان : ج ١ ص ٢٤ . ( * ) / صفحة ٥٣ /



---

إله ، و * ( الرحمن ) * فعلان من رحم كغضبان ، و * ( الرحيم ) * فعيل منه كعليم ، وفي * ( الرحمن ) * من المبالغة ما ليس في * ( الرحيم ) * ، ولذلك قيل : الرحمن بجميع الخلق ، والرحيم بالمؤمنين خاصة ( ١ ) . ورووا عن الصادق ( عليه السلام ) أنه قال : " الرحمن اسم خاص بصفة عامة ، والرحيم اسم عام بصفة خاصة " ( ٢ ) . وتعلقت الباء في * ( بسم الله ) * بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ ، ليختص اسم الله بالابتداء به ( ٣ ) ، كما يقال للمعرس : " باليمن والبركة " بمعنى : أعرست ، وإنما قدر المحذوف متأخرا لأنهم يبتدئون بالأهم عندهم ، ويدل على ذلك قوله : * ( بسم الله مجريها ومرسيها ) * ( ٤ ) . * ( الحمد لله رب العلمين ) * ( ٢ ) * ( الحمد ) * والمدح أخوان ، وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها ، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة ، والحمد باللسان وحده ، والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ، ومنه قوله ( عليه السلام ) : " الحمد رأس الشكر " ( ٥ ) ، والمعنى في كونه رأس الشكر : أن الذكر باللسان أجلى وأوضح وأدل على مكان النعمة وأشيع للثناء على موليها من الاعتقاد وعمل الجوارح ، ونقيض الحمد الذم ، ونقيض الشكر الكفران .

* ( هامش ) *

( ١ ) وهو المروي عن الصادق ( عليه السلام ) ، رواه عنه الصدوق باسناده في كتاب التوحيد : ص ٢٣٠ ح ٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره : ج ١ ص ٨٤ وعزاه الى العرزمي .

( ٢ ) أورده في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ٢١ .

( ٣ ) في نسخة : بالابتدائية .

( ٤ ) هود : ٤١ .

( ٥ ) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير : ج ١ ص ١٥٢ ، وفي الدر المنثور : ج ١ ص ٣٠ وعزاه لعبد الرزاق في المصنف والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الأدب والديلمي في مسند الفردوس والثعلبي في تفسيره والزبيدي في اتحاف المتقين : ج ٩ ص ٤٩ . ( * )

/ صفحة ٥٤ /

*(٤٥/١)*

---

وإنما عدل بالحمد عن النصب الذي هو الأصل في كلامهم على أنه من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة ، كقولهم : شكرا وعجبا . . . ونحو ذلك إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ، دون تجدده وحدوثه في نحو قولك : أحمد الله حمدا . ومعناه : الثناء الحسن الجميل والمدح ( ١ ) الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلائل النعم ، المنشئ للخلائق والامم ( ٢ ) . سورة الفاتحة / ٣ – ٥ والرب : السيد المالك ، ومنه قول صفوان لأبي سفيان ( ٣ ) : لان يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن ( ٤ ) . يقال : ربه يربه فهو رب ، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده ، ويقيد في غيره فيقال : رب الدار ، ورب الضيعة . والعالم : اسم لأولي العلم من الملائكة والثقلين ، وقيل : هو اسم لما يعلم به الصانع من الجواهر والأجسام والأعراض ، وجمع بالواو والنون وإن كان اسما غير صفة لدلالته على معنى العلم ، وليشمل كل جنس مما سمي به ( ٥ ) .

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : الحمد .

( ٢ ) في بعض النسخ : النعم .

*(٤٦/١)*

---

( ٣ ) هو صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، من سادات قريش في الجاهلية ، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية ، ولد سنة ٥٧ ق هـ ، كان من المؤلفة ، وكان قبل ذلك رأس المشركين في حرب الاسلام عند ظهوره ، حيث قاد قريشا وكنانة يوم احد ويوم الخندق لقتال رسول

الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقيل : أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ، وروى ابن حجر قال : لما رأى أبو سفيان الناس يطؤون عقب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) حسده ، فقال في نفسه : لو عاودت الجمع لهذا الرجل ، فضرب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في صدره ثم قال : إذا يخزيك الله . ثم قال : ومن طريق أبي إسحاق السبيعي نحوه وزاد : ما أيقنت أنك رسول الله حتى الساعة . مات سنة ٣١ هـ بالمدينة ، وقيل : بالشام . ( الأغاني : ج ٦ ص ٨٩ ، والإصابة لابن حجر : ج ٢ ص ١٧٨ ت ٤٠٤٦ ، وتاريخ ابن عساكر : ج ٦ ص ٣٨٨ ، والبدء والتاريخ : ج ٥ ص ١٠٧ ، والأعلام للزركلي : ج ٣ ص ٢٠١ ) .

( ٤ ) حكاه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٠ .

( ٥ ) ذكره الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٠ - ١١ ، والهمداني في الفريد : ج ١ ص ١٦٥ . ( * )



---

* ( الرحمن الرحيم ) * ( ٣ ) مر معناهما ( ١ ) . * ( ملك يوم الدين ) * ( ٤ ) من قرأ : " ملك " ( ٢ ) فلأن الملك يعم والملك يخص ، ولقوله سبحانه : * ( ملك الناس ) * ( ٣ ) ، ومن قرأ : * ( ملك ) * بالألف فهو إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع ، أجري الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية ، والمراد : مالك الأمر كله في يوم الدين ، وهو يوم الجزاء من قولهم : كما تدين تدان . وهذه الأوصاف التي هي كونه سبحانه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شئ من ملكوته وربوبيته ، وكونه منعما بالنعم المتوافرة ( ٤ ) الباطنة والظاهرة ، وكونه مالكا للأمر كله في الدار الآخرة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله : * ( الحمد لله ) * فيها دلالة باهرة على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء . * ( إياك نعبد وإياك نستعين ) * ( ٥ ) " إيا " ضمير منفصل للمنصوب ، والكاف والهاء والياء اللاحقة به في " إياك وإياه وإياي " لبيان ( ٥ ) الخطاب والغيبة والتكلم ، ولا محل لها من الإعراب ، إذ هي حروف عند المحققين وليست بأسماء مضمرة كما قال بعضهم ( ٦ ) . وتقديم المفعول

* ( هامش ) *

( ١ ) مر في ص ١٢ ، فراجع .

( ٢ ) قرأه ابن عباس وابن عمر وأبو الدرداء ومجاهد وابن وثاب والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن جريج والجحدري وابن محيصن وابن جندب وأبو عبيد وزيد ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٠٤ ، والتيسير في القراءات للداني :

ص ١٨ ، والإملاء للعكبري : ج ١ ص ٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٢٠ .
( ٣ ) الناس : ٢ .
( ٤ ) في نسخة زيادة : المتواترة .
( ٥ ) في نسخة : بلسان .
( ٦ ) قاله الأخفش في معاني القرآن : ج ١ ص ١٦٣ ، وعنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ = ( * )
/ صفحة ٥٦ /



---

إنما هو لقصد الاختصاص ، والمعنى : نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة . والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفيته ، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ولذلك لا تحسن إلا لله سبحانه الذي هو مولى أعظم النعم ، فهو حقيق بغاية الشكر . وإنما عدل فيه عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب على عادة العرب في تفننهم في محاوراتهم ، ويسمى هذا التفاتا ، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم كقوله سبحانه : * ( حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ) * ( ١ ) ، وقوله : * ( والله الذى أرسل الريح فتثير سحابا فسقنه ) * ( ٢ ) . وأما الفائدة المختصة به في هذا الموضع فهو أن المعبود الحقيق بالحمد والثناء لما أجري عليه صفاته العلى تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالعبادة والاستعانة به في المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، وقيل : إياك – يامن هذه صفاته – نخص بالعبادة والاستعانة ، ولا نعبد غيرك ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك المتميز ( ٣ ) الذي لا تحق العبادة إلا له ( ٤ ) . سورة الفاتحة / ٦ و ٧ وقرنت الاستعانة بالعبادة ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته ، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها ، وأطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه . والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ، فيكون قوله : * ( اهدنا ) * بيانا للمطلوب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا :
* ( هامش ) *
= ص ١٣ ، وبه قال الهمداني في الفريد في إعراب القرآن : ج ١ ص ١٦٧ .
( ١ ) يونس : ٢٢ .
( ٢ ) فاطر : ٩ .
( ٣ ) في بعض النسخ : التميز .

( ٤ ) قاله الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٤ . ( * )
/ صفحة ٥٧ /



---

* ( اهدنا الصرا ط المستقيم ) * ( ٦ ) أصل " هدى " أن يتعدى باللام أو بـ " إلى " ، كقوله تعالى : * ( يهدى للتى هي أقوم ) * ( ١ ) ، و * ( إنك لتهدى إلى صرا ط مستقيم ) * ( ٢ ) ، فعومل معاملة " اختار " في قوله تعالى : * ( واختار موسى قومه ) * ( ٣ ) . و " السراط " بالسين الجادة ، من سرط
الشئ إذا ابتلعه ، لأنه يسرط المارة إذا سلكوه كما سمي لقما ( ٤ ) لأنه يلتقم السابلة ، وبالصاد من قلب السين صادا لأجل الطاء ، وهي اللغة الفصحى ( ٥ ) ( ٦ ) ، و * ( الصرا ط المستقيم ) * هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره ، وإنما سمي الدين صراطا لأنه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنة كما أن الصراط يؤدي بمن يسلكه إلى مقصده ، وعلى هذا فمعنى قوله : * ( اهدنا ) * زدنا هدى بمنح الألطاف ، كقوله سبحانه : * ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) * ( ٧ ) ، ورووا عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : أن معناه : ثبتنا ( ٨ ) . وروي في بعض الأخبار : أن الصادق ( عليه السلام ) قرأ : " اهدنا صراط المستقيم " بإضافة " صراط " الى " المستقيم " ( ٩ ) . * ( صرا ط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) * ( ٧ ) هو بدل من * ( الصرا ط المستقيم ) * ، وهو في حكم تكرير العامل ، فكأنه قال :

* ( هامش ) *

( ١ ) الاسراء : ٩ .

( ٢ ) الشورى : ٥٢ .

( ٣ ) الأعراف : ١٥٥ .

( ٤ ) في نسخة : لقيما .

( ٥ ) في نسخة : لغة الفصحاء .

( ٦ ) راجع تفصيله في الكشاف : ج ١ ص ١٥ ، والفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ١٧٢ .

( ٧ ) محمد : ١٧ .

( ٨ ) رواه عنه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٥ . ( ٩ ) تفسير العياشي : ج ١ ص ٢٤ ح ٢٦ ، وعنه البرهان : ج ١ ص ٥٢ ح ٣٥ . ( * )
/ صفحة ٥٨ /

اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، وفائدة البدل التوكيد ، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره : صراط من خصهم الله تعالى بعصمته ، وأمدهم ( ١ ) بخواص نعمته ، واحتج بهم على بريته ، وفضلهم على كثير من خليقته ، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على آكد الوجوه ، كما تقول : هل أدلك على أكرم الناس فلان ؟ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم من قولك : هل أدلك على فلان الأكرم ؟ لأنك بينت كرمه مجملا أولا ومفصلا ثانيا ، وأوقعت فلانا تفسيرا للأكرم ، فجعلته علما في الكرم ، فكأنك قلت : من أراد رجلا جامعا للكرم فعليه بفلان ، فهو المعين لذلك غير مدافع فيه ، وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام . وروي عن أهل البيت ( عليهم السلام ) : " صراط من أنعمت عليهم " وعن عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير ( ٢ ) ( ٣ ) ، والصحيح هو المشهور . * ( غير المغضوب عليهم ) * بدل من * ( الذين أنعمت عليهم ) * على معنى : أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو صفة على معنى : أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة العصمة وبين السلامة من غضب الله والضلالة . ويجوز أن يكون * ( غير ) * هاهنا صفة وإن كان " غير " لا يقع صفة للمعرفة ولا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن * ( الذين أنعمت عليهم ) * لا توقيت فيه ، فهو كقوله : ولقد أمر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمة قلت لا يعنيني ( ٤ )

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : أيدهم .

( ٢ ) في نسخة : وابن الزبير .

( ٣ ) انظر تفسير القمي : ج ١ ص ٢٩ ، والتبيان : ج ١ ص ٤٣ ، وتفسير الماوردي : ج ١ ص ٦٠ .

( ٤ ) البيت منسوب لرجل من بني سلول ، وقيل : هو شمر بن عمرو الحنفي ، ومعناه لا يحتاج إلى بيان . راجع مغني اللبيب : ص ١٠٢ و ٤٢٩ و ٦٤٥ ، والكشاف : ج ١ ص ١٦ ، ومعاني القرآن للأخفش : ج ١ ص ٣٢٣ ، والأصمعيات : ص ١٢٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي : ج ١ ص ١٧٣ . ( * )

/ صفحة ٥٩ /

ولأن * ( المغضوب عليهم ) * و * ( الضالين ) * خلاف المنعم عليهم ، فليس في * ( غير ) * إذا الإبهام الذي يأبى له أن يتعرف ، وقيل : إن المغضوب عليهم هم اليهود ، لقوله تعالى : * ( من لعنه الله وغضب عليه ) * ( ١ ) والضالين هم النصارى ، لقوله تعالى : * ( قد ضلوا من قبل ) * ( ٢ ) ( ٣ ) . ومعنى غضب الله إرادة الانتقام منهم وإنزال العقاب ( ٤ ) بهم ، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده ، ومحل * ( عليهم ) * الأولى نصب على المفعولية ، ومحل * ( عليهم ) * الثانية رفع على الفاعلية ( ٥ ) . وأصل الضلال الهلاك ، ومنه قوله : * ( وأضل أعملهم ) * ( ٦ ) أي : أهلكها ( ٧ ) ، والضلال في الدين هو الذهاب عن الحق .

* ( هامش ) *

( ١ ) المائدة : ٦٠ .

( ٢ ) المائدة : ٧٧ .

( ٣ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ٢ ، وفي التبيان : ج ١ ص ٤٥ قال : وروي ذلك عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) .

( ٤ ) في نسخة : العذاب .

( ٥ ) انظر الكشاف للزمخشري : ج ١ ص ١٧ ، والفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ١٧٨ . ( ٦ ) محمد : ٨ . ( ٧ ) في نسخة : أهلكتهم . ( * )

/ صفحة ٦٠ /

سورة البقرة / ١ سورة البقرة مدنية ( ١ ) ( ٢ ) ، وهي مائتان وست وثمانون آية كوفي ، وسبع بصري * ( الم ) * و * ( تتفكرون ) * ( ٣ ) كوفي ، * ( إلا خائفين ) * ( ٤ ) و * ( قولا معروفا ) * ( ٥ ) و * ( الحى القيوم ) * ( ٦ ) بصري . عن أبي عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال : " من قرأ سورة البقرة فصلوات الله عليه ورحمته ،

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة زيادة : إلا آية وهو قوله تعالى : * ( واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ) * الآية : ٢٨١ فانها نزلت بمنى في حجة الوداع .



---

( ٢ ) قال الشيخ الطوسي في تبيانه : ج ١ ص ٤٧ : وهي مائتان وست وثمانون آية في الكوفي وسبع بصري وخمس مدني ، وروي أن قوله : * ( واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ) * نزلت في حجة الوداع . ونحوه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ٦٣ . وقال ابن كثير في تفسيره : ج ١ ص ٣٤ : والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، وهي من أوائل ما نزل بها ، لكن قوله تعالى فيه : * (

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ) * الآية يقال : إنها آخر ما نزل من القرآن ، ويحتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل ، وكان خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن . قال بعض العلماء : وهي مشتملة على ألف خبر والف أمر وألف نهي ، وقال العادون : آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف .

( ٣ ) آية : ٢١٩ .

( ٤ ) آية : ١١٤ .

( ٥ ) آية : ٢٣٥ .

( ٦ ) آية : ٢٥٥ . ( * )

/ صفحة ٦١ /

(٥٣/١)

---

وأعطي من الأجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته " ، وقال لي : " يا أبي ، مر المسلمين أن يتعلموا سورة البقرة فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة " ، قلت : يا رسول الله من البطلة ؟ قال : " السحرة " ( ١ ) . وعن الصادق ( عليه السلام ) : " من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة يظلان ( ٢ ) على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيايتين " ( ٣ ) ( ٤ ) . * ( بسم الله الرحمن الرحيم الم ) * ( ١ ) اختلف في هذه الفواتح المفتتح بها السور ، فورد عن أئمتنا ( عليهم السلام ) : أنها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها ، ولا يعلم تأويلها غيره ( ٥ ) . وعن الشعبي ( ٦ ) قال : لله تعالى في كل كتاب سر ، وسره في القرآن حروف التهجي في أوائل السور ( ٧ ) . وقال الأكثرون في ذلك وجوها : منها : أنها أسماء للسور ، تعرف كل سورة بما افتتحت به . ومنها : أنها أقسام أقسم الله تعالى بها لكونها مباني كتبه ، ومعاني أسمائه وصفاته ، وأصول كلام الأمم كلها . ومنها : أنها مأخوذة من صفات الله

* ( هامش ) *

( ١ ) أورده في مجمع البيان : ج ١ – ٢ ص ٣٢ ، وتفسير الكشاف : ج ١ ص ٣٣٤ .

( ٢ ) في نسخة : يظلانه .

( ٣ ) في بعض النسخ : الغيابتين ، وفي اخرى : الغبابتين . وما أثبتناه لما في الصحاح من أن الغياية ( بيائين ) كل شئ أظل الانسان فوق رأسه ، مثل : السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك . ( الصحاح : مادة غيي ) .

( ٤ ) ثواب الأعمال للصدوق : ص ١٣٠ .
( ٥ ) معاني الأخبار للصدوق : ص ٢٤ ، رسائل المرتضى : ج ٣ ص ٣٠١ .



---

( ٦ ) هو أبو عمرو ، عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي ، كان فقيها ومن كبار التابعين ، روى عن مائة وخمسين من أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ولكن لا يخفى أنه عند علماء الشيعة مذموم مطعون ، وقد روى عنه أشياء ردية . مات بالكوفة سنة ١٠٤ هـ . ( الكنى والألقاب للقمي : ج ٢ ص ٣٦١ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : ج ٢ ص ٢٢٧ ) . ( ٧ ) حكاه عنه القرطبي في تفسيره : ج ١ ص ١٥٤ . ( * )
/ صفحة ٦٢ / عز وجل ، كقول ابن عباس في * ( كهيعص ) * : إن الكاف من كاف ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق ، و * ( الم ) * معناه : أنا الله أعلم ( ١ ) . ومنها : أن كل حرف منها يدل على مدة قوم وآجال آخرين ، إلى غير ذلك من الوجوه ( ٢ ) . على أن هذه الفواتح وغيرها من الألفاظ التي يتهجى بها عند المحققين أسماء مسمياتها حروف الهجاء ( ٣ ) التي ركبت منها الكلم ، وحكمها أن تكون موقوفة كأسماء الأعداد ، تقول : ألف ، لام ، ميم ، كما تقول : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، فإذا وليتها العوامل أعربت ، فقيل : هذه الف ، وكتبت لاما ، ونظرت إلى ميم . قال الشاعر : إذا اجتمعوا على ألف وياء * وواو هاج بينهم جدال ( ٤ ) * ( ذا لك الكتب لاريب فيه هدى للمتقين ) * ( ٢ ) سورة البقرة / ٢ إن جعلت * ( الم ) * اسما للسورة ، ففيه وجوه : أحدها : أن يكون * ( الم ) * مبتدأ ، و * ( ذا لك ) * مبتدأ ثانيا ، و * ( الكتب ) * خبره ، والجملة خبر المبتدأ الأول ، فيكون المعنى : إن ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا ، كأن ما سواه من الكتب ناقص بالإضافة إليه ، كما تقول : هو الرجل ، أي : الكامل في الرجولية . والثاني : أن يكون الكتاب صفة ، فيكون المعنى : هو * ( ذا لك الكتب ) *
* ( هامش ) *
( ١ ) تفسير ابن عباس : ص ٣ و ٢٥٣ ، وعنه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٤٤ .



---

( ٢ ) انظر تفصيل الأقوال ومن ذهب إليها في التبيان : ج ١ ص ٤٧ – ٤٩ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٤٤ ، وتفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣٤ .

( ٣ ) في نسخة زيادة : المبسوطة .

( ٤ ) البيت ليزيد بن الحكم كما نسبه إليه الزجاج وابن الأنباري والقالي ، وروى الحريري في درة الغواص عن الأصمعي قال : أنشدني عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، وذكر البيت . انظر معاني القرآن واعرابه : ج ١ ص ٦١ ، وخزانة الأدب : ج ١ ص ١١٠ – ١١٢ ، والمقتضب : ج ١ ص ٢٣٦ وفيه : " قتال " بدل " جدال " . ( * )



---

الموعود . والثالث : أن يكون التقدير : " هذه الم " فتكون جملة ، و * ( ذا لك الكتب ) * جملة أخرى . وإن جعلت * ( الم ) * بمنزلة الصوت كان * ( ذا لك ) * مبتدأ و * ( الكتب ) * خبره ، أي : ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل ، أو الكتاب صفة والخبر ما بعده ، أو قدر مبتدأ محذوف ، أي : هو – يعني المؤلف من هذه الحروف – ذلك الكتاب . والريب : مصدر رابه يريبه إذا حصل فيه الريبة ، وحقيقة الريبة : قلق النفس واضطرابها ، وفي الحديث : " دع ما يريبك إلى مالا يريبك " ( ١ ) والمعنى أنه من وضوح دلالته بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه ، إذ لا مجال للريبة فيه . والمشهور الوقف على * ( فيه ) * ، وبعض القراء يقف على * ( لاريب ) * ، ولابد لمن يقف عليه أن ينوي خبرا ، ونظيره قوله : لا ضير ، والتقدير : " لا ريب فيه ، فيه هدى " ، والهدى : مصدر على فعل كالسرى ، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية ، وقد وضع المصدر الذي هو * ( هدى ) * موضع الوصف الذي هو " هاد " ، والمتقي في الشريعة هو الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقاب من فعل أو ترك ، وسماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين ، كقول النبي ( صلى الله عليه وآله ) : " من قتل قتيلا فله سلبه " ( ٢ ) وقوله تعالى : * ( ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ) * ( ٣ ) أي : صائرا إلى الفجور والكفر ، فكأنه قال : هدى للصائرين إلى التقى ، ولم يقل : " هدى للضالين " لأن الضالين فريقان : فريق علم بقاؤهم على الضلالة وفريق علم مصيرهم إلى الهدى ، فلا يكون هدى

* ( هامش ) *

( ١ ) مسند أحمد : ج ٣ ص ١٥٣ ، ومستدرك الحاكم : ج ٢ ص ١٣ .

( ٢ ) المصنف لابن أبي شيبة : ج ١٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٢ ، وج ١٤ ص ٥٢٤ ، طبقات ابن سعد : ج ٣ ص ٣٦٤ ، نصب الراية للزيلعي : ج ٣ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣٤ ، بداية النهاية

: ج ٤ ص ٣٤٨ .
( ٣ ) نوح : ٢٧ . ( * )
/ صفحة ٦٤ /



---

لجميعهم ، وأيضا : فقد صدرت السورة التي هي أولى الزهراوين ( ١ ) وسنام القرآن وأول المثاني بذكر المرتضين من عباد الله وهم المتقون . * ( الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ) * الموصول : إما أن يكون مجرورا بأنه صفة للمتقين أو منصوبا أو مرفوعا على المدح على تقدير : أعني الذين يؤمنون ، أو هم الذين يؤمنون . وإما أن يكون منقطعا عما قبله مرفوعا على الابتداء وخبره * ( أولئك على هدى ) * ، والإيمان إفعال من الأمن يقال : أمنت شيئا وآمنت غيري ، ثم يقال : آمنه إذا صدقه ، وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة ، وعدي بالباء فقيل : آمن به ، لأنه ضمن معنى : أقر واعترف ، ويجوز أن يكون على قياس فعلته فأفعل ، فيكون " آمن " بمعنى صار ذا أمن في نفسه بإظهار التصديق . وحقيقة الإيمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله ، وكل عارف بشئ فهو مصدق به . سورة البقرة / ٣ و ٤ ولما ذكر سبحانه الإيمان علقه بالغيب ليعلم أنه التصديق لله تعالى فيما أخبر به رسوله مما غاب عن العباد علمه : من ذكر القيامة والجنة والنار وغير ذلك ، ويجوز أن يكون * ( بالغيب ) * في موضع الحال ، ولا يكون صلة لـ * ( يؤمنون ) * ، أي : يؤمنون غائبين عن مرأى الناس ، وحقيقته متلبسين ( ٢ ) بالغيب ، كقوله : * ( يخشون ربهم بالغيب ) * ( ٣ ) فيكون الغيب بمعنى : الغيبة والخفاء ، وعلى المعنى الأول يكون الغيب بمعنى : الغائب ، من قولك : غاب الشئ غيبا ، فيكون مصدرا سمي به .

* ( هامش ) *

( ١ ) الزهراوان : سورتا البقرة وآل عمران كما في الحديث . انظر مستدرك الحاكم : ج ١ ص ٥٦٠ .

( ٢ ) في بعض النسخ : ملتبسين .

( ٣ ) الأنبياء : ٤٩ . ( * )

/ صفحة ٦٥ /



---

ثم عطف – سبحانه – على الإيمان بذكر الصلاة التي هي رأس العبادات البدنية ، فقال : * ( ويقيمون الصلوة ) * أي : يحافظون عليها ويتشمرون لأدائها ، من قولهم : قام بالأمر ، أو ( ١ ) يؤدونها ، فعبر عن الأداء بالإقامة ، أو يعدلون أركانها ، من قولهم : أقام العود إذا قومه . * ( ومما رزقنهم ينفقون ) * ( ٣ ) ثم عطف على ذلك بالعبادة المالية التي هي الإنفاق ، فقال : * ( ومما رزقنهم ) * أسند الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم * ( ينفقون ) * الحلال الطلق الذي يستأهل أن يسمى رزقا من الله ، و " من " للتبعيض ، فكأنه يقول : ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به . وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بالصلاة ، وأن تراد هي وغيرها من الصدقات والنفقات في وجوه البر لمجيئه مطلقا ، وعن الصادق ( عليه السلام ) : " ومما علمناهم يبثون " ( ٢ ) .

* ( والذين يؤمنون بمآ أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ) * ( ٤ ) يحتمل أن يراد بهولاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ( ٣ ) وغيره ، فيكون

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : أي .

( ٢ ) كذا ذكره المصنف هنا وفي مجمع البيان : ج ١ – ٢ ص ٣٩ بلفظ " يبثون " ، لكن في تفسير العياشي : ج ١ ص ٢٦ ح ١ ، والبحار : ج ٢١ ص ٢١ ، والبرهان : ج ١ ص ٥٣ ، والصافي : ج ١ ص ٥٨ و ٥٩ بلفظ " ينبئون " .

( ٣ ) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي أبو يوسف ، حليف بني عوف بن الخزرج ، أسلم عند قدوم النبي ( صلى الله عليه وآله ) المدينة ، قيل : كان اسمه الحصين فسماه النبي ( صلى الله عليه وآله ) عبد الله وشهد له بالجنة . روى عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، وعنه ابناه ، شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . ( الاستيعاب : ج ٣ ص ٩٢١ ) . ( * )

/ صفحة ٦٦ /



---

المعطوف غير المعطوف عليه ، ويحتمل أن يراد وصف الأولين ، فيكون المعنى : أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه . وقوله : * ( هم يوقنون ) * تعريض بأهل الكتاب ، وأنهم يثبتون أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، ولا يصدر قولهم عن إيقان ، و " الآخرة " تأنيث الآخر وهي صفة الدار ، بدليل قوله تعالى : * ( تلك الدار الاخرة ) * ( ١ ) وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا . والإيقان واليقين : هو العلم الحاصل بعد استدلال ونظر ، ولذلك لا يطلق " الموقن " على الله تعالى

لاستواء الأشياء في الجلاء عنده . * ( أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) * ( ٥ ) الجملة في محل ( ٢ ) الرفع إن كان * ( الذين يؤمنون بالغيب ) * مبتدأ وإلا فلا محل لها ، وفي اسم الإشارة الذي هو * ( أولئك ) * إيذان بأن ما يرد عقيبه ، فالمذكورون قبله أهل له من أجل الخصال التي عددت لهم ، ومعنى الاستعلاء في قوله : * ( على هدى ) * مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه ، شبهت حالهم بحال من اعتلى شيئا وركبه ، ومعنى * ( من ربهم ) * : منحوه وأعطوه من عنده ، وهو اللطف والتوفيق على أعمال البر . ونكر * ( هدى ) * ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ، كأنه قيل : على أي هدى ، وفي تكرير * ( أولئك ) * تنبيه على أنهم تميزوا بكل واحدة من الأثرتين اللتين هما الهدى والفلاح عن غيرهم . سورة البقرة / ٥ و * ( هم ) * سماه البصريون فصلا ، والكوفيون عمادا ، وفائدته الدلالة على أن المذكور بعده خبر لا صفة وتوكيد ، وإيجاب أن فائدة الخبر ثابتة للمخبر عنه دون

* ( هامش ) *

( ١ ) القصص : ٨٣ .

( ٢ ) في نسخة : موضع . ( * )

/ صفحة ٦٧ /



---

غيره ، ويجوز أن يكون * ( هم ) * مبتدأ و * ( المفلحون ) * خبره ، والجملة خبر * ( أولئك ) * . و " المفلح " : الفائز بالبغية ، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر . و " المفلج " بالجيم مثله ( ١ ) . وقوله : * ( على هدى من ربهم ) * أدغمت بغنة وغير غنة ، والغنة : صوت خفي يخرج من الخيشوم ، والنون الساكنة والتنوين لهما ثلاثة أحوال مع الحروف في جميع القرآن : الإظهار وذلك مع حروف الحلق ، والإدغام و ( ٢ ) ذلك مع الميم ، نحو * ( هدى من ربهم ) * و * ( على أمم ممن معك ) * ( ٣ ) لا يجوز إلا الإدغام هنا لاشتراك النون والميم في الغنة ، والإخفاء وذلك مع سائر الحروف ، نحو * ( من دابة ) * ( ٤ ) و * ( بمن فيها ) * ( ٥ ) . وهذا عند جميع القراء إلا أبا عمرو ( ٦ ) وحمزة ( ٧ ) والكسائي ( ٨ ) فإنهم يدغمونهما في اللام والراء نحو : * ( هدى للمتقين ) * و * ( من

* ( هامش ) *

( ١ ) انظر لسان العرب : مادة فلج .

( ٢ ) في نسخة زيادة : يجوز .

( ٣ ) هود : ٤٨ .

( ٤ ) الانعام : ٣٨ .

( ٥ ) العنكبوت : ٣٢ .

( ٦ ) أبو عمرو ، هو زبان بن العلاء البصري ، أحد القراء السبعة ، سمع أنس بن مالك ، وعنه أحمد الليثي وأحمد اللؤلؤي ، عالم بالعربية والشعر ، توفي عام ١٥٤ هـ . ( فهرست ابن النديم : ص ٤٨ ، وطبقات الشعراء : ج ١ ص ٢٨٨ ، وتاريخ التراث العربي : مج ١ ج ١ ص ١٥٣ ) .

( ٧ ) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن الزبان التميمي ، أحد القراء السبعة ، ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ ، أخذ القراءة عرضا عن الأعمش وحمران بن أعين وغيرهما ، كان عالما بالقراءات ، بصيرا بالفرائض ، إليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم ، توفي سنة ١٥٦ هـ . ( المعارف لابن قتيبة : ص ٢٦٣ ، وفهرست ابن النديم : ص ٢٩ ، وغاية النهاية للجزري : ج ١ ص ٢٦١ – ٢٦٣ ، وأعيان الشيعة : ج ٦ ص ٢٣٨ ) .



---

( ٨ ) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي ، أحد القراء السبعة ، كان إماما في النحو واللغة والقراءات ، قرأ على يد حمزة ، كان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب ، توفي بالري وكان قد خرج إليها بصحبة هارون الرشيد وذلك سنة ١٨٩ هـ . ( وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٤٥٧ ، والكنى والألقاب : ج ٣ ص ١١٢ ) . ( * )

/ صفحة ٦٨ /

ربهم ) * ، ويدغمهما حمزة والكسائي في الياء نحو : * ( من يقول ) * ( ١ ) ، ويدغمهما حمزة في الواو ، نحو : * ( ظلمت ورعد وبرق ) * ( ٢ ) فاللام والراء والواو والياء عندهم بمنزلة الميم ، ويقال لها : حروف يرملون ، لأنها أيضا تدغم في النون نحو : * ( منى ) * ( ٣ ) و * ( منا ) * ( ٤ ) ( ٥ ) . * ( إن الذين كفروا سوآء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ) * ( ٦ ) سورة البقرة / ٧ لما قدم سبحانه ذكر الأتقياء عقبه بذكر الأشقياء وهم الكفار الذين لا ينفعهم اللطف ، و * ( سوآء عليهم ) * وجود الكتاب وعدمه ، وإنذار الرسول وترك إنذاره ، و * ( سوآء ) * اسم بمعنى الاستواء ، وصف به كما يوصف بالمصادر ، وهو خبر * ( إن ) * ، و * ( أنذرتهم أم لم تنذرهم ) * في موضع الرفع بالفاعلية ، كأنه ( ٦ ) قيل : مستو عليهم إنذارك وعدمه ، كما تقول : إن زيدا مختصم أخوه ( ٧ ) وابن عمه ، أو يكون * ( ءأنذرتهم أم لم تنذرهم ) * في موضع الابتداء و * ( سوآء ) * خبرا مقدما بمعنى سواء * ( عليهم ) * إنذارك وعدمه ، والجملة خبر لـ * ( إن ) * ، كذا ذكره جار الله العلامة ( ٨ ) لله دره ، وما أوردناه في مجمع البيان ( ٩ ) فهو من

كلام أبي علي الفارسي ( رحمه الله ) ( ١٠ ) ( ١١ ) . والإنذار : التخويف من عقاب الله . وقوله : * ( لا يؤمنون ) * جملة

* ( هامش ) *

( ١ ) البقرة : ٢٠٠ .

( ٢ ) البقرة : ١٩ .

( ٣ ) القصص : ٣٤ .

( ٤ ) الأنبياء : ١٠١ .



---

( ٥ ) راجع تفصيل ذلك في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٢٨ – ١٢٩ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٤٥ .

( ٦ ) في نسخة : كما .

( ٧ ) في نسخة : أبوه .

( ٨ ) في الكشاف : ج ١ ص ٤٧ .

( ٩ ) مجمع البيان : ج ١ – ٢ ص ٤٢ .

( ١٠ ) وأبو علي هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي ، فارس ميدان العلم والأدب ، وإمام وقته في علم النحو ، أقام بحلب وصنف كتبا لم يسبق الى مثلها ، ولد بمدينة " فسا " سنة ٢٨٨ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ . ( الكنى والألقاب : ج ٣ ص ٤ ) . ( ١١ ) في الحجة في علل القراءات : ج ١ ص ٢٠١ . ( * )

/ صفحة ٦٩ /



---

مؤكدة للجملة قبلها ، أو خبر لـ * ( إن ) * والجملة قبلها اعتراض . قيل : نزلت هذه الآية والتي بعدها في أبي جهل وأضرابه ( ١ ) ، وعلى هذا فيكون التعريف في * ( الذين كفروا ) * للعهد ، وقيل : هي في جميع من صمم على كفره على العموم ، فيكون التعريف للجنس ( ٢ ) . * ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصرهم غشوة ولهم عذاب عظيم ) * ( ٧ ) الختم والكتم أخوان ، والغشاوة فعالة من غشاه : إذا غطاه ، وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعمامة . والختم على

القلوب والأسماع وتغشية الأبصار من باب المجاز ، وهو نوعان : استعارة وتمثيل ، ويحتمل هنا كلا النوعين : أما الاستعارة ، فأن ( ٣ ) يجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها لإعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله ، وأسماعهم لأنها تنبو عن استماعه ( ٤ ) كأنهما ( ٥ ) مختوم عليهما ، وأبصارهم كأنما ( ٦ ) غطي عليها وحيل بينها وبين الإدراك . وأما التمثيل ، فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي خلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية . وأما إسناد الختم إلى الله ، فللتنبيه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها كالشئ الخلقي غير العرضي ، كما يقال : فلان مجبول على كذا ومفطور عليه ، يريدون أنه مبالغ في الثبات عليه . ووجه آخر : وهو أنهم لما علم الله سبحانه أنه لا طريق لهم

* ( هامش ) *

( ١ ) راجع التبيان : ج ١ ص ٣٧٧ . وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن مغيرة المخزومي ، كان من أشد الناس عداوة للنبي ( صلى الله عليه وآله ) ، وقتل كافرا يوم بدر .

( ٢ ) قاله الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ٤٧ .

( ٣ ) في بعض النسخ : فبأن .

( ٤ ) في نسخة : سماعه .

( ٥ ) في نسخة : كأنها .

( ٦ ) في بعض النسخ : كأنها . ( * )

/ صفحة ٧٠ /



---

إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا فلم يبق إلا القسر والإلجاء ، ولم يقسرهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف ، عبر عن ترك الإلجاء والقسر بالختم ، إشعارا بأنهم قد بلغوا الغاية القصوى في لجاجهم واستشرائهم في الغي والضلال . ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل والمصادر لا تجمع ، ولأنهم قالوا : كلوا في بعض بطنكم ( ١ ) تعفوا ، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس ، وإذا لم يؤمن ( ٢ ) لم يفعلوا ، لا تقول : ثوبهم وغلامهم وأنت تريد الجمع . والبصر : نور العين وهو ما يبصر به الرائي ، كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل . والعذاب مثل النكال بناء ومعنى ، لأنك تقول : أعذب عن الشئ إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه ، ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا ، أي : عقابا يرتدع به الجاني . والعظيم : نقيض الحقير ، كما أن الكبير نقيض الصغير ، فالعظيم فوق الكبير ،

كما أن الحقير دون الصغير . ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا ، تقول : رجل عظيم وكبير

جثته أو خطره . * ( ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين ) * ( ٨ ) سورة البقرة / ٩ افتتح سبحانه بذكر الذين آمنوا بالله سرا وعلانية ، ثم ثنى بالذين كفروا قلوبا وألسنة ، ثم ثلث بالمنافقين الذين أبطنوا خلاف ما أظهروا ، وهم أخبث ( ٣ ) الكفار وأمقتهم عنده ، ووصف حال الذين كفروا في آيتين ، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية ، وقصتهم معطوفة على قصتهم كما تعطف الجملة على الجملة . وأصل " ناس " أناس فحذفت همزته تخفيفا ، وحذفها مع لام التعريف

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : بطن بعضكم .

( ٢ ) في نسخة : يؤمنوا .

( ٣ ) في نسخة زيادة : من . ( * )

/ صفحة ٧١ /



---

كاللازم ، لا يكاد يقال : الأناس ، ويشهد لأصله إنسان وإنس ، وسموا بذلك لظهورهم وأنهم يؤنسون أي : يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم ، و " من " في * ( من يقول ) * موصوفة ، كأنه يقول : * ( ومن الناس ) * ناس يقولون كذا ، كقوله : * ( من المؤمنين رجال ) * ( ١ ) ، هذا إن جعلت اللام للجنس ، وإن جعلتها للعهد فموصولة ، كقوله : * ( ومنهم الذين يؤذون النبي ) * ( ٢ ) . وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة ، وفي قوله : * ( وماهم بمؤمنين ) * من التوكيد والمبالغة ما ليس في قولك : وما آمنوا ، لأن فيه إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن يكون ( ٣ ) طائفة من طوائف المؤمنين ، فقد انطوى تحته نفي ما ادعوه لأنفسهم من الإيمان على القطع . * ( يخدعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ) * ( ٩ ) المعنى : أن هؤلاء المنافقين صنعوا صنع الخادعين حيث تظاهروا بالإيمان وهم كافرون ، وصنع الله معهم صنع الخادع حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أهل الدرك الأسفل من النار ، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم ، فإن حقيقة الخدع أن يوهم الرجل صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه . ويجوز أن يريد : * ( يخدعون ) * رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ، كما يقال : قال الملك كذا ، وإنما القائل وزيره أو ( ٤ ) خاصته الذين قولهم قوله * ( وما يخدعون إلا أنفسهم ) * لأن ضررها يلحقهم ولا

* ( هامش ) *

( ١ ) الأحزاب : ٢٣ .
( ٢ ) التوبة : ٦١ .
( ٣ ) كذا في جميع النسخ لكن الظاهر أن الصحيح : يكونوا .
( ٤ ) في نسخة زيادة : بعض . ( * )
/ صفحة ٧٢ /



---

يعدوهم إلى غيرهم ، ومن قرأ : " يخادعون " ( ١ ) أتى به على لفظ يفاعلون للمبالغة . والنفس : ذات الشئ وحقيقته ، ثم قيل للقلب : نفس ، لأن النفس به نفس ( ٢ ) ، قالوا : المرء بأصغريه ، أي بقلبه ولسانه . وقيل أيضا للروح : نفس ، وللدم : نفس ، لأن قوامها بالدم ، وللماء : نفس لفرط حاجتها إليه ، ونفس الرجل أي : عين ، وحقيقته : أصيبت نفسه ، كما قيل : صدر الرجل وفئد ، وقالوا : فلان يؤامر نفسه ، إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان لا يدري على أيهما يعول ، كأنهم أرادوا داعي النفس ، والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم ، ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم . والشعور : علم الإنسان بالشئ علم حس ، ومشاعر الإنسان : حواسه . * ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ) * ( ١٠ ) سورة البقرة / ١١ استعير المرض لأعراض القلب ، كسوء الاعتقاد والغل والحسد وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض ، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك ، والمراد به هاهنا ما * ( في قلوبهم ) * من الكفر أو من الغل والحنق على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والمؤمنين * ( فزادهم الله مرضا ) * بما ينزل على رسوله من الوحي ، فيكفرون به ويزدادون كفرا إلى كفرهم ، فكأنه سبحانه زادهم ما ازدادوه ، وأسند الفعل إلى المسبب ( ٣ ) كما أسنده إلى السورة في قوله : * ( فزادتهم رجسا إلى
* ( هامش ) *
( ١ ) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والأعرج وابن جندب وشيبة ومجاهد وشبل وابن محيصن والزيدي . راجع التبيان : ج ١ ص ٦٨ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٣٩ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣٠٩ ، والاملاء للعكبري : ج ١ ص ١٠ ، والحجة في القراءات لأبي زرعة : ص ٨٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٥٧ .
( ٢ ) في نسخة : لأن قوام النفس به .
( ٣ ) في بعض النسخ : السبب . ( * )
/ صفحة ٧٣ /

رجسهم ) * ( ١ ) لكونها سببا ، أو أراد : كلما زاد رسوله نصرة وتمكنا في البلاد والعباد ازدادوا غلا وحسدا ، و ( ٢ ) ازدادت قلوبهم ضعفا وجبنا وخورا ( ٣ ) . وألم فهو أليم كوجع فهو وجيع ، ووصف العذاب به كقوله : تحية بينهم ضرب وجيع ( ٤ ) وهذا على طريقة قولهم : " جد جده " . والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد ، و * ( بما كانوا يكذبون ) * أي : بكذبهم ، وفي هذا إشارة إلى قبح الكذب وأن لحوق العذاب الأليم من أجل كذبهم ، وقرئ : " يكذبون " ( ٥ ) من كذبه الذي هو نقيض صدقه ، أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب ، أو بمعنى الكثرة . * ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ) * ( ١١ ) هذا معطوف على * ( يكذبون ) * ، ويجوز أن يكون معطوفا على * ( يقول ءامنا ) * لأنك لو قلت : ومن الناس من إذا قيل لهم : لا تفسدوا ، صح الكلام ، والفساد : خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعا به ، ونقيضه الصلاح ، وكان فساد

* ( هامش ) *

( ١ ) التوبة : ١٢٥ .

( ٢ ) في نسخة : أو .

( ٣ ) الخور – بالتحريك – : الضعف . ( القاموس المحيط والصحاح : مادة خور ) .

( ٤ ) وصدره : وخيل قد دلفت لها بخيل . والبيت منسوب لعمرو بن معد يكرب ضمن قصيدة بعث بها الى دريد بن الصمة عندما التمس منه زواج اخته ريحانة فأجابه ومطله . انظر الكشاف : ج ٢ ص ٦٠ ، وخزانة الأدب : ج ٩ ص ٢٥٧ ، والمقتضب : ج ٢ ص ٤١٣ ، والخصائص : ج ١ ص ٣٦٨ .

( ٥ ) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ، والأعرج وشيبة وأبي جعفر ومجاهد وشبل وأبو رجاء وأبو حاتم . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٤١ والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٢٧ – ٢٢٩ ، والحجة في القراءات لأبي زرعة : ص ٨٨ ، والتيسير في القراءات : ص ٧٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٦٠ . ( * )

/ صفحة ٧٤ /

المنافقين بميلهم إلى الكفار ، وإفشاء أسرار المسلمين ( ١ ) إليهم وإغرائهم عليهم ، ومعنى * ( إنما نحن مصلحون ) * : أن صفة المصلحين تمحضت لهم وخلصت من غير شائبة قادحة فيها ( ٢ ) من وجوه الفساد . * ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) * ( ١٢ ) * ( ألا ) * مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا ، كقوله : * ( أليس ذلك بقدر ) * ( ٣ ) ، رد الله سبحانه دعواهم أنهم المصلحون أبلغ رد بما في كلتا الكلمتين : " ألا " و " إن " من التأكيد ، وبتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله : * ( لا يشعرون ) * . * ( وإذا قيل لهم ءامنوا كمآ ءامن الناس قالوا أنؤمن كمآ ءامن السفهآء ألا إنهم هم السفهآء ولكن لا يعلمون ) * ( ١٣ ) السفه : خفة الحلم وسخافة العقل ، والمعنى : إذا نصحوا أو بصروا طريق الرشد بأن قيل لهم : صدقوا رسول الله كما صدقه الناس ، واللام في * ( الناس ) * للعهد ، أي : كما آمن أصحاب رسول الله وهم ناس معهودون ، أو عبد الله بن سلام وأضرابه ، أي : كما آمن أصحابكم وإخوانكم ، أو للجنس ، أي : كما آمن الكاملون في الإنسانية ، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل ، والاستفهام في * ( أنؤمن ) * للإنكار ، واللام في * ( السفهآء ) * مشار بها إلى الناس . سورة البقرة / ١٤ و ١٥ وفصلت هذه الآية بـ * ( لا يعلمون ) * والتي قبلها بـ * ( لا يشعرون ) * لأن أمر

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : المؤمنين .

( ٢ ) في بعض النسخ زيادة : بوجه .

( ٣ ) القيامة : ٤٠ . ( * )

/ صفحة ٧٥ /



---

الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يعلم ، وأما النفاق وما فيه من الفساد فأمر دنيوي ، فهو كالمحسوس المشاهد ، ولأنه قد ذكر السفه فكان ذكر العلم معه أحسن . * ( وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شيطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ) * ( ١٤ ) هذا بيان ما كانوا يعملونه مع المؤمنين ، أي : إذا لقوهم أوهموهم أنهم معهم ، وإذا فارقوهم إلى رؤسائهم من الكفار أو اليهود الذين أمروهم بالتكذيب قالوا : إنا على دينكم وصدقوهم ما في قلوبهم . وخلوت بفلان وخلوت إليه بمعنى انفردت معه ، و * ( إنا معكم ) * أي : إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم ، وقولهم : * ( إنما نحن مستهزءون ) * توكيد لقولهم

: * ( إنا معكم ) * ، لأن المعنى في * ( إنا معكم ) * الثبات على اليهودية ، وقولهم : * ( إنما نحن مستهزءون ) * رد للإسلام ودفع له ، لأن المستهزئ بالشئ – وهو المستخف به – منكر له ودافع ، ويجوز أن يكون بدلا منه أو استئنافا . * ( الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغينهم يعمهون ) * ( ١٥ ) معنى استهزاء الله تعالى بهم إنزال الهوان والحقارة بهم ، أو إجراء أحكام المسلمين عليهم عاجلا وقد أعد لهم أليم العقاب آجلا ، وسمي جزاء الاستهزاء باسمه ، كقوله : * ( وجزا ؤا سيئة سيئة مثلها ) * ( ١ ) . وفي استئناف قوله : * ( الله يستهزئ ) * من غير حرف عطف أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء * ( بهم ) * انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم بذلك ، وقوله :

* ( هامش ) *

( ١ ) الشورى : ٤٠ . ( * )

/ صفحة ٧٦ /



---

* ( ويمدهم ) * من مد الجيش وأمده إذا زاده ، والمعنى : أنه يمنعهم ألطافه التي يمنحها المؤمنين ويخذلهم بسبب كفرهم ، فتبقى قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها كما يتزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين . وأسند ذلك التزايد إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم . وعن الحسن ( ١ ) قال : في ضلالتهم يتمادون ( ٢ ) والطغيان : الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ، وفي إضافة الطغيان إليهم ما يدل على أن الطغيان والتمادي في الضلال مما اقترفته نفوسهم ، والعمه مثل العمى إلا أن العمه في الرأي خاصة ، وهو التحير والتردد ، لا يدري أين يتوجه . * ( أولئك الذين اشتروا الضللة بالهدى فما ربحت تجرتهم وما كانوا مهتدين ) * ( ١٦ ) سورة البقرة / ١٧ معنى اشتراء * ( الضللة بالهدى ) * اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة ، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ، والضلالة : الجور عن القصد ، وفي المثل : " ضل دريص نفقه " ( ٣ ) ، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين ، والربح : الفضل على رأس المال ، وأسند الخسران إلى التجارة مجازا ، والمعنى : أن المطلوب في التجارة سلامة رأس المال والربح ، وهؤلاء قد أضاعوا

* ( هامش ) *

( ١ ) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار ، أبو سعيد البصري ، مولى الأنصار ، كان فصيحا زاهدا ، وكان حافظا واعظا بارعا في وعظه ، وكان راويا عن كثير من الصحابة ، ولد لسنتين بقينا من خلافة عمر ، ونشأ بوادي القرى ، وتوفي سنة ١١٠ هـ وهو ابن ثمان وثمانين . ( تهذيب

التهذيب لابن حجر : ج ٢ ص ٢٦٣ – ٢٧٠ ، وميزان الاعتدال للذهبي : ج ١ ص ٢٥٤ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم : ج ٢ ص ١٣١ ، وأمالي السيد المرتضى : ج ١ ص ١٠٦ ) .
( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ٦٨ .



---

( ٣ ) الدرص : ولد الفأرة واليربوع والهرة وأشباهها ، ونفقه : جحره ، والمثل يضرب لمن يعني بأمره ويعد حجة لخصمه فينسى عند الحاجة . راجع مجمع الأمثال للميداني : ج ١ ص ٤٣٢ ، والقاموس المحيط : مادة ( درص ) . ( * )
/ صفحة ٧٧ /
الطلبتين ( ١ ) معا ، لأن رأس المال كان هو الهدى فلم يبق لهم ، ولم يصيبوا الربح لأن الضال خاسر . * ( مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلمآ أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمت لا يبصرون ) * ( ١٧ ) ثم زاد سبحانه في الكشف عن حالهم بضرب المثل ، فقال : * ( مثلهم ) * أي : حالهم كحال * ( الذى استوقد نارا ) * ، وضع " الذي " موضع " الذين " ، كقوله سبحانه : * ( وخضتم كالذى خاضوا ) * ( ٢ ) ، أو قصد جنس المستوقدين ، أو أراد الجمع الذي استوقد نارا ، على أن المنافقين لم تشبه ذواتهم بذات المستوقد ، بل شبهت قصتهم بقصة المستوقد ، فلا يلزم تشبيه الجماعة بالواحد ، واستوقد : طلب الوقود ، والوقود : سطوع النار وارتفاع لهبها ، والإضاءة : فرط الإنارة ، وهي متعدية في الآية ، ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى * ( ما حوله ) * والتأنيث للحمل على المعنى ، لأن ما حول المستوقد أشياء وأماكن . وجواب " لما " : * ( ذهب الله بنورهم ) * ، ويجوز أن يكون محذوفا ، لطول الكلام وأمن الالتباس ، كأنه قيل : * ( فلمآ أضاءت ما حوله ) * خمدت فبقوا متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، وعلى هذا فيكون * ( ذهب الله بنورهم ) * كلاما مستأ نفا ، كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد اعترض سائل فقال : ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد ؟ فقيل له : * ( ذهب الله بنورهم ) * ، ويجوز أن يكون قوله : * ( ذهب الله بنورهم ) * بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان .
* ( هامش ) *
( ١ ) الطلبة – بكسر اللام – : ما طلبته . ( القاموس المحيط : مادة طلب ) .
( ٢ ) التوبة : ٦٩ . ( * )
/ صفحة ٧٨ /

والفرق بين أذهبه وذهب به : أن معنى " أذهبه " : أزاله وجعله ذاهبا ، و " ذهب به " : استصحبه ومضى به معه ، قال : * ( فلما ذهبوا به ) * ( ١ ) ، فالمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكه ، وما يمسك الله فلا مرسل له ، فهو أبلغ من الإذهاب ، و " ترك " بمعنى طرح وخلى ، قالوا : تركه ترك الظبي ظله ، فإذا ضمن معنى " صير " تعدى إلى مفعولين وجرى مجرى أفعال القلوب ، نحو قول عنترة ( ٢ ) : فتركته جزر السباع ينشنه * يقضمن حسن بنانه والمعصم ( ٣ ) والمراد بالإضاءة انتفاع المنافقين بالكلمة المجراة على ألسنتهم ، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق الذي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله والعقاب الدائم ، ويجوز أن يكون قد شبه اطلاع الله على أسرارهم بذهاب الله بنورهم . ووجه آخر : وهو أنهم لما وصفوا باشتراء الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ، ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم . سورة البقرة / ١٩ * ( صم بكم عمى فهم لا يرجعون ) * ( ١٨ ) كانت حواسهم صحيحة لكنهم لما أبوا أن يصيخوا ( ٤ ) مسامعهم إلى الحق ، وأن

* ( هامش ) *

( ١ ) يوسف : ١٥ .

( ٢ ) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الاولى ، من أهل نجد ، امه حبشية اسمها : زبيدة ، سرى إليه السواد منها ، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا ، يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة ، اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر ، وشهد حرب داحس والغبراء وعاش طويلا ، قتل نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة . ( الشعر والشعراء لابن قتيبة : ص ١٣٠ ، والأغاني : ج ٨ ص ٢٤٠ ، وخزانة الأدب : ج ١ ص ٦٢ ، وشرح الشواهد : ص ١٦٤ ، وآداب اللغة : ج ١ ص ١١٧ ) .

( ٣ ) راجع ديوانه : ص ٦٤ ، وخزانة الأدب : ج ٩ ص ١٦٥ . أي : فتركته قتيلا تنهشه السباع والوحوش وتقتضم أصابعه وزنديه .



( ٤ ) أصاخ له : استمع . ( القاموس المحيط : مادة صاخ ) . ( * )



ينطقوا ألسنتهم بالحق ، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم ، جعلوا كأنهم انتقضت بنى مشاعرهم التي هي أصل الإحساس والإدراك كقوله : صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

( ١ ) و * ( لا يرجعون ) * معناه : لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه ، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها ، أو بقوا متحيرين لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون ، فكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه ؟ * ( أو كصيب من السماء فيه ظلمت ورعد وبرق يجعلون أصبعهم فئ اذانهم من الصوا عق حذر الموت والله محيط بالكفرين ) * ( ١٩ ) الصيب : المطر الذي يصوب ، أي : ينزل ويقع ، ويقال للسحاب : صيب أيضا ( ٢ ) . هذا تمثيل آخر لحال المنافقين ، ليكون كشفا لها بعد كشف ، والمعنى : أو كمثل ذوي صيب ، أي : كمثل قوم أخذهم المطر على هذه الصفة فلقوا منها مالقوا . قالوا : شبه دين الإسلام بالمطر ، لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأرض بالمطر ، وشبه ما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيبهم من أهل الإسلام بالصواعق . وقيل : شبه القرآن بالمطر ، وما فيه من الابتلاء والزجر بالظلمات والرعد ، وما فيه من البيان بالبرق ، وما فيه من الوعيد آجلا والدعاء إلى الجهاد عاجلا بالصواعق ( ٣ ) . وجاءت هذه الأشياء

* ( هامش ) *

( ١ ) البيت لقعنب بن ام صاحب الغطفاني كما في شرح درة الغواص : ص ١٣٠ ، وراجع لباب الآداب : ص ٤٠٣ مادة " اذن " . وأذنوا : أي استمعوا ، ومعناه لا يحتاج الى بيان .

( ٢ ) انظر لسان العرب : مادة ( صوب ) .

( ٣ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ٥ ، وتفسير الماوردي : ج ١ ص ٨٢ ، واختاره الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ٧٩ . ( * )



---

منكرة ، لأن المراد أنواع منها ، كأنه قيل : في الصيب ظلمات داجية ( ١ ) ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف . والضمير في * ( يجعلون ) * يرجع إلى أصحاب الصيب المضاف ، مع كونه محذوفا وقيام الصيب مقامه ، و * ( يجعلون ) * استئناف لا محل له ، و * ( من الصوا عق ) * يتعلق بـ * ( يجعلون ) * أي : من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم ، وصعقته الصاعقة : أهلكته ، فصعق أي مات : إما بشدة الصوت أو بالإحراق ، و * ( حذر الموت ) * مفعول له ، ومعنى إحاطة الله بالكافرين : أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة ، وهذه الجملة اعتراض . * ( يكاد البرق يخطف أبصرهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذآ أظلم عليهم قاموا ولو شآء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم إن الله على كل شئ قدير ) * ( ٢٠ ) سورة البقرة / ٢١ الخطف : الأخذ بسرعة ، لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول ، فكأن قائلا قال :

كيف حالهم مع مثل ذلك البرق ؟ فقيل : * ( يكاد البرق يخطف أبصرهم ) * ، فهذه جملة مستأنفة أيضا لا محل لها ، و * ( كلما أضاء لهم ) * استئناف ثالث ، كأنه جواب لمن يقول : كيف يصنعون في حالتي خفوق ( ٢ ) البرق وخفوته ( ٣ ) ؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون به ويذرون ، إذا خفق البرق مع خوفهم أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة ( ٤ ) ، فخطوا خطوات يسيرة ، * ( هامش ) *

( ١ ) داجية : مظلمة ، ومنه دجا الليل إذا أظلم . ( القاموس المحيط : مادة دجا ) .

( ٢ ) خفقت الراية : اضطربت . ( الصحاح : مادة خفق ) .

( ٣ ) خفت الريح : أي سكن . ( الصحاح : مادة خفت ) .

( ٤ ) في نسخة : فرضا . ( * )

/ صفحة ٨١ /



---

فإذا خفي بقوا واقفين متحيرين * ( ولو شآء الله ) * لزاد في قصيف الرعد فأصمهم ، و ( ١ ) في بريق البرق فأعماهم ، و * ( أضاء ) * إما متعد والمفعول محذوف ، بمعنى : كلما نور لهم مسلكا أخذوه ، وإما غير متعد بمعنى : كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره ، ومعنى * ( قاموا ) * وقفوا وثبتوا في مكانهم ، والمعنى : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ، وقد كثر هذا الحذف في " شاء " و " أراد " ، ولم

يبرزوا المفعول إلا في النادر ، كقوله : * ( لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذنه من لدنآ ) * ( ٢ ) والشئ ما يصح ( ٣ ) أن يعلم ويخبر عنه . * ( يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ) * ( ٢١ ) ولما عدد سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين ، أقبل عليهم بالخطاب ، وهو من الالتفات الذي تقدم ذكره ، وهو فن من الكلام فيه هز وتحريك من السامع ، وتنبيه واستدعاء لإصغائه إلى الحديث ، و * ( يا ) * حرف وضع في أصله لنداء البعيد ، و " أي " و " الهمزة " لنداء القريب ، و " أي " وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام ، كما أن " ذو " و " الذي " وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل ، وهو اسم مبهم يحتاج إلى ما يوضحه ، فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح ( ٤ ) المقصود بالنداء ، والذي عمل فيه حرف النداء " أي " والاسم التابع له صفته ، وقد كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ، لاستقلاله بأوجه من التأكيد في التدرج من الإبهام إلى التوضيح ، وكلمة التنبيه المقحمة بين " أي " وصفته لتعاضد حرف النداء بتأكيد

* ( هامش ) *

( ١ ) في بعض النسخ : أو .

( ٢ ) الأنبياء : ١٧ .

( ٣ ) في بعض النسخ : يصلح .

( ٤ ) في بعض النسخ : يصح . ( * )

/ صفحة ٨٢ /

(٧٦/١)

---

معناه ، وتكون عوضا مما يستحقه من الإضافة ، وكل ما نادى الله لأجله عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أمور عظام ومعان جليلة عليهم أن يتيقظوا لها ، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ . * ( الذى خلقكم ) * صفة لـ * ( ربكم ) * جرت عليه على سبيل المدح والثناء ، أي : * ( اعبدوا ربكم ) * على الحقيقة . والخلق : إيجاد الشئ على تقدير واستواء ، و " لعل " للترجي أو الإشفاق ، وقد جاء في مواضع من القرآن على سبيل الإطماع ، ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة ، جرى إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به ، و " لعل " في الآية ليس مما ذكرته في شئ بل هو واقع موقع المجاز ، لأنه سبحانه خلق عباده ليكلفهم ، وأزاح عللهم في التكليف من الإقدار والتمكين ، وأراد منهم الخير والتقوى ، فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ، لترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والمعصية ، كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل ، ومصداقه قوله : * ( ليبلوكم أيكم أحسن عملا ) * ( ١ ) ، وإنما يبلو ويختبر من يخفى عليه العواقب ، ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار . * ( الذى جعل لكم الارض فرا شا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرا ت رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ) * ( ٢٢ ) سورة البقرة / ٢٢ قدم سبحانه من موجبات عبادته خلقهم أحياء قادرين أولا ، ثم خلق الأرض التي هي مستقرهم الذي لابد لهم منه ومفترشهم ، ثم خلق السماء التي هي كالقبة

* ( هامش ) *

( ١ ) الملك : ٢ . ( * )

/ صفحة ٨٣ /

(٧٧/١)

---

المضروبة على هذا المستقر ، ثم ما سواه سبحانه من شبه عقد النكاح بينهما بإنزال الماء من المظلة منهما على المقلة ( ١ ) ، والإخراج به من بطنها أشباه النسل من ألوان الثمار * ( رزقا ) * لبني آدم ، ليقابلوا هذه النعمة العظيمة بواجب الشكر ، ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق مافوقهم وما تحتهم ، فيعلموا أنه لابد لها من خالق ليس كمثلها ، حتى لا يجعلوا المخلوقات * ( أندادا ) * له وهم يعلمون أنها لا تقدر على بعض ما هو عليه قادر . ومعنى جعل الأرض فراشا وبساطا ومهادا للناس : أنهم يتقلبون عليها كما يتقلب على الفراش والبساط والمهاد . والبناء مصدر سمي به المبني ، وأبنية العرب أخبيتهم ( ٢ ) ، ومنه " بنى على امرأته " . و " من " في * ( من الثمرا ت ) * للتبعيض ، كأنه قال : أنزلنا من السماء بعض الماء ، فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم ، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات . ويجوز أن يكون " من " للبيان ، كما تقول : أنفقت من الدراهم ألفا . وإذا كان " من " للتبعيض كان قوله : * ( رزقا ) * منصوبا بأنه مفعول له ، وإذا كان للبيان كان * ( رزقا ) * مفعولا به لـ " أخرج " . والند : المثل ، ولا يقال : الند إلا للمثل المخالف المناوئ أي : هو الذي حفكم ( ٣ ) بهذه الدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية ، فلا تتخذوا له شركاء * ( وأنتم ) * أهل المعرفة والتمييز ، أو أنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت ، أو أنتم تعلمون أنه لا يماثل .

* ( هامش ) *

( ١ ) أراد بالمقلة : الأرض الحاملة للمخلوقات عليها ، وبالمظلة : السماء التي تغطيها كالقبة .

( ٢ ) الأخبية جمع خباء ، وهو من الأبنية ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر . ( القاموس المحيط : مادة خبا ) .

( ٣ ) في نسخة : خصكم . ( * )

/ صفحة ٨٤ / *



---

( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين ) * ( ٢٣ ) لما احتج سبحانه على الناس للتوحيد وعلم الطريق إلى تصحيحه ، عطف على ذلك الحجة على نبوة نبيه محمد ( صلى الله عليه وآله ) فقال : إن ارتبتم فيما نزلنا ، أتى بلفظ التنزيل ، لأن المراد النزول على سبيل التدريج نجوما سورة بعد سورة وآيات بعد آيات على حسب النوازل والحوادث * ( على عبدنا ) * ورسولنا محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، فهاتوا أنتم سورة من أصغر السور . سورة البقرة / ٢٤ و ٢٥ والسورة إن كانت واوها أصلا : فإما أن سميت بسور المدينة لأنها طائفة من القرآن محدودة ، أو لأنها محتوية على فنون من العلم كاحتواء سور المدينة

على ما فيها ، وإما أن سميت بالسورة التي هي الرتبة ، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب ، و ( ١ ) لرفعة شأنها في الدين . وإن كانت واوها منقلبة عن همزة ، فلأنها قطعة من القرآن ، كالسؤرة ( ٢ ) التي هي البقية من الشئ * ( من مثله ) * متعلق بـ " سورة " صفة لها ، أي * ( بسورة ) * كائنة * ( من مثله ) * ، والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ، ويجوز أن يتعلق بقوله : * ( فأتوا ) * والضمير للعبد ، والمعنى : فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وحسن النظم ، أو هاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يأخذ من العلماء ولم يقرأ الكتب ، ورد الضمير إلى المنزل أوجه ، لقوله : * ( بسورة مثله ) * ( ٣ ) وقوله : * ( لا يأتون بمثله ) * ( ٤ ) ، ولأن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه ، فمن حقه أن لا يرد الضمير إلى غيره ، لأن المعنى : وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه ، وإن

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : أو .

( ٢ ) في بعض النسخ : السؤر .

( ٣ ) يونس : ٣٨ .

( ٤ ) الاسراء : ٨٨ . ( * )

/ صفحة ٨٥ /



---

كان الضمير مردودا إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فالمعنى : وإن ارتبتم في أن محمدا ( صلى الله عليه وآله ) منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ، و " الشهداء " جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ، والمعنى : ادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى فإنه القادر على أن يأتي بمثله دون كل شاهد . * ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكفرين ) * ( ٢٤ ) لما أرشدهم سبحانه إلى الوجه الذي منه يعرفون صحة نبوة النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال لهم : فإذا لم تعارضوه بسورة مثله ، ولم يتيسر لكم ذلك ، وبان لكم أنه معجز ، فآمنوا واتقوا النار المعدة لمن كذب ، وفيه دليلان على إثبات نبوته ( صلى الله عليه وآله ) : صحة كون القرآن معجزا ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا أبدا ، وهو غيب لا يعلمه إلا الله . والوقود : ما يوقد به النار وهو الحطب ، والمعنى في قوله : * ( وقودها الناس والحجارة ) * أنها نار ممتازة عن النيران الأخر ، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة ، وقرن الناس بالحجارة ، لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا ، حيث نحتوها أصناما ، وجعلوها لله أندادا ، وعبدوها من دونه ، قال سبحانه : * ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) * ( ١ ) ، ومعنى * (

أعدت ) * : هيئت وجعلت عدة لعذابهم . * ( وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصلحت أن لهم جنت تجرى من تحتها الانهر كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشبها ولهم فيها أزوا ج مطهرة وهم فيها خلدون ) * ( ٢٥ ) ثم ذكر سبحانه الترغيب بعد الترهيب ، وشفع الإنذار بالبشارة ، فبشر عباده الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال بعد أن أنذر الكفار وأوعدهم بالعذاب

* ( هامش ) *

( ١ ) الأنبياء : ٩٨ . ( * )

/ صفحة ٨٦ /

*(٨٠/١)*

---

والنكال ، والبشارة : الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ، والجنة : البستان من النخل والشجر ، وأصلها من الستر ، فكأنها لتكاثفها والتفاف أغصان أشجارها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره ، ولولا أن الماء الجاري من أعظم النعم وأكبر ( ١ ) اللذات لما جاء الله سبحانه بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها في قرن واحد ، كالشيئين لابد لأحدهما من صاحبه ، وإسناد الجري إلى الأنهار إسناد مجازي ، كقولهم : بنو فلان يطأهم الطريق . وإنما نكرت " الجنات " لأن دار الثواب تشتمل على جنات ( ٢ ) كثيرة مرتبة على حسب استحقاق كل طبقة من أهلها ، وعرفت " الأنهار " لإرادة الجنس ، كما تقول : لفلان بستان فيه الماء الجاري والعنب والفواكه ، أو يراد الأنهار المذكورة في قوله تعالى : * ( فيها أنهر من ماء غير ءاسن ) * الآية ( ٣ ) . * ( كلما رزقوا ) * إما أن يكون صفة ثانية لـ * ( جنت ) * ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو جملة مستأنفة ، والمعنى : أنهم كلما رزقوا من أشجار الجنات نوعا من أنواع الثمار * ( رزقا قالوا هذا ) * مثل * ( الذى رزقنا من قبل ) * وشبهه ، بدليل قوله : * ( وأتوا به متشبها ) * ، وهذا كقولك : أبو يوسف : أبو حنيفة ، تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ، والضمير في قوله : * ( وأتوا به ) * يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا ، لأن قوله : * ( هذا الذى رزقنا من قبل ) * انطوى تحته ذكر مارزقوه في الدارين ، ويجوز أن يرجع الضمير في * ( وأتوا به ) * إلى الرزق كما أن سورة البقرة / ٢٦ * ( هذا ) * إشارة إليه ، فيكون المعنى : أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه ، كما يحكى عن الحسن : يوتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ، ثم

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : أكرم .

( ٢ ) في نسخة : جنان .
( ٣ ) محمد : ١٥ . ( * )
/ صفحة ٨٧ /



---

يؤتى بالأخرى ، فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل ، فيقول الملك : كل فاللون واحد والطعم مختلف ( ١ ) . * ( ولهم فيها أزوا ج مطهرة ) * طهرن مما يختص بالنساء من المحيض ، وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ، ويدخل تحت ذلك الطهر من دنس الطباع وسائر العيوب . والخلد : الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع . * ( إن الله لا يستحى ى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذآ أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفسقين ) * ( ٢٦ ) لما ضرب الله تعالى المثلين للمنافقين قبل هذه الآية ، قالوا : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فنزلت ( ٢ ) الآية لبيان أن ما استنكروه من أن يكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار ، لأن في التمثيل كشف المعنى ورفع الحجاب عن المطلوب ، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ، ووصف القديم سبحانه بالحياء في مثل قوله ( عليه السلام ) : " إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا " ( ٣ ) جار مجرى التمثيل ، لأن الحياء تغير وانكسار يعتري

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٠٩ .
( ٢ ) انظر أسباب النزول للواحدي : ص ٢٧ في أحوال نزول هذه الآية .
( ٣ ) أخرجه في جامع الاصول : ج ٥ ص ١١ ح ٢١١٩ عن سلمان الفارسي ، ورواه أيضا في كنز العمال : ج ٢ ص ٨٧ ح ٣٢٦٦ و ٣٢٦٧ و ٣٢٦٨ عن علي ( عليه السلام ) وابن عمر ، وفي المستدرك للحاكم : ج ١ ص ٤٩٧ عن أنس ، وفي الترغيب والترهيب للمنذري : ج ٢ ص ٤٨٠ – ٤٨١ وقال : ورواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له وابن ماجة وابن حبان في صحيحه = ( * )
/ صفحة ٨٨ /



---

الإنسان من لحوق ( ١ ) ما يعاب به ويذم ، واشتقاقه من الحياة ، يقال : حيي الرجل ، كما يقال : نسي وحشي وشظي الفرس : إذا اعتلت منه هذه الأعضاء ، وجعل الحيي لما يعتريه من الانكسار منتقص الحياة ، فمثل تركه سبحانه تخييب العبد لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه ، وكذلك المعنى في الآية : أن الله تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها . و * ( ما ) * هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادته شياعا ، تقول : أعطني شيئا ما ، أو هي صلة زيدت للتأكيد نحو التي في قوله : * ( فبما رحمة ) * ( ٢ ) ، والمعنى : أن الله لا يستحيي ولا يترك أن يتمثل للأنداد بما لا شئ أصغر منه وأقل ، وانتصب * ( بعوضة ) * بأنها عطف بيان أو مفعول لـ * ( يضرب ) * ، و * ( مثلا ) * حال عن النكرة مقدمة عليه ، أو انتصبا مفعولين لـ * ( يضرب ) * ، لأنه أجري مجرى جعل . * ( فما فوقها ) * فيه معنيان : أحدهما : فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة ، والآخر : فما زاد عليها في الحجم ، و * ( الحق ) * : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، يقال : حق الأمر إذا ثبت ووجب ، و * ( ماذآ ) * فيه وجهان : أحدهما : أن يكون " ذا " اسما موصولا بمعنى " الذي " فتكون كلمتين ، والآخر : أن يكون " ذا " مركبة مع " ما " فتكون كلمة واحدة ، والضمير في * ( أنه الحق ) * للمثل أو لـ * ( أن يضرب ) * و * ( مثلا ) * نصب على التمييز . سورة البقرة / ٢٧ وقوله : * ( يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ) * جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المتقدمتين ، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة ، وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى ، وأن الجهل

* ( هامش ) *

= والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

( ١ ) في بعض النسخ : تخوف .

( ٢ ) آل عمران : ١٥٩ . ( * )

/ صفحة ٨٩ /



---

بحسن مورده من باب الضلالة ، وإسناد الإضلال إلى الله سبحانه إسناد الفعل إلى السبب ، لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالتهم ( ١ ) وهديهم ، والفسق : الخروج عن طاعة الله . * ( الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثقه ويقطعون مآ أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخسرون ) * ( ٢٧ ) النقض : الفسخ ، وشاع ( ٢ ) استعمال النقض في إبطال العهد من جهة أنهم سموا العهد بالحبل على الاستعارة ، ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة

: يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ، ونحن قاطعوها ، فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع الى قومك ( ٣ ) ، و * ( عهد الله ) * هو ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد ، أو ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، أو ما أخذ عليهم من الميثاق بأنه إذا بعث إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدقوه واتبعوه . والضمير في * ( ميثقه ) * للعهد ، ويجوز أن يكون الميثاق بمعنى : التوثقة ، كما أن الميعاد والميلاد بمعنى : الوعد والولادة ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله ، أي : من بعد توثقته عليهم . ومعنى قطعهم * ( مآ أمر الله به أن يوصل ) * : قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين ، وقيل : قطعهم ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض ( ٤ ) . والأمر : طلب الفعل ممن هو دونك ، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور ، لأن الداعي الذي يدعو إليه شبه بأمر يأمر به * ( هم الخسرون ) * لأنهم * ( هامش ) *

( ١ ) في بعض النسخ : بسبب إضلالهم .

( ٢ ) في بعض النسخ : ساغ .

( ٣ ) رواه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١١٩ .

( ٤ ) رواه الضحاك وعطاء عن ابن عباس كما في تفسير السمرقندي : ج ١ ص ١٠٥ . ( * ) / صفحة ٩٠ /



---

استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح . * ( كيف تكفرون بالله وكنتم أموا تا فأحيكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ) * ( ٢٨ ) معنى الهمزة التي في * ( كيف ) * مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان ، وهو الإنكار والتعجب ، والواو في قوله : * ( وكنتم أموا تا ) * للحال ، أي وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا : نطفا في أصلاب آبائكم * ( فأحيكم ) * فجعلكم أحياء * ( ثم يميتكم ) * بعد هذه الحياة * ( ثم يحييكم ) * بعد الموت ، وهذا الإحياء الثاني يجوز أن يراد به الإحياء في القبر ، وبقوله : * ( ثم إليه ترجعون ) * الحشر والنشور ، ويجوز أن يراد بالإحياء النشور وبالرجوع المصير إلى الحساب والجزاء ، وعطف الأول بالفاء ، لأن الإحياء الأول يعقب الموت بغير تراخ ، وعطف الآخرين " بـ " ثم ، لأن الموت قد تراخى عن الإحياء ، والإحياء الثاني متراخ عن الموت ، إن أريد به النشور أو الإحياء في القبر ، والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور . * ( هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء فسوبهن سبع سموا ت وهو بكل شئ عليم ) * ( ٢٩ ) سورة البقرة / ٣٠ * ( لكم ) * أي : لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم بأن تتمتعوا منه بفنون المطاعم

والمناكح والمراكب والمناظر البهيجة ، وفي دينكم بأن تنظروا فيه وما يتضمنه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ، وفي هذا دلالة على أن أصل الأشياء الإباحة إلى أن يمنع الشرع بالنهي ، وجائز لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها ، و * ( جميعا ) * نصب على الحال من قوله : * ( ما في الارض ) * ،

/ صفحة ٩١ /



---

والاستواء : الاعتدال والاستقامة ، يقال : استوى العود ، ثم قيل : استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصد قصدا مستويا من غير أن يلوي إلى شئ ، ومنه استعير قوله : * ( ثم استوى إلى السماء ) * أي : قصد إليها بإرادته ومشيته بعد خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر ، والمراد بالسماء جهات العلو ، كأنه قال : ثم استوى إلى فوق ، والضمير في * ( فسوبهن ) * ضمير مبهم ، و * ( سبع سموا ت ) * تفسيره ، كقولهم : ربه رجلا ، وقيل : الضمير راجع إلى السماء ( ١ ) ، والسماء في معنى الجنس ( ٢ ) ، ومعنى * ( فسوبهن ) * : عدل خلقهن وأتمه وقومه * ( وهو بكل شئ عليم ) * فلذلك خلق السماوات والأرض خلقا محكما متقنا من غير تفاوت على حسب ما اقتضته الحكمة . * ( وإذ قال ربك للملئكة إنى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون ) * ( ٣٠ ) لما ذكر سبحانه إنعامه علينا بخلق السماء والأرض وما فيهما ، ذكر نعمته علينا بخلق أبينا آدم ( عليه السلام بـ * ( قالوا ) * ، و * ( جاعل ) * من جعل الذي له مفعولان ، والمعنى مصير * ( في الارض خليفة ) * ، والخليفة : من يخلف غيره ، والمعنى : خليفة منكم ، لأن الملائكة كانوا سكان الأرض فخلفهم آدم فيها وذريته ، واستغنى بذكر آدم عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك : ربيعة ومضر ( ٣ ) ، أو يريد من يخلفكم ، أو خلقا

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن : ج ١ ص ٢٦٢ .

( ٢ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ١٠٧ ، والأخفش في معاني القرآن : ج ١ ص ٢١٧ وعنه في التبيان : ج ١ ص ١٢٦ .

( ٣ ) في نسخة زيادة : وهاشم . ( * )

/ صفحة ٩٢ /

يخلفكم فوحد لذلك ، ويجوز أن يريد خليفة مني ، لأن آدم كان خليفة الله في أرضه ، وهو الصحيح ، لقوله : * ( يداوود إنا جعلنك خليفة في الارض ) * ( ١ ) . * ( قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ) * إنما عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه من جهة اللوح ، أو عرفوه بإخبار الله تعالى * ( ونحن نسبح ) * الواو للحال ، كما تقول : أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان ، والتسبيح : تبعيد الله من السوء ، و * ( بحمدك ) * في موضع الحال ، أي : نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك * ( قال إنى أعلم ) * من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولا تعلمونه ، ولم يبين لهم تلك المصالح ، لأن العباد يكفيهم أن يعلموا أن أفعال الله تعالى كلها حسنة وإن خفي عليهم وجه الحكمة ، على أنه قد بين لهم بعض ذلك في قوله : * ( وعلم ءادم الاسماء ) * الآية . * ( وعلم ءادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال أنبونى بأسمآء هؤلاء إن كنتم صدقين ) * ( ٣١ ) أي : أسماء المسميات كلها ، فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء ، لأن الاسم لابد له من مسمى ، وعوض منه اللام كقوله : * ( واشتعل الرأس شيبا ) * ( ٢ ) ، وليس التقدير : وعلم آدم مسميات الأسماء ، فيكون حذفا للمضاف ، لأن التعليم يتعلق بالأسماء لا بالمسميات ، لقوله : * ( أنبونى بأسمآء هؤلاء ) * ، ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه أراه الأجناس التي خلقها ، وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا ، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية * ( ثم عرضهم ) * أي : عرض المسميات * ( على الملئكة ) * وإنما ذكر لأن سورة البقرة / ٣٢ و ٣٣ في المسميات العقلاء فغلبهم * ( فقال ) * للملائكة : * ( أنبونى بأسمآء هؤلاء ) *

* ( هامش ) *

( ١ ) ص : ٢٦ .

( ٢ ) مريم : ٤ . ( * )

/ صفحة ٩٣ /



استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت * ( إن كنتم صدقين ) * أي : في زعمكم أني أستخلف في الأرض من يفسد فيها إرادة للرد عليهم ، وليبين أن في من يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا ، فبين لهم بذلك بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله : * ( إنى أعلم ما لا تعلمون ) * ( ١ ) . * ( قالوا سبحنك لاعلم لنآ إلا ما علمتنآ إنك أنت العليم الحكيم ) * ( ٣٢ ) قالت الملائكة : * (

سبحنك ) * تنزيها لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك ، أو تعظيما لك عن أن يعترض عليك في حكمك * ( لاعلم لنآ إلا ما علمتنآ ) * وليس هذا في ما علمتنا * ( إنك أنت العليم ) * بجميع المعلومات ، وهو صيغة مبالغة للعالم * ( الحكيم ) * المحكم لأفعاله . * ( قال يادم أنبهم بأسمآئهم فلمآ أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموا ت والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ) * ( ٣٣ ) * ( أنبهم ) * أي : أخبر الملائكة * ( بأسمآئهم ) * علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ، فلم يقل : أنبئهم بهم ، لما قلناه من أن التعليم يتعلق بالأسماء * ( فلمآ أنبأهم ) * آدم أخبر الملائكة * ( بأسمائهم ) * أي : باسم كل شئ ومنافعه ومضاره وخواصه * ( قال ) * سبحانه للملائكة : * ( ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموا ت والارض ) * أي : أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أعلم ماحضركم

* ( هامش ) *

( ١ ) البقرة : ٣٠ . ( * )

/ صفحة ٩٤ /



---

فشاهدتموه * ( وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ) * أي : ما تعلنونه وما تضمرونه ، وفي هذا أن تعليمه سبحانه الأسماء كلها بما فيها من المعاني وفتق لسانه بذلك معجزة أقامها الله تعالى للملائكة دالة على نبوته وجلالة قدره وتفضيله عليهم . * ( وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكفرين ) * ( ٣٤ ) * ( إلا إبليس ) * استثناء متصل عند من ذهب إلى أن إبليس من الجن ، وكان ( ١ ) بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم ، ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ، ويجوز أن يكون منقطعا * ( أبى ) * أي : امتنع مما أمر به * ( واستكبر ) * عنه * ( وكان من ) * جنس كافري الجن وشياطينهم ، ولاشك أن الاستثناء متصل عند من ذهب إلى أنه من الملائكة . وفي الآية دلالة على فضل آدم على جميع الملائكة ، لانه قدمه على الملائكة إذ أمرهم بالسجود له ، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل ، ولو لم يكن سجود الملائكة له على وجه التعظيم لشأنه و ( ٢ ) تقديمه عليهم لم يكن لامتناع إبليس عن السجود له ، وقوله : * ( أرءيتك هذا الذى كرمت على ) * ( ٣ ) وقوله : * ( أنا خير منه ) * ( ٤ ) وجه ، ولكان يجب على الله تعالى أن يعلمه أنه لم يأمره بالسجود له على وجه تعظيمه وتفضيله عليه ، ولما جاز أن يفعل ذلك إذا كان ذلك سبب معصية إبليس ، فعلمنا أنه لم يكن ذلك إلا على وجه التفضيل له عليهم . سورة البقرة / ٣٥ و ٣٦ * ( وقلنا يادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث * ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة زيادة : واحدا . ( ٢ ) في نسخة زيادة : في . ( ٣ ) الاسراء : ٦٢ .

( ٤ ) الأعراف : ١٢ . ( * )
/ صفحة ٩٥ /

(٨٩/١)

---

شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين ) * ( ٣٥ ) * ( أنت ) * تأكيد للضمير المستكن في * ( اسكن ) * ليصح العطف عليه ، و * ( رغدا ) * وصف للمصدر ، أي : أكلا رغدا واسعا رافها ، و * ( حيث ) * للمكان المبهم ، أي : أي مكان من الجنة * ( شئتما ) * والمعنى : اتخذ أنت وامرأتك الجنة مسكنا ومأوى * ( وكلا منها ) * أي : من الجنة كثيرا واسعا * ( حيث شئتما ) * من بقاع الجنة * ( ولا تقربا هذه الشجرة ) * أي : لاتأكلا منها ، والمعنى : لاتقرباها بالأكل ، وهو نهي تنزيه عندنا لا نهي تحريم ، وكانا بالتناول منها تاركين نفلا وفضلا ( ١ ) * ( فتكونا من الظلمين ) * أي : الباخسين الثواب لأنفسكما بترك هذا المندوب إليه . * ( فأزلهما الشيطن عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتع إلى حين ) * ( ٣٦ ) * ( فأزلهما ) * أي : حملهما على الزلة * ( الشيطن ) * يعني : إبليس ، نسب الزلة إلى الشيطان لما وقعت بدعائه ووسوسته * ( عنها ) * عن الجنة * ( فأخرجهما مما كانا فيه ) * من المنزلة والنعمة والدعة ، وأضاف الإخراج إلى الشيطان لأنه كان السبب فيه ، وإنما أخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرة إهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثياب الجنة ، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعد
* ( هامش ) *

(٩٠/١)

---

( ١ ) قال في التبيان : ج ١ ص ١٥٩ ما لفظه : وقوله : * ( ولا تقربا هذه الشجرة ) * صيغته صيغة النهي ، والمراد به الندب عندنا ، لأنه دل الدليل على أن النهي لا يكون نهيا إلا بكراهته للمنهي عنه ، والله تعالى لا يكره إلا القبيح . وفي تفسير الميزان قال ( قدس سره ) : فهما انما ظلما أنفسهما في ترك الجنة ، على أن جزاء المخالفة للنهي المولوي التكليفي يتبدل بالتوبة إذا قبلت ولم يتبدل موردهما ، فانهما تابا وقبلت توبتهما ولم يرجعا الى ما كانا فيه من الجنة ، ولولا أن التكليف إرشادي ليس له إلا التبعة التكوينية دون التشريعية ، لاستلزام قبول التوبة رجوعهما الى ما كانا فيه من مقام القرب . انظر تفسير الميزان : ج ١ ص ١٣١ . ( * )

الإغناء والإماتة بعد الإحياء ، ومن قرأ : " فأزالهما " ( ١ ) فالمعنى : فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة * ( وقلنا اهبطوا ) * خطاب لآدم وحواء ، والمراد : هما وذريتهما ، لأنهما لما كانا أصل الإنس جعلا كأنهما الإنس كلهم ، ويدل عليه قوله في موضع آخر : * ( اهبطا منها جميعا ) * ( ٢ ) ، * ( بعضكم لبعض عدو ) * والمعنى فيه : ما عليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم لبعض ، والهبوط : النزول إلى الأرض ، والمستقر : موضع الاستقرار أو الاستقرار ( ٣ ) ، * ( ومتع ) * أي : تمتع سورة البقرة / ٣٧ و ٣٨ بالعيش * ( إلى حين ) * إلى يوم القيامة ، وقيل : إلى الموت ( ٤ ) . قال السراج ( ٥ ) : لو قيل : * ( ولكم في الارض مستقر ومتع ) * لظن أن ذلك غير منقطع ، فقيل : * ( إلى حين ) * أي : إلى حين انقطاعه ( ٦ ) .

* ( هامش ) *



---

( ١ ) وهي قراءة حمزة والأعمش والحسن والأعرج وطلحة وأبي رجاء . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٥٣ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٣٦ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٢ ، والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي : ج ٢ ص ١٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ١٦١ .

( ٢ ) طه : ١٢٣ .

( ٣ ) في نسخة ليس فيها : " أو الاستقرار " .

( ٤ ) قاله ابن عباس والسدي . راجع تفسير ابن عباس : ص ٧ ، وتفسير الماوردي : ج ١ ص ١٠٨ .

( ٥ ) محمد بن السري بن سهل البغدادي المعروف بابن السراج ، أبو بكر ، أديب ، نحوي ، لغوي ، صحب المبرد وقرأ عليه كتاب سيبويه في النحو ، ثم اشتغل بالموسيقى ، ثم رجع الى كتاب سيبويه ونظر في دقائقه وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف اصول البصريين في مسائل كثيرة ، وأخذ عنه عبد الرحمن الزجاجي وأبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وتوفي كهلا ، من تصانيفه : شرح كتاب سيبويه في النحو ، احتجاج القراء في القراءة ، جمل الاصول ، الاشتقاق ، الشعر والشعراء . ( سير النبلاء : ج ٩ ص ٢٦٦ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ج ٥ ص ٣١٩ - ٣٢٠ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : ج ١ ص ٦٣٦ - ٦٣٧ ، ومعجم الأدباء : ج ١٨ ص ١٩٧ - ٢٠١ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٨ ص ٦

و ٦٢ ) .
( ٦ ) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ١ ص ١٦٥ . ( * )
/ صفحة ٩٧ / *



---

( فتلقئ ادم من ربه كلمت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ) * ( ٣٧ ) معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها ، أي : أخذها * ( من ربه ) * على سبيل الطاعة ، ورغب إلى الله بها ، أو سأله بحقها * ( فتاب ) * الله * ( عليه ) * . ومن قرأ : " فتلقى آدم " بالنصب " كلمات " بالرفع ( ١ ) ، فالمعنى : أن الكلمات استقبلت آدم ( عليه السلام ) بأن بلغته ، والكلمات هي قوله : * ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخسرين ) * ( ٢ ) ، وقيل : هي قوله : " لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " ( ٣ ) ، وفي رواية أهل البيت ( عليهم السلام ) : أن الكلمات هي أسماء أصحاب الكساء ( عليهم السلام ) ( ٤ ) . واكتفى بذكر توبة آدم عن ذكر توبة حواء لأنها كانت تبعا له ، و * ( التواب ) * : الكثير القبول للتوبة ، وهو في صفة العباد : الكثير التوبة . * ( قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) * ( ٣٨ ) كرر سبحانه * ( قلنا اهبطوا ) * للتأكيد ولما تبعه من قوله : * ( فإما يأتينكم منى هدى ) * أي : فإن يأتكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم * ( فمن تبع هداى ) * بأن يقتدي برسولي ويؤمن به وبكتابه * ( فلا خوف عليهم ) * من العقاب
* ( هامش ) *
( ١ ) قرأه ابن عباس ومجاهد وابن كثير . راجع التبيان : ج ١ ص ١٦٦ ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٥٣ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ١٦٥ .
( ٢ ) الأعراف : ٢٣ .
( ٣ ) نسبه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٢٨ – ١٢٩ الى ابن مسعود ، والماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٠٩ الى مجاهد . ( ٤ ) راجع الخصال للصدوق : ج ١ ص ٢٧٠ ح ٨ ، ومعاني الأخبار أيضا : ص ١٢٥ ح ١ . ( * )
/ صفحة ٩٨ /

* ( ولا هم يحزنون ) * على فوت الثواب ، وجواب الشرط الأول الشرط الثاني مع جوابه ، كقولك : إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك . * ( والذين كفروا وكذبوا بايتنا أولئك أصحب النار هم فيها خلدون ) * ( ٣٩ ) * ( والذين ) * جحدوا رسلنا * ( وكذبوا ) * بدلائلنا ( ١ ) ف * ( أولئك ) * الملازمون للنار * ( هم فيها خلدون ) * أي : دائمون مؤبدون . * ( يبنى إسرا ءيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإيى فارهبون ) * ( ٤٠ ) لما عم سبحانه جميع خلقه بالخطاب ، وذكر لهم الحجج على توحيده ، وعدد عليهم صنوف نعمائه خص بني إسرائيل عقيب ذلك بذكر ما أسداه إليهم من النعم ، فقال : * ( يبنى إسرا ءيل ) * وإسرائيل هو يعقوب لقب له ، ومعناه في لسانهم : صفوة الله ، وقيل : عبد الله ( ٢ ) * ( اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم ) * أي : لا تخلوا بشكرها واستعظموها ، وأراد بالنعمة ما أنعم به على آبائهم من كثرة الأنبياء فيهم ، وإنجائهم من فرعون ، وغير ذلك مما عدده سبحانه عليهم * ( وأوفوا بعهدي ) * أي : بما سورة البقرة / ٤١ و ٤٢ عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي * ( أوف بعهدكم ) * أي : بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب ، وقيل : أوفوا بعهدي في محمد ( صلى الله عليه وآله ) أن من آمن به كان له أجران ، ومن كفر به تكاملت أوزاره ، أوف بعهدكم أدخلكم الجنة ( ٣ ) . * ( وإيى فارهبون ) * أي : فلا تنقضوا عهدي ، وهو من قولك : زيدا رهبته ، و * ( وإيى ) *

* ( هامش ) *

( ١ ) في بعض النسخ : بدلالاتنا .

( ٢ ) وهو قول ابن عباس على ما في تفسير الماوردي : ج ١ ص ١١٠ .

( ٣ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ٨ ، وحكاه عنه الشيخ في التبيان : ج ١ ص ١٨٣ . ( * )

/ صفحة ٩٩ /



منصوب بفعل مضمر يفسره " ارهبون " . * ( وءامنوا بمآ أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بايتى ثمنا قليلا وإيى فاتقون ) * ( ٤١ ) أي : وصدقوا بما أنزلته على محمد ( صلى الله عليه وآله ) من القرآن * ( مصدقا لما معكم ) * من التوراة * ( ولا تكونوا أول كافر به ) * أي : أول من كفر به ، أو أول فريق كافر به ، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به ، كما يقال : كسانا الأمير حلة ، أي : كسا كل واحد منا حلة ، وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكون

اليهود أول من يؤمن به ، لمعرفتهم به وبصفته ، ولأنهم كانوا يبشرون الناس بزمانه ، ويستفتحون على الذين كفروا ، وكانوا يقولون : إنا نتبعه أول الناس كلهم ، فلما بعث كان أمرهم على العكس ، كقوله : * ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) * ( ١ ) ، وقيل : الضمير في * ( به ) * لما معكم ، لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ( ٢ ) * ( ولا تشتروا بايتى ثمنا قليلا ) * الاشتراء استعارة للاستبدال ، كما في قوله : * ( اشتروا الضللة بالهدى ) * ( ٣ ) أي : لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا ، وإلا فالثمن هو المشترى به ، والثمن القليل : الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا فوتها باتباعه فاستبدلوها بآيات الله .

* ( ولا تلبسوا الحق بالبطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ) * ( ٤٢ ) الباء في قوله : * ( بالبطل ) * يجوز أن يكون مثل ما في قولك : لبست الشئ بالشئ : خلطته به ، فيكون المعنى : ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط * ( الحق بالبطل ) * ، ويجوز أن تكون باء الاستعانة كما في قولك : كتبت بالقلم ،

* ( هامش ) *

( ١ ) البقرة : ٨٩ .

( ٢ ) وهو قول الزجاج . راجع التبيان : ج ١ ص ١٨٧ .

( ٣ ) البقرة : ١٦ . ( * )



---

فيكون المعنى : ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه ، * ( وتكتموا ) * جزم معطوف على * ( تلبسوا ) * بمعنى : ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار " أن " أي : ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق ، كقولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن * ( وأنتم تعلمون ) * أنه حق وتجحدون ما تعلمون . * ( وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة واركعوا مع الرا كعين ) * ( ٤٣ ) . أي : وأدوا الصلاة بأركانها ، وأعطوا ما فرض الله عليكم من الزكاة * ( واركعوا مع الرا كعين ) * من المسلمين ، لأن اليهود لا ركوع لهم في صلاتهم ، وقيل : إن المراد به صلاة الجماعة ( ١ ) . * ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون ) * ( ٤٤ ) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم ، و " البر " : سعة الخير ، ومنه البر لسعته ، ويتناول كل خير ، ومنه قولهم : صدقت وبررت ، وكانوا يأمرون أقاربهم في السر باتباع محمد ( صلى الله عليه وآله ) ولا يتبعونه * ( وتنسون أنفسكم ) * تتركونها من البر * ( وأنتم تتلون الكتب ) * تبكيت مثل قوله : * ( وأنتم تعلمون ) * ( ٢ ) ، يعني : تتلون التوراة وفيها صفة محمد ( صلى

الله عليه وآله ) * ( أفلا تعقلون ) * توبيخ عظيم بمعنى : أفلا تفطنون بقبح ما تقدمون عليه ، فيصدكم استقباحه عن ارتكابه فكأنكم قد سلبت عقولكم . * ( واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخشعين ( ٤٥ ) الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم وأنهم إليه را جعون ) * ( ٤٦ ) سورة البقرة / ٤٥ و ٤٦ * ( واستعينوا ) * في حوائجكم إلى الله * ( بـ ) * الجمع بين * ( الصبر والصلوة ) * ،

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ٨ .

( ٢ ) البقرة : ٢٢ . ( * )

/ صفحة ١٠١ /

(٩٦/١)

---

وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس ، أو واستعينوا على البلايا بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة ، وقيل : الصبر : الصوم ( ١ ) ، ومنه قيل لشهر رمضان : شهر الصبر ( ٢ ) ، * ( وإنها ) * الضمير للصلاة أو للاستعانة * ( لكبيرة ) * أي : شاقة ثقيلة * ( إلا على الخشعين ) * لأنهم الذين يتوقعون ما ادخر للصابرين على مشاقها فتهون عليهم ، والخشوع : التطأمن والإخبات والخضوع واللين والانقياد * ( الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم ) * أي : يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ، وفي مصحف عبد الله ( ٣ ) " يعلمون " ( ٤ ) ، ولذلك فسر * ( يظنون ) * بـ " يتيقنون " ، وكان النبي ( عليه السلام ) يقول : " يا بلال روحنا " ( ٥ ) ، وقال ( عليه السلام ) : " وجعلت قرة عيني في الصلاة " ( ٦ ) .

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله مجاهد كما حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٦٨ .

( ٢ ) انظر تفسير الماوردي : ج ١ ص ١١٥ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٦٨ ، والكشاف للزمخشري : ج ١ ص ١٣٤ .

( ٣ ) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من أكابر الصحابة وهو من أهل مكة ، ومن المقربين من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ومن السابقين الى الاسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة ، وكان خادم رسول الله الأمين ، يدخل عليه كل وقت ، وكان له مصحف يعرف باسمه ، ويقال : إنه نظر إليه عمر يوما وقال : وعاء ملئ علما ، ولي بعد وفاة النبي ( صلى الله عليه وآله ) بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان ، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما ، وكان قصيرا جدا ، يكاد الجلوس يوارونه ، وكان يحب الإكثار

من التطيب ، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر ، من طيب رائحته . ( الإصابة : ت ٤٩٥٥ ، وغاية النهاية : ج ١ ص ٤٥٨ ، والبدء والتاريخ : ج ٥ ص ٩٧ ، وصفة الصفوة : ج ١ ص ١٥٤ ، وحلية الأولياء : ج ١ ص ١٢٤ ) .



---

( ٤ ) حكاه عنه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٣٤ .
( ٥ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٣٤ مرفوعا .
( ٦ ) فتح الباري لابن حجر : ج ١١ ص ٣٤٥ ، المعجم الصغير للطبراني : ج ١ ص ٢٦٢ ، مسند أبي حنيفة : ص ٥٤ ، جامع مسانيد الامام أبي حنيفة : ج ١ ص ٤٠٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ج ٦ ص ٣٠ ، تفسير القرطبي : ج ١٠ ص ١٦٧ . ( * )
/ صفحة ١٠٢ /
* ( يبنى إسرا عيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العلمين ( ٤٧ ) واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ) * ( ٤٨ ) * ( وأنى فضلتكم ) * في موضع نصب عطف على * ( نعمتي ) * أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم * ( على العلمين ) * على الجم الغفير من الناس ، كقوله : * ( بركنا فيها للعلمين ) * ( ١ ) ، يقال : رأيت عالما من الناس يراد به الكثرة ، أو تفضيلي إياكم في أشياء مخصوصة كإنزال المن والسلوى ، والآيات الكثيرة كفلق البحر وتغريق فرعون ، وكثرة الرسل فيكم ( ٢ ) * ( واتقوا يوما ) * يريد يوم القيامة * ( لا تجزى ) * أي : لا تقضي * ( نفس عن نفس شيا ) * حقا وجب عليها لله أو لغيره ، كقوله : * ( لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ) * ( ٣ ) وهذه الجملة منصوبة الموضع صفة لـ * ( يوما ) * والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره : لا تجزي فيه ، حذف الجار ثم حذف الضمير ، ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء * ( ولا يقبل منها شفعة ) * هذا مختص باليهود ، فإنهم ( ٤ ) قالوا : " آباؤنا يشفعون لنا " فأويسوا ، لأن الأمة مجتمعة على أن لنبينا صلوات الله عليه وآله شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها ، وإجماعها حجة * ( ولا يؤخذ منها عدل ) * أي : فدية ، لأنها معادلة للمفدي * ( ولا هم ينصرون ) * يعني : مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة ، والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما



---

قالوا : ثلاثة أنفس . سورة البقرة / ٤٩ و ٥٠ * ( وإذ نجينكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون

* ( هامش ) *

( ١ ) الأنبياء : ٧١ .

( ٢ ) في نسخة : منكم .

( ٣ ) لقمان : ٣٣ . ( ٤ ) في بعض النسخ : لأنهم . ( * )

/ صفحة ١٠٣ /

أبنائكم ويستحيون نساءكم وفى ذا لكم بلاء من ربكم عظيم ) * ( ٤٩ ) أصل * ( ءال ) * أهل ، ولذلك صغر بأهيل ، فأبدلت هاؤه ألفا ، وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم ( ١ ) ، و * ( فرعون ) * علم لمن ملك العمالقة ، مثل قيصر لملك الروم ، وكسرى لملك الفرس * ( يسومونكم ) * من سامه خسفا إذا أولاه ظلما ، وأصله من سام السلعة إذا طلبها ، كأنه بمعنى يبغونكم * ( سوء العذاب ) * ويريدونكم عليه ، و " السوء " مصدر السيئ ، وسوء الفعل قبحه ، و * ( يذبحون ) * بيان لـ * ( يسومونكم ) * ، ولذلك ترك العاطف ، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمرود ، فلم يغن عنهما تحفظهما وكان ما شاء الله أن يكون ، والبلاء : المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون ، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء . * ( وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون ) * ( ٥٠ ) * ( فرقنا بكم البحر ) * فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم ، يقال : فرق بين الشيئين وفرق – بالتشديد – بين الأشياء ، والمعنى في * ( بكم ) * أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم ، فكأنما فرق بهم ، ويجوز أن يراد بسببكم وبسبب إنجائكم ، ويجوز أن يكون في موضع الحال بمعنى : فرقناه متلبسا بكم . وروي : أن بني إسرائيل قالوا لموسى : أين أصحابنا لا نراهم ؟ فقال : سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم ، قالوا : لا نرضى حتى نراهم ، فقال : اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ، فأوحى الله إليه : أن قل بعصاك هكذا ، فصارت فيها كواء فتراءوا

* ( هامش ) *



---

( ١ ) راجع تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٢٨٨ . ( * )

/ صفحة ١٠٤ /

وسمع بعضهم كلام بعض ( ١ ) * ( وأنتم تنظرون ) * إلى ذلك وتشاهدونهم لا تشكون فيه . * ( وإذ وا عدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظلمون ) * ( ٥١ ) أي : وعدنا

موسى أن ننزل عليه التوراة ، وضربنا له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة ، وقيل : أربعين ليلة ، لأن الشهور عددها بالليالي ( ٢ ) ، ومن قرأ * ( وا عدنا ) * فلأن الله تعالى وعده الوحي ، ووعد هو المجئ للميقات إلى الطور * ( ثم اتخذتم العجل من بعده ) * أي : من بعد مضيه إلى الطور * ( وأنتم ظلمون ) * باتخاذكم العجل إلها . * ( ثم عفونا عنكم من بعد ذا لك لعلكم تشكرون ( ٥٢ ) وإذ ءاتينا موسى الكتب والفرقان لعلكم تهتدون ) * ( ٥٣ ) سورة البقرة / ٥٤ * ( من بعد ذا لك ) * أي : من بعد ارتكابكم الأمر العظيم * ( لعلكم تشكرون ) * النعمة في العفو عنكم * ( و ) * اذكروا * ( إذ ) * أعطينا * ( موسى الكتب والفرقان ) * أي : الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا فارقا بين الحق والباطل يعني التوراة ، كقولك : رأيت الغيث والليث ، أي : الرجل الجامع بين الجود والجرأة ، ونحوه قوله : * ( ولقد ءاتينا موسى وهرون الفرقان وضيآء وذكرا ) * ( ٣ ) أي : الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا ، ويجوز أن يريد بـ * ( الكتب ) * : التوراة * ( و ) * بـ * ( الفرقان ) * : البرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من

* ( هامش ) *

( ١ ) رواه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٣٩ ، وابن الأثير في الكامل : ج ١ ص ١٨٧ .

( ٢ ) وهو قول الأخفش ، ونسبه الطبري الى بعض نحويي البصرة . راجع معاني القرآن : ج ١ ص ٢٦٤ ، وتفسير الطبري : ج ١ ص ٣١٩ .

( ٣ ) الأنبياء : ٤٨ . ( * )

/ صفحة ١٠٥ /



---

الآيات ، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام ، أو انفراق البحر ، أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه ، كقوله : * ( يوم الفرقان ) * ( ١ ) يريد يوم بدر . * ( وإذ قال موسى لقومه يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذا لكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ) * ( ٥٤ ) * ( و ) * اذكروا * ( إذ قال موسى ) * لعبدة العجل من قومه بعد رجوعه إليهم : * ( يقوم إنكم ) * أضررتم * ( أنفسكم باتخاذكم العجل ) * معبودا ، والبارئ : الذي برأ ( ٢ ) الخلق بريئا من التفاوت ومتميزا بعضهم من بعض بالصور والأشكال المختلفة * ( فتوبوا إلى ) * خالقكم ومنشئكم * ( فاقتلوا أنفسكم ) * أي : ليقتل بعضكم بعضا ، أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده . روي : أن الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم إمضاء أمر الله سبحانه ، فأرسل الله عليهم ضبابة ( ٣ ) لا يتراءون تحتها ، وأمروا أن يحتبوا ( ٤ ) بأفنية بيوتهم ، وأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون ،

وقالا : يا رب هلكت بنو إسرائيل ، البقية البقية ، فكشفت الضبابة ونزلت التوبة ، فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا ( ٥ ) . * ( ذا لكم ) * إشارة إلى التوبة مع القتل * ( خير لكم عند بارئكم ) * من إيثار الحياة *

( هامش ) *

( ١ ) الأنفال : ٤١ .

( ٢ ) في نسخة : خلق .

( ٣ ) الضبابة : السحابة ، الغيمة . ( لسان العرب : مادة ضبب ) .

( ٤ ) احتبى بالثوب : اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . ( القاموس المحيط : مادة حبا ) .

( ٥ ) رواها عن ابن عباس الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٢٢ – ١٢٣ ، وعن أبي صالح السمرقندي في تفسيره : ج ١ ص ١٢٠ . ( * )



---

الفانية ، وكرر ذكر بارئكم تعظيما لما أتوا به مع كونه خالقا لهم * ( فتاب عليكم ) * تقديره : ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم * ( إنه هو التواب الرحيم ) * القابل للتوبة عن عباده ، الرحيم بهم . * ( وإذ قلتم يموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصعقة وأنتم تنظرون ) * ( ٥٥ ) قيل : إن القائلين هذا القول هم السبعون الذين صعقوا ( ١ ) ، أي : لن نصدقك في قولك * ( حتى نرى الله ) * عيانا ، وهي مصدر من قولك : جهر بالقراءة ، كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها ، وانتصابها على المصدر ، لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء ( ٢ ) بفعل الجلوس ، أو على الحال بمعنى ذوي جهرة ، و * ( الصعقة ) * نار وقعت من السماء فأحرقتهم ، وقيل : صيحة جاءت من السماء ( ٣ ) ، والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه فخروا صعقين ميتين . * ( ثم بعثنكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ) * ( ٥٦ ) ثم أحييناكم * ( من بعد موتكم ) * لاستكمال آجالكم * ( لعلكم تشكرون ) * نعمة الله بعدما كفرتموها إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة ، أو لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت . سورة البقرة / ٥٧ و ٥٨ * ( وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٢٣ ، والبغوي أيضا في تفسيره : ج ١ ص ٧٤ .

( ٢ ) القرفصاء : أن يجلس الرجل على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على

ساقيه كما يحتبي بالثوب . ( الصحاح : مادة حبا ) .
( ٣ ) نسب هذا القول الطبري في تفسيره : ج ١ ص ٣٢٩ الى الربيع . ( * )
/ صفحة ١٠٧ /



---

طيبت ما رزقنكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) * ( ٥٧ ) وجعلنا * ( الغمام ) * يظلكم ، وكان ذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس ، وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه * ( وأنزلنا عليكم المن والسلوى ) * كان ينزل عليهم الترنجبين مثل الثلج ، ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه * ( كلوا من طيبت ما رزقنكم ) * على إرادة القول * ( وما ظلمونا ) * يعني : فظلموا بأن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا ، فاختصر لدلالة وما ظلمونا عليه . * ( وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطيكم وسنزيد المحسنين ) * ( ٥٨ ) * ( القرية ) * بيت المقدس ، وقيل : أريحا من قرى الشام ( ١ ) ، أمروا بدخولها بعد التيه ، و * ( الباب ) * باب القرية ، وقيل : هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها ( ٢ ) ، وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا ، وقيل : السجود أن ينحنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع ( ٣ ) ، وقيل : طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ( ٤ ) * ( وقولوا حطة ) * هي فعلة من الحط كالجلسة والركبة ، وهي خبر مبتدأ محذوف ، أي : مسألتنا حطة ، والأصل النصب بمعنى : حط عنا ذنوبنا حطة ، فرفع ليعطي معنى الثبات ، كقوله : * ( فصبر جميل ) * ( ٥ ) .
* ( هامش ) *
( ١ ) قاله ابن زيد . راجع تفسير الماوردي : ج ١ ص ١٢٥ .
( ٢ ) قاله عكرمة عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٩٤ .
( ٣ ) قاله ابن عباس في تفسيره : ص ٩ ، وعنه الطبري في تفسيره : ج ١ ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .
( ٤ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ج ١ ص ١٧٣ باسناده عن مجاهد وعكرمة .
( ٥ ) يوسف : ١٨ و ٨٣ . ( * )
/ صفحة ١٠٨ /



---

وروي عن الباقر ( عليه السلام ) أنه قال : " نحن باب حطتكم " ( ١ ) . * ( وسنزيد المحسنين ) * أي : ومن كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ، ومن كان مسيئا يغفر له ويصفح عن ذنوبه . * ( فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ) * ( ٥٩ ) أي : فخالف الذين عصوا ووضعوا مكان * ( حطة ) * ، * ( قولا غير الذى قيل لهم ) * أي : ليس معناه معنى ما أمروا به ، ولم يمتثلوا أمر الله ، وقيل : إنهم قالوا مكان " حطة " : " حنطة " ( ٢ ) ، وقيل : قالوا : حطا سمقاثا ( ٣ ) ، أي : حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم ( ٤ ) ، وفي تكرير * ( الذين ظلموا ) * زيادة في تقبيح أمرهم ، وإيذان بأن إنزال العذاب عليهم لظلمهم ، و " الرجز " العذاب ، وروي : أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا من كبرائهم ( ٥ ) . * ( وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ) * ( ٦٠ ) سورة البقرة / ٦١ عطشوا في التيه فاستسقى موسى لهم ودعا لهم بالسقيا * ( فقلنا اضرب بعصاك الحجر ) * واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم ، فقد روي : أنه حجر حمله

* ( هامش ) *

( ١ ) العياشي : ج ١ ص ٤٥ ح ٤٧ ، وعنه البحار : ج ٧ ص ٤٦ .

( ٢ ) قاله عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد . راجع تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٥ .

( ٣ ) في نسخة : سمقاتا .

( ٤ ) قاله ابن عباس وابن مسعود . راجع تفسير ابن عباس : ص ٩ ، وتفسير الطبري : ج ١ ص ٣٤٤ ح ١٠٣٠ .

( ٥ ) حكاها الشيخ في التبيان : ج ١ ص ٢٦٨ عن ابن زيد . ( * )

/ صفحة ١٠٩ /



---

معه من الطور ، وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين ، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي هي له ( ١ ) ، وإما للجنس ، أي : اضرب الشئ الذي يقال له : الحجر ، فقد روي عن الحسن : أنه لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه ، قال : وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة ( ٢ ) ، * ( فانفجرت ) * أي : ضرب فانفجرت * ( منه اثنتا عشرة عينا ) * لكل سبط عين * ( قد علم كل أناس ) * يريد كل سبط * ( مشربهم ) * عينهم التي يشربون

منها * ( كلوا ) * على إرادة القول * ( واشربوا من رزق الله ) * مما رزقكم الله من الطعام والشراب وهو المن والسلوى وماء العيون ، وقيل : الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب ( ٣ ) ، * ( ولا تعثوا ) * العثي : أشد الفساد ، أي : لا تتمادوا في الفساد * ( مفسدين ) * أي : في حال إفسادكم . * ( وإذ قلتم يموسى لن نصبر على طعام وا حد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثآئها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآءو بغضب من الله ذا لك بأنهم كانوا يكفرون بايت الله ويقتلون النبين بغير الحق ذا لك بما عصوا وكانوا يعتدون ) * ( ٦١ ) * ( وإذ قلتم ) * نسب قول أسلافهم إليهم * ( يموسى لن نصبر على طعام وا حد ) * أرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدل ، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٧٧ عن ابن عباس وعطاء .

( ٢ ) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٤٤ .

( ٣ ) حكاه في الكشاف : ج ١ ص ١٤٤ . ( * )

/ صفحة ١١٠ /



---

يداوم عليها كل يوم لا يبدلها جاز أن يقال : لا يأكل فلان إلاطعاما واحدا ، ويراد بالوحدة : نفي التبدل والاختلاف * ( فادع لنا ) * أي : لأجلنا * ( ربك يخرج لنا ) * أي : يظهر لنا ويوجد لنا * ( مما تنبت الارض من بقلها ) * البقل : ما أنبتته الأرض من الخضر ، والفوم : الحنطة ، ومنه فوموا لنا أي : اختبزوا ، وقيل : هو الثوم ( ١ ) . قيل : إنهم كانوا قوما فلاحة فنزعوا إلى أصلهم ، ولم يريدوا إلا ما ألفوه وضروا به ( ٢ ) من الأشياء المتفاوتة ، كالبقول والحبوب ونحو ذلك ( ٣ ) . سورة البقرة / ٦٢ – ٦٤ * ( قال أتستبدلون الذى هو أدنى ) * أي : هو أقرب منزلة وأدون مقدارا ، والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار ، فيقال : هو أدنى ( ٤ ) المحل وقريب المنزلة ، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك ، فيقال : بعيد المحل وبعيد الهمة ، يريدون الرفعة والعلو * ( اهبطوا مصرا ) * أي : انحدروا إليه من التيه ، ويمكن أن يريد الاسم العلم ، وصرفه مع اجتماع السببين : العلم والتأنيث لسكون وسطه ، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد * ( وضربت عليهم الذلة ) * أي : جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما أن من ضربت عليه القبة يكون فيها ، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب ، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة : إما على الحقيقة ، وإما لتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية * (

وبآءو بغضب من الله ) * أي : صاروا أحقاء بغضبه من قولهم : باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له * ( ذا لك ) * إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة * ( هامش ) *

( ١ ) نسبه الشيخ في تبيانه : ج ١ ص ٢٧٥ ، والماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٢٩ الى الربيع بن أنس والكسائي .

( ٢ ) ضروا به : تعودوه . ( الصحاح : مادة ضرا ) .

( ٣ ) قاله الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٤٥ وقال : ويدل عليه قراءة ابن مسعود : " وثومها " .



---

( ٤ ) في بعض النسخ : داني . ( * )

/ صفحة ١١١ /

وكونهم أهل غضبه * ( بأنهم كانوا يكفرون ) * أي : بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء قتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم * ( بغير الحق ) * معناه : أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم ، لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا * ( ذا لك ) * تكرار للإشارة * ( بما عصوا ) * بسبب معصيتهم واعتدائهم حدود الله في كل شئ . * ( إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصرى والصبين من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صلحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) * ( ٦٢ ) * ( إن الذين ءامنوا ) * بألسنتهم وهم المنافقون * ( والذين هادوا ) * تهودوا ، يقال : هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ، وهو هائد والجمع هود * ( والنصرى ) * جمع نصران ، يقال : رجل نصران ، وامرأة نصرانة ، والنصراني الياء فيه للمبالغة كالتي في أحمري ، لأنهم نصروا المسيح * ( والصبين ) * من صبأ إذا خرج من الدين ، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية ، وعبدوا الملائكة أو ( ١ ) النجوم * ( من ءامن ) * من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا * ( وعمل صلحا فلهم أجرهم ) * الذي يستوجبونه بإيمانهم وأعمالهم ، ومحل * ( من ءامن ) * رفع بالابتداء ، وخبره : * ( فلهم أجرهم ) * ، لتضمن * ( من ) * معنى الشرط ، والجملة خبر * ( إن ) * ، أو نصب بدل من اسم * ( إن ) * والمعطوف عليه ، وخبر * ( إن ) * : * ( فلهم أجرهم ) * . * ( وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا مآ ءاتينكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ( ٦٣ ) ثم توليتم من بعد ذا لك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخسرين ) * ( ٦٤ )

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : و . ( * )
/ صفحة ١١٢ /

(١٠٧/١)

---

* ( و ) * اذكروا * ( إذ أخذنا ميثقكم ) * بالعمل على ما في التوراة * ( ورفعنا فوقكم الطور ) * حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق ، وذلك أن موسى ( عليه السلام ) جاءهم بالألواح ، فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فأبوا قبولها ، فأمر جبرئيل فقلع الطور من أصله ورفعه فوقهم ، وقال لهم موسى : إن قبلتم وإلا ألقي عليكم ، حتى قبلوا وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل ، فمن ثم يسجد اليهود على أحد شقي وجوههم * ( خذوا ) * على إرادة القول ، أي : قلنا : * ( خذوا مآ ءاتينكم ) * من الكتاب * ( بقوة ) * أي : بجد ويقين وعزيمة * ( واذكروا ما فيه ) * وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه * ( لعلكم تتقون ) * رجاء منكم أن تكونوا متقين * ( ثم توليتم ) * ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به * ( فلولا فضل الله عليكم ورحمته ) * وتوفيقه للتوبة * ( لكنتم من الخسرين ) * لخسرتم . * ( ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خسين ( ٦٥ ) فجعلنها نكلا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ) * ( ٦٦ ) سورة البقرة / ٦٧ و ٦٨ * ( السبت ) * مصدر سبتت ( ١ ) اليهود إذا عظمت يوم السبت ، المعنى : * ( ولقد ) * عرفتم * ( الذين اعتدوا منكم ) * أي : جاوزوا ماحد لهم في السبت من تعظيمه واشتغلوا بالصيد ، وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا ظهر يوم السبت ، فإذا مضى تفرقت ، فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول ، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد ، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ، * ( فقلنا لهم كونوا قردة خسين ) * أي : كونوا جامعين بين القردية
* ( هامش ) *
( ١ ) في نسخة : سبت . ( * )
/ صفحة ١١٣ /

(١٠٨/١)

---

والخسوء * ( فجعلنها ) * يعني : المسخة * ( نكلا ) * عبرة تنكل من اعتبرها ، أي : تمنعه * ( لما بين يديها ) * لما قبلها * ( وما خلفها ) * وما بعدها من الأمم والقرون ، لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها ، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين ، أو أريد بما بين يديها ما

بحضرتها من الأمم * ( وموعظة للمتقين ) * الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم ، أو لكل متق . * ( وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجهلين ( ٦٧ ) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذا لك فافعلوا ما تؤمرون ) * ( ٦٨ ) كان في بني إسرائيل شيخ موسر قتله قرابة له ليرثوه ، فطرحوه على طريق سبط من أسباط بني إسرائيل ، ثم جاءوا يطلبون بدمه ، فأمرهم الله أن يذبحوا * ( بقرة ) * ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله * ( قالوا أتتخذنا هزوا ) * أتجعلنا أهل هزؤ أو مهزوءا بنا أو الهزؤ نفسه * ( قال أعوذ بالله أن أكون من الجهلين ) * أي : من المستهزئين ، ليدل على أن الاستهزاء لا يصدر إلا عن الجاهل ، وقرئ : " هزؤا " ( ١ ) و : " هزءا " ( ٢ ) مثل كفؤا وكفؤا ، وبالضمتين والواو فيهما * ( قالوا ادع لنا ربك ) * أي : سل لنا ربك ، وكذا هو في قراءة عبد الله ( ٣ ) * ( ماهى ) * سؤال عن حالها

* ( هامش ) *

( ١ ) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة . راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٥٧ ، والتبيان : ج ١ ص ٢٩٣ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٤٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٢٥٠ .

( ٢ ) قرأه حمزة وإسماعيل والمفضل وعبد الوارث . انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٥٧ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٥ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٥٠ .

( ٣ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٤٨ . ( * )



---



وصفتها ، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن * ( قال ) * موسى * ( إنه ) * سبحانه * ( يقول إنها بقرة ) * لامسنة ولافتية ، فرضت البقرة فروضا أي : أسنت * ( عوان بين ذا لك ) * أي : نصف وسط بين الصغيرة والكبيرة ، وجاز دخول * ( بين ) * على * ( ذا لك ) * ، لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض والبكر ، وجاز أن يشار به إلى مؤنثين لأنه في تأويل ما ذكر وما تقدم * ( فافعلوا ما تؤمرون ) * أي : ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، ويجوز أن يكون بمعنى أمركم أي : مأموركم ، تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير . * ( قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر النظرين ( ٦٩ ) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر

تشبه علينا وإنآ إن شآء الله لمهتدون ( ٧٠ ) قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ) * ( ٧١ ) سورة البقرة / ٧٠ و ٧١ * ( فاقع ) * توكيد لـ * ( صفراء ) * ( ١ ) ، ولم يقع خبرا عن " اللون " ، و * ( لونها ) * فاعله ، لأن اللون من سبب الصفراء ومتلبس بها ، فلا فرق بين أن يقول : صفراء فاقع لونها وصفراء فاقعة ، وعن وهب : إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ( ٢ ) . والسرور : لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه ، وقولهم : * ( ماهى ) * مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ليزدادوا بيانا لوصفها . وروي عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) أنه قال : " لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ،

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة زيادة : كما يقال : أسود هالك .

( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٤٨ . ( * )

/ صفحة ١١٥ /



---

ولكن شددوا فشدد الله عليهم ، والاستقصاء شؤم " ( ١ ) . * ( إن البقر تشبه علينا ) * أي : إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح * ( وإنآ إن شآء الله لمهتدون ) * إلى البقرة المراد ذبحها ، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل . وفي الحديث : " لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد " ( ٢ ) أي : لو لم يقولوا : * ( إن شآء الله ) * . * ( لاذلول ) * لم تذلل للكراب ( ٣ ) وإثارة الأرض * ( ولا ) * هي من النواضح ، فـ * ( تسقى الحرث ) * و * ( لا ) * الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى ، لأن المعنى : لا ذلول تثير ( ٤ ) وتسقي ، على أن الفعلين صفتان لـ " ذلول " ، كأنه قيل : لا ذلول مثيرة وساقية * ( مسلمة ) * سلمها الله تعالى من العيوب ، أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه ، أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له * ( لاشية فيها ) * لم يشب صفرتها شئ من الألوان ، فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها ، وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية : إذا خلط بلونه لونا آخر ، ومنه ثور موشي القوائم * ( قالوا الن جئت بالحق ) * أي : بحقيقة وصف البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها * ( فذبحوها ) * ، وقوله : * ( وما كادوا يفعلون ) * استبطاء لهم واستثقال لاستقصائهم ، أي : ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم ، وقيل : وما كادوا

* ( هامش ) *

( ١ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٥١ ، ونحوه السمرقندي في تفسيره : ج ١ ص

١٢٨ – ١٢٩ .

( ٢ ) رواه الطبري في تفسيره : ج ١ ص ٣٩٠ ، وعنه السيوطي في الدر المنثور : ج ١ ص ١٩٠ ، ونحوه السمرقندي في تفسيره : ج ١ ص ١٢٩ ، والقرطبي أيضا في تفسيره : ج ١ ص ٤٥٢ .

( ٣ ) الكراب : حرث الأرض للزرع . ( القاموس المحيط : مادة كرب ) .

( ٤ ) في نسخة زيادة : الأرض . ( * )

/ صفحة ١١٦ /



---

يذبحونها لغلاء ثمنها ( ١ ) ، وقيل : لخوف الفضيحة في ظهور القاتل ( ٢ ) . فأما اختلاف العلماء في أن تكليفهم كان واحدا وهو ذبح البقرة المخصوصة باللون والصفات أو كان متغايرا وكلما راجعوا تغيرت مصلحتهم إلى تكليف آخر فمذكور في كتاب مجمع البيان ( ٣ ) ، فمن أراد ذلك فليقف عليه هناك . والنسخ قبل الفعل جائز ، وقبل وقت الفعل غير جائز ، لأنه يؤدي إلى البداء . * ( وإذ قتلتم نفسا فاداراتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ( ٧٢ ) فقلنا اضربوه ببعضها كذا لك يحى الله الموتى ويريكم ءايته لعلكم تعقلون ) * ( ٧٣ ) سورة البقرة / ٧٤ خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم * ( فاداراتم ) * أي : اختلفتم * ( فيها ) * واختصمتم في أمرها ، لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي : يدفعه ، أو تدافعتم بأن طرح بعضكم قتلها على بعض فدفع المطروح عليه الطارح ، أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه * ( والله مخرج ) * أي : مظهر * ( ما كنتم تكتمون ) * – هـ من أمر القتل ( ٤ ) ولا يتركه مكتوما ، وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وهما " ادارأتم " و " قلنا " ، والضمير في * ( اضربوه ) * إما أن يرجع إلى النفس على تأويل الشخص ، أو إلى القتيل لما دل عليه قوله : * ( ما كنتم تكتمون ) * ، * ( ببعضها ) * ببعض البقرة ، والتقدير : فضربوه فحيي * ( كذا لك يحى الله الموتى ) * فحذف لأن ما أبقي يدل على ما ألقي ، روي : أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما ، وقال : قتلني فلان ، فقتل ولم يورث قاتل بعد ذلك ( ٥ ) * ( ويريكم ءايته ) * دلائله

* ( هامش ) *

( ١ ) قائل ذلك ابن عباس . راجع تفسيره : ص ١١ ، وتفسير الماوردي : ج ١ ص ١٤١ .

( ٢ ) نسبه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٤٢ الى وهب .

( ٣ ) في ج ١ – ٢ ص ١٣٦ فراجع .

( ٤ ) في نسخة : القتيل .

( ٥ ) رواها الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٥٣ . ( * )
/ صفحة ١١٧ /



---

على أنه قادر على كل شئ * ( لعلكم تعقلون ) * أي : تعملون ( ١ ) على قضية عقولكم في أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء النفوس كلها ، لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث . وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل ( ٢ ) مع تقدمه ، لأن الغرض ذكر قصتين كل واحدة منهما تختص بنوع من التقريع ، فلو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة وذهب الغرض في ذلك . * ( ثم قست قلوبكم من بعد ذا لك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغفل عما تعملون ) * ( ٧٤ ) * ( ثم قست قلوبكم من بعد ذا لك ) * المعنى في * ( ثم ) * استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها من إحياء القتيل وغير ذلك من الآيات * ( فهى ) * في قسوتها مثل الحجارة * ( أو أشد قسوة ) * منها ، والمعنى : أن من عرفها شبهها بالحجارة أو قال : هي أقسى من الحجارة ، أو من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها * ( وإن من الحجارة ) * بيان لفضل قسوة قلوبهم على الحجارة ، والتفجر : التفتح بالسعة والكثرة ، والمعنى : أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير * ( وإن منها لما يشقق ) * أي : يتشقق ، أدغم التاء في الشين ، أي : ينشق طولا أو عرضا فينبع منه الماء * ( وإن منها لما يهبط ) * أي : يتردى من أعلى الجبل ، والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله ، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ( ٣ ) ما أمرت به * ( وما الله بغفل عما تعملون ) * أيها المكذبون ،

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : تعلمون .

( ٢ ) في نسخة : القتيل .

( ٣ ) في نسخة : تعقل ، وفي اخرى : تقبل . ( * )
/ صفحة ١١٨ /



---

ومن قرأ بالياء ( ١ ) فالمراد : عما يعمل هؤلاء أيها المسلمون . * ( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلم الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) * ( ٧٥ ) الخطاب لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والمسلمين ، أي : * ( أفتطمعون أن يؤمنوا ) * لأجل دعوتكم فيستجيبوا * ( لكم ) * كما قال : * ( فامن له لوط ) * ( ٢ ) ، * ( وقد كان فريق منهم ) * أي : طائفة من أسلاف اليهود * ( يسمعون كلم الله ) * في التوراة * ( ثم يحرفونه ) * كما حرفوا صفة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وآية الرجم * ( من بعد ما عقلوه ) * أي : فهموه وضبطوه ولم يبق لهم شبهة في صحته * ( وهم يعلمون ) * أنهم كاذبون ، يعني : إن حرف هؤلاء فلهم سابقة في ذلك . * ( وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ( ٧٦ ) أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ) * ( ٧٧ ) سورة البقرة / ٧٨ * ( وإذا لقوا الذين ءامنوا ) * يعني : اليهود * ( قالوا ءامنا ) * بأنكم على الحق ، وبأن محمدا ( صلى الله عليه وآله ) هو النبي المبشر به في التوراة * ( وإذا خلا بعضهم إلى بعض ) * أي : صاروا في الموضع الذي ليس فيه غيرهم * ( قالوا ) * أي : قال بعضهم لبعض * ( أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ) * بما بين لكم في التوراة من صفة محمد ( صلى الله عليه وآله ) * ( ليحاجوكم به عند ربكم ) * ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه ، جعلوا محاجتهم به وقولهم : هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ، كما يقال : هو عند الله * ( هامش ) *

( ١ ) وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن . راجع كتاب السبعة في القراءات لان مجاهد : ص ١٦٠ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٤٨ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٨٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٢٦٧ . ( ٢ ) العنكبوت : ٢٦ . ( * )

/ صفحة ١١٩ /



---

هكذا ، أو هو في كتاب الله هكذا بمعنى واحد ، أو يكون المراد ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في إيمانهم بمحمد ( صلى الله عليه وآله ) إذ كنتم مخبرين بصحة أمره من كتابكم * ( أفلا تعقلون ) * أن ذلك حجة عليكم * ( أولا ) * يعلم هؤلاء اليهود * ( أن الله يعلم ما يسرون ) * من الكفر * ( وما يعلنون ) * من الإيمان . * ( ومنهم أميون لا يعلمون الكتب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ) * ( ٧٨ ) * ( أميون ) * لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها * ( لا يعلمون الكتب ) * أي : التوراة * ( إلا أمانى ) * إلا ماهم عليه من أمانيهم : أن الله يعفو عنهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، وقيل : إلا أكاذيب مختلقة ( ١ ) من علمائهم فيقبلونها

على التقليد ( ٢ ) ، كما قال أحدهم : هذا شئ رويته أم تمنيته ، أي : اختلقته ، وقيل : إلا مايقرؤون ( ٣ ) ، من قول الشاعر : تمنى كتاب الله أول ليله ( ٤ ) وهذا من الاستثناء المنقطع كقوله : * ( مالهم به من علم إلا اتباع الظن ) * ( ٥ ) ، * ( وإن هم ) * أي : وماهم * ( إلا يظنون ) * أي : يشكون وهم متمكنون من العلم بالحق . * ( فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله

* ( هامش ) *

( ١ ) في بعض النسخ : مختلفة .

( ٢ ) نسبه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٥٠ وابن كثير أيضا في تفسيره : ج ١ ص ١١١ الى ابن عباس ومجاهد .

( ٣ ) قاله الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٤٩ ، وأورده في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ١٤٥ ونسبه الى الكسائي والفراء .

( ٤ ) البيت غير منسوب لأحد ، وعجزه : وآخره لاقى حمام المقادر . انظر العين للفراهيدي : ج ٨ ص ٣٩٠ ، ولسان العرب : مادة " مني " ، والكشاف : ج ١ ص ١٥٧ .

( ٥ ) النساء : ١٥٧ . ( * )



---

ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ) * ( ٧٩ ) * ( فويل للذين يكتبون الكتب ) * المحرف * ( بأيديهم ) * تأكيد ، كما تقول : رآه بعينه وسمعه بأذنه ، والويل : كلمة التحسر والتفجع وهو في الآية العذاب * ( ليشتروا به ثمنا قليلا ) * أي : ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الأموال ، وصفه بالقلة لأن متاع الدنيا قليل ، وقوله : * ( مما يكسبون ) * أي : من الرشى . * ( وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ) * ( ٨٠ ) وقالت اليهود : * ( لن تمسنا النار ) * أي : لن تصيبنا النار * ( إلا أياما معدودة ) * أي : قلائل أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل ، وعن مجاهد : قالوا : مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما ( ١ ) ، * ( فلن يخلف الله عهده ) * متعلق بمحذوف تقديره : إن اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده ، و * ( أم ) * إما أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى : أي الأمرين كائن على سبيل التقرير ، لأن العلم واقع بكون أحدهما ، وإما أن تكون منقطعة بمعنى : بل أتقولون . * ( بلى من كسب سيئة وأحطت به خطيته فأولئك أصحب النار هم فيها خلدون ( ٨١ ) والذين ءامنوا وعملوا الصلحت

أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون ) * ( ٨٢ ) سورة البقرة / ٨٣ * ( بلى ) * إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله : * ( لن تمسنا النار ) * أي : بلى تمسكم النار على سبيل الخلود بدلالة قوله : * ( هم فيها خلدون ) * ، والسيئة هنا :

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ . ( * )

/ صفحة ١٢١ /

*(١١٦/١)*

---

الشرك ، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ( ١ ) وغيرهم ( ٢ ) وهو الصحيح ، لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا ( ٣ ) * ( وأحطت به خطيته ) * أي : أحدقت به من كل جانب كقوله : * ( وإن جهنم لمحيطة بالكفرين ) * ( ٤ ) ، أو أهلكته كقوله : * ( إلا أن يحاط بكم ) * ( ٥ ) و * ( أحيط بثمره ) * ( ٦ ) ، والمراد : سدت عليه طريق النجاة ، وقيل : المراد بذلك الإصرار على الذنب ( ٧ ) . وفي قوله : * ( والذين ءامنوا ) * الآية وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب ( ٨ ) الدائم كما أوعد قبله أهل الجحود والإصرار على الكبائر الموبقة بالعقاب الدائم . * ( وإذ أخذنا ميثق بنى إسرا ءيل لا تعبدون إلا الله وبالوا لدين إحسانا وذى القربى واليتمى والمسكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ) * ( ٨٣ ) * ( لا تعبدون ) * إخبار في معنى النهي ، كما يقال : تذهب إلى فلان تقول له كذا وكذا ، يراد به الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ، لأنه كأنه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه ، ويؤيده قراءة عبد الله وأبي : " لا تعبدوا " ( ٩ ) ، ولابد من إرادة

* ( هامش ) *

( ١ ) هو قتادة بن دعامة بن وائل السروسي البصري التابعي ، ولد أعمى ، سمع أنس بن مالك وغيره من التابعين ، وروى عنه جماعة من التابعين ، توفي سنة ١١٧ هـ ، وقيل : ١١٨ هـ وهو ابن ست وخمسين ، وقيل : ابن خمس وخمسين . ( تهذيب الأسماء واللغات : ج ٢ ص ١٥٧ ) .

( ٢ ) ذكره البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٨٩ وزاد : عطاء والضحاك والربيع وأبا العالية .

( ٣ ) انظر التفسير المنسوب الى الإمام العسكري ( عليه السلام ) : ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ح ١٤٧ ، والتبيان : ج ١ ص ٣٢٥ ، وتفسير الميزان : ج ١ ص ٢١٦ .

( ٤ ) التوبة : ٤٩ .

( ٥ ) يوسف : ٦٦ .

( ٦ ) الكهف : ٤٢ .

( ٧ ) قاله عكرمة والربيع بن خيثم على ما حكاه عنهما البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٨٩ ، وأورده المصنف في مجمع البيان : ج ١ ص ١٤٨ ونسبه الى عكرمة ومقاتل .

( ٨ ) في نسخة : بالصواب .

( ٩ ) حكاه عنهما الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٥٩ ، وأبو حيان في بحره : ج ١ ص ٢٨٢ .

( * )

/ صفحة ١٢٢ /

القول ، ويدل عليه قوله : * ( وقولوا ) * ، وتقدير قوله : * ( وبالوالدين إحسانا ) * : وتحسنون بالوالدين إحسانا أو أحسنوا ، وقيل : إن قوله : * ( لا تعبدون ) * جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق في معنى القسم ، كأنه قيل : وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون ( ١ ) ، وقيل : معناه أن لا تعبدوا فلما حذف " أن " رفع ( ٢ ) ، كقوله : ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ( ٣ ) سورة البقرة / ٨٤ و ٨٥ * ( وذى القربى ) * أي : وبذي القربى أن تصلوا قرابته ، وباليتامى أن تعطفوا عليهم بالشفقة والرأفة ، وبالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم * ( وقولوا للناس حسنا ) * أي : قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه ، وقرئ : " حسنا " ( ٤ ) و " حسنى " ( ٥ ) على المصدر كبشرى ، وعن الباقر ( عليه السلام ) : " قولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم " ( ٦ ) * ( وأقيموا الصلوة ) * أي : أدوها بحدودها وأركانها * ( وءاتوا الزكوة ) * أعطوها أهلها * ( ثم توليتم ) * هذا على طريق الالتفات ، أي : توليتم عن الميثاق وتركتموه * ( إلا قليلا منكم ) * وهم الذين أسلموا منهم * ( وأنتم معرضون ) * عادتكم الإعراض عن المواثيق .

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ١٦٢ ، والزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٥٩ .

( ٢ ) راجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ج ١ ص ١٦٢ ، والبغوي في تفسيره : ج ١ ص ٩٠ .

( ٣ ) البيت لطرفة بن العبد ، وعجزه : وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي ؟ راجع ديوانه : ص ٣١ ، وخزانة الأدب : ج ١ ص ١١٩ و ٤٦٣ ، وج ٨ ص ٥٠٧ و ٥٧٩ .

( ٤ ) بفتح الحاء والسين وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب والمفضل وخلف والأعمش . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٢ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٥٠ ، والتيسير في القراءات للداني : ص ٧٤ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٦ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٩٠ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٨٤ .

( ٥ ) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ونافع والحسن وابي وطلحة بن مصرف . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٢ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٨٥ .

( ٦ ) الكافي : ج ٢ ص ١٦٥ ح ١٠ . ( * )



---

* ( وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من ديركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ) * ( ٨٤ ) * ( لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم ) * أي : لا يفعل ذلك بعضكم ببعض ، جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا ، وقيل : المعنى فيه أنه إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه ( ١ ) * ( ثم أقررتم ) * بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه * ( وأنتم تشهدون ) * عليها ، وقيل : أنتم تشهدون اليوم يا معاشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ( ٢ ) . * ( ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديرهم تظهرون عليهم بالاثم والعدوا ن وإن يأتوكم أسرى تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذا لك منكم إلا خزى في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغفل عما تعملون ) * ( ٨٥ ) * ( ثم أنتم هؤلاء ) * استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم ، يعني : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، يعني : أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات ، كما تقول : رجعت بغير الوجه الذي خرجت به ، وقوله : * ( تقتلون ) * بيان لقوله : * ( ثم أنتم هؤلاء ) * ، وقيل : * ( هؤلاء ) * موصول بمعنى " الذين " ( ٣ ) . وقرئ :

* ( هامش ) *

( ١ ) ذكره الرازي في تفسيره : ج ٣ ص ١٧١ .

( ٢ ) حكاه الزمخشري في تفسيره : ج ١ ص ١٦٠ ، والبغوي أيضا في تفسيره : ج ١ ص ٩٠ .

( ٣ ) قاله الزمخشري في تفسيره : ج ١ ص ١٦٠ ، والرازي أيضا في تفسيره : ج ١ ص ١٧٢ . ( * )

( تظهرون ) * بحذف التاء ( ١ ) و " تظاهرون " بإدغامها ( ٢ ) ، والأصل تتظاهرون ، أي : تتعاونون عليهم * ( وإن يأتوكم أسرى ) * وقرئ : " أسرى " ( ٣ ) * ( تفدوهم ) * أي : وأنتم مع قتلكم من تقتلون منهم إذا وجدتموه ( ٤ ) أسيرا في أيدي غيركم فديتموهم ، وقتلكم وإخراجكم إياهم من ديارهم حرام عليكم كما أن تركهم أسارى في أيدي غيركم حرام عليكم ، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم ؟ ! وقرئ : * ( تفدوهم ) * لأن الفعل بين اثنين ، و * ( هو ) * ضمير الشأن و * ( محرم عليكم إخراجهم ) * خبره ، ويجوز أن يكون مبهما تفسيره * ( إخراجهم ) * ، * ( أفتؤمنون ببعض الكتب ) * أي : بالفداء * ( وتكفرون ببعض ) * أي : بالقتال والإجلاء ، وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس ، والنضير كانوا حلفاء الخزرج ، فكان كل فريق منهم يقاتل مع حلفائه ، فإذا غلبوا خربوا ديارهم سورة البقرة / ٨٦ و ٨٧ وأخرجوهم ، وإذا أسر رجل من الفريقين فدوه . والخزي : قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير ، وقيل : الجزية ( ٥ ) * ( ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب ) * الذي أعده الله لأعدائه ، وقرئ : " تردون " ( ٦ ) و " يعملون " بالتاء والياء ( ٧ ) .

* ( هامش ) *

( ١ ) قرأه الكوفيون . راجع التذكرة في القراءات السبعة لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٧ ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٣ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٩١ .

( ٢ ) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر . راجع التبيان : ج ١ ص ٣٣٤ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٣ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٩١ .

( ٣ ) قرأه حمزة والحسن وابن وثاب وطلحة وابن أبي اسحاق وعيسى والأعمش والنخعي . انظر الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي : ج ٢ ص ١٠٩ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣١٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٢٩١ .

( ٤ ) في نسخة : وجدتموهم .



( ٥ ) حكاه الرازي في تفسيره : ج ٣ ص ١٧٤ عن الحسن .

( ٦ ) وهي قراءة عبد الرحمن السلمي كما نسبه إليه ابن خالويه في شواذ القرآن : ص ١٥ ، وزاد في البحر المحيط : ج ١ ص ٢٩٤ : ابن هرمز .

( ٧ ) قرأه الحرميان وأبو بكر والمفضل ويعقوب وخلف . راجع التذكرة في القراءات لابن = ( * ) / صفحة ١٢٥ /

* ( أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ) * ( ٨٦ ) أي : رضوا بـ * ( الحيوة الدنيا ) * عوضا من نعيم الآخرة * ( فلا يخفف عنهم ) * عذاب الدنيا بنقصان الجزية وكذلك عذاب الآخرة * ( ولا هم ينصرون ) * أي : لا ينصرهم أحد بالدفع عنهم .

* ( ولقد ءاتينا موسى الكتب وقفينا من بعده بالرسل وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدنه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ) * ( ٨٧ ) * ( الكتب ) * التوراة ، آتاه إياها جملة واحدة * ( وقفينا ) * أي : أتبعنا ، من القفا ، وقفاه به : أتبعه إياه ، أي : أرسلنا على إثره كثيرا من الرسل ، كقوله : * ( ثم أرسلنا رسلنا تترا ) * ( ١ ) ، و * ( عيسى ) * بالسريانية : أيشوع ، و * ( مريم ) * بمعنى الخادم * ( البينت ) * المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والإخبار بالمغيبات * ( وأيدنه بروح القدس ) * بالروح المقدسة ، كما يقال : حاتم الجود ، لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث ، وقيل : بجبرئيل ( ٢ ) ، وقيل : باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره ( ٣ ) .

* ( هامش ) *

= غلبون : ج ٢ ص ٣١٧ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ ، والبحر المحيط : ج ١ ص ٢٩٤ .

( ١ ) المؤمنون : ٤٤ .

( ٢ ) وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي والضحاك . راجع تفسير ابن عباس : ص ١٣ ، وتفسير الحسن البصري : ج ١ ص ١٠٧ ، وتفسير الماوردي : ج ١ ص ١٥٦ ، والتبيان : ج ١ ص ٣٤٠ وقال : وهو أقوى الأقوال .



---

( ٣ ) قاله الضحاك عن ابن عباس كما حكاه عنه الشيخ في التبيان : ج ١ ص ٣٤٠ ، والماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٥٦ . ( * ) / صفحة ١٢٦ /

والمعنى : * ( ولقد ءاتينا ) * يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم * ( أفكلما جاءكم رسول ) * منهم بالحق * ( استكبرتم ) * عن الإيمان به ، فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ، ويجوز أن يريد : ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ، ثم وبخهم على ذلك ، ودخول الفاء لعطفه على المقدر ، ولم يقل : وفريقا قتلتم لأنه أريد الحال الماضية ، لأن

الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب . * ( وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ) * ( ٨٨ ) * ( قلوبنا غلف ) * جمع أغلف ، أي : هي خلقت مغشاة بأغطية لا يصل إليها ما جاء به محمد ( صلى الله عليه وآله ) ولا تفقهه ( ١ ) ، مستعار من الأغلف الذي لم يختن ، كقولهم : * ( قلوبنا في أكنة ) * ( ٢ ) ، ثم رد الله عليهم بقوله : * ( بل لعنهم الله بكفرهم ) * أي : ليس ذلك كما زعموا : أن قلوبهم خلقت كذلك ، لأنها خلقت على الفطرة ، لكن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم من رحمته * ( فقليلا ما يؤمنون ) * فإيمانا قليلا يؤمنون ، و * ( ما ) * مزيدة ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، ويجوز أن يكون القلة بمعنى العدم . * ( ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكفرين ) * ( ٨٩ ) سورة البقرة / ٩٠ و ٩١ * ( كتب من عند الله ) * هو القرآن * ( مصدق لما معهم ) * من الكتب المنزلة : التوراة والإنجيل وغيرهما ، لا يخالفها ، وجواب * ( لما ) * محذوف وهو نحو كذبوا

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : تفهمه .

( ٢ ) فصلت : ٥ . ( * )

/ صفحة ١٢٧ /



---

به وما أشبهه ( ١ ) ، وقيل : إن قوله : * ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) * في موضع جواب * ( لما ) * الأول وكرر " لما " لطول الكلام ( ٢ ) ، وقيل : إن جواب الثاني أغنى عن جواب الأول ( ٣ ) * ( وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ) * يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ، وكانوا يقولون : قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ( ٤ ) * ( فلما جاءهم ما عرفوا ) * من الحق * ( كفروا به ) * بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة * ( فلعنة الله ) * أي : غضبه وعذابه * ( على الكفرين ) * أي : عليهم وضع الظاهر موضع الضمير ( ٥ ) . * ( بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بمآ أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشآء من عباده فبآءو بغضب على غضب وللكفرين عذاب مهين ( ٩٠ ) وإذا قيل لهم ءامنوا بمآ أنزل الله قالوا نؤمن بمآ أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ) * ( ٩١ ) " ما " نكرة منصوبة مفسرة لفاعل " بئس " ، أي : بئس شيئا * ( اشتروا به

* ( هامش ) *

( ١ ) وهو قول الأخفش في معاني القرآن : ج ١ ص ٣١٩ ، والزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ١٧١ ، والزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٦٤ .

( ٢ ) حكاه الرازي في تفسيره : ج ٣ ص ١٨٠ ونسبه الى المبرد .

( ٣ ) قاله الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٥٩ ، وعنه الرازي في تفسيره : ج ٣ ص ١٨٠ .

( ٤ ) اختلفوا في إرم عاد ، فقال بعضهم : هو اسم قبيلة ، وقال آخر : هو اسم مدينة ، ثم اختلفوا فيها ، فمنهم من قال : هي أرض كانت فاندرست ، ومنهم من قال : هي الاسكندرية وإليه ذهب الزمخشري ، ومنهم من قال : هي دمشق ، وروى آخرون : هي مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء بناها شداد بن عاد . ( معجم البلدان : ج ١ ص ٢١٢ ) .



---

( ٥ ) في نسخة : المضمر . ( * )

/ صفحة ١٢٨ /

أنفسهم ) * والمخصوص بالذم * ( أن يكفروا ) * واشتروا بمعنى باعوا * ( بغيا ) * أي : حسدا وطلبا لما ليس لهم ، وهو مفعول له * ( أن ينزل الله من فضله ) * أي : على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي والنبوة * ( على من يشآء من عباده ) * ويقتضي حكمته إرساله * ( فبآءو بغضب على غضب ) * فصاروا أحقاء لغضب متوال ، لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه ، وقيل : بكفرهم بمحمد ( صلى الله عليه وآله ) بعد عيسى ( عليه السلام ) ( ١ ) ، وقوله : * ( بمآ أنزل الله ) * مطلق في كل كتاب أنزله الله ، وقوله : * ( بمآ أنزل علينا ) * مقيد بالتوراة * ( ويكفرون بما وراءه ) * أي : قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة * ( وهو الحق مصدقا لما معهم ) * منها غير مخالف له ، وفيه رد لمقالتهم ، لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها * ( قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ) * اعتراض ( ٢ ) عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة ، والتوراة لا ترخص في قتل الأنبياء . * ( ولقد جاءكم موسى بالبينت ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظلمون ) * ( ٩٢ ) يعني : * ( جاءكم موسى ) * بالمعجزات الدالة على صدقه * ( ثم اتخذتم العجل ) * إلها معبودا من بعد مجيئه ، أو من بعد موسى لما مضى إلى ميقات ربه * ( وأنتم ظلمون ) * وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها ، فتكون الجملة حالا أو تكون اعتراضا بمعنى : وأنتم قوم عادتكم الظلم . سورة البقرة / ٩٣ و ٩٤ * ( وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا مآ ءاتينكم بقوة

* ( هامش ) *

( ١ ) نسبه السمرقندي في تفسيره : ج ١ ص ١٣٧ الى مقاتل .
( ٢ ) في بعض النسخ : اعترض . ( * )
/ صفحة ١٢٩ /



---

واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمنكم إن كنتم مؤمنين ) * ( ٩٣ ) كرر سبحانه ذكر * ( الطور ) * ورفعه فوقهم ، لما في الثانية من الزيادة غير المذكورة في الأولى مع ما فيه من التوكيد * ( واسمعوا ) * لما أمرتم به في التوراة * ( قالوا سمعنا ) * قولك * ( وعصينا ) * أمرك * ( وأشربوا في قلوبهم العجل ) * أي : تغلغل في بواطنهم وتداخلها حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ ، وقوله : * ( في قلوبهم ) * بيان لمكان الإشراب ، كقوله : * ( إنما يأكلون في بطونهم نارا ) * ( ١ ) ، * ( بكفرهم ) * أي : بسبب كفرهم * ( قل بئسما يأمركم به إيمنكم ) * بالتوراة ، لأنه ليس في التوراة عبادة العجل ، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم ، كما قال قوم شعيب : * ( أصلوتك تأمرك ) * ( ٢ ) ، وكذلك إضافة الإيمان إليهم ، وقوله : * ( إن كنتم مؤمنين ) * تشكيك في إيمانهم ، وقدح في صحة دعواهم له . * ( قل إن كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين ) * ( ٩٤ ) * ( خالصة ) * نصب على الحال من * ( الدار الاخرة ) * والمراد الجنة ، أي : خالصة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق كما تزعمون في قولكم : * ( لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ) * ( ٣ ) ، و * ( الناس ) * للجنس ، وقيل : للعهد وهم المسلمون ( ٤ ) * ( فتمنوا الموت ) * لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة * ( هامش ) *
( ١ ) النساء : ١٠ .
( ٢ ) هود : ٨٧ .
( ٣ ) البقرة : ١١١ .
( ٤ ) حكاه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٦١ عن ابن عباس ، وانظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٣٤٢ . ( * )
/ صفحة ١٣٠ /



---

الوصول إلى نعيمها ، كما روي : أن عليا ( عليه السلام ) كان يطوف بين الصفين بصفين في غلالة ، فقال له ابنه الحسن ( عليه السلام ) : ماهذا بزي المحاربين ، فقال : يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت ( ١ ) . ويروى : أن حبيب بن مظاهر ( ٢ ) ضحك يوم الطف ، فقيل له في ذلك ، فقال : وأي موضع أحق بالسرور من هذا الموضع ؟ ! والله ما هو إلا أن يقبل علينا هؤلاء القوم ( ٣ ) بسيوفهم فنعانق الحور العين ( ٤ ) . * ( ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظلمين ) * ( ٩٥ ) هذا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب ، وكان كما أخبر به ، وفي الحديث : " لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه فمات مكانه ، وما بقي على وجه الأرض يهودي " ( ٥ ) ، * ( بما قدمت أيديهم ) * أي : بما أسلفوا من موجبات النار من تحريف كتاب الله والكفر بمحمد ( صلى الله عليه وآله ) وغير ذلك من أنواع الكفر ، والتمني : قول الإنسان بلسانه : ليت لي كذا * ( والله عليم بالظلمين ) * تهديد لهم . سورة البقرة / ٩٦ * ( ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود

* ( هامش ) *

( ١ ) رواها في الكشاف : ج ١ ص ١٦٦ ، وأوردها في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ١٦٤ .

( ٢ ) أبو القاسم حبيب بن مظهر أو مظاهر بن رئاب ابن الاشتر الأسدي الكندي ثم الفقعسي . وكان ذا جمال وكمال ، وفي وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة ، وكان يحفظ القرآن كله ، ويختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر ، قال أهل السير : إن حبيبا نزل الكوفة وصحب عليا ( عليه السلام ) في حروبه كلها ، وكان من خاصته وحملة علومه ، استشهد مع الحسين ( عليه السلام ) في كربلاء سنة ٦١ هـ . ( أعيان الشيعة : ج ٤ ص ٥٥٤ ) .

( ٣ ) في نسخة : الطغام .

( ٤ ) رجال الكشي : ص ٧٩ ، سفينة البحار : ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .



---

( ٥ ) رواه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٩٥ عن ابن عباس عنه ( صلى الله عليه وآله ) ، ونقله في الكشاف : ج ١ ص ١٦٧ مرفوعا . ( * )



أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ) * ( ٩٦ ) هو من وجدت بمعنى علمت في قولهم : وجدت زيدا ذا الحفاظ ، ومفعولاه " هم " و * ( أحرص الناس ) * ، ونكر * ( حيوة ) * لأنه أراد على حياة مخصوصة متطاولة * ( ومن الذين أشركوا ) * محمول على المعنى ، لأن معنى * ( أحرص الناس ) * أحرص من الناس ، وجاز ذلك وإن

دخل الذين أشركوا تحت الناس لأنهم أفردوا بالذكر من جهة أن حرصهم أشد ، ويجوز أن يراد : وأحرص من الذين أشركوا ، فحذف لدلالة * ( أحرص الناس ) * عليه ، وفيه توبيخ شديد لأن حرص المشركين على الحياة غير مستبعد لأنها جنتهم ولم يؤمنوا بعاقبة ، فإذا زادوا عليهم في الحرص وهم مقرون بالجزاء كانوا أحقاء بأعظم التوبيخ ، وقيل : أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم : عش ألف نيروز ( ١ ) ، وقيل : * ( ومن الذين أشركوا ) * كلام مبتدأ ، أي : ومنهم ناس يود أحدهم ، على حذف الموصوف ، كقوله : * ( ومامنآ إلا له مقام معلوم ) * ( ٢ ) ( ٣ ) ، والضمير في * ( وما هو ) * لأحدهم ، و * ( أن يعمر ) * فاعل لـ " مزحزحه " ، أي : وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ، وقيل : الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره و * ( أن يعمر ) * بدل منه ( ٤ ) ، ويجوز أن يكون * ( هو ) * مبهما و * ( أن يعمر ) * مبينه ، والزحزحة : التنحية والتبعيد ، وقوله : * ( لو يعمر ) * في معنى التمني ، وكان القياس : لو أعمر إلا أنه أجري على لفظ الغيبة لقوله : * ( يود أحدهم ) * كقولك : حلف بالله ليفعلن ، فقوله : * ( لو يعمر ) *

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٦٨ عن ابن عباس ، والبغوي في تفسيره : ج ١ ص ٩٦ عن أبي العالية والربيع .

( ٢ ) الصافات : ١٦٤ .



---

( ٣ ) حكاه الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٦٨ ، والبغوي في تفسيره : ج ١ ص ٩٦ .

( ٤ ) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ . ( * )

/ صفحة ١٣٢ /

حكاية لودادتهم . * ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ( ٩٧ ) من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكيل فإن الله عدو للكفرين ) * ( ٩٨ ) روي : أن عبد الله بن صوريا - وهو من أحبار فدك - سأل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عمن يهبط عليه بالوحي ، فقال : جبرئيل ، فقال : ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك ، فنزلت ( ١ ) جوابا لقوله وردا عليه * ( قل ) * يا محمد : * ( من ) * عادى جبرئيل من أهل الكتاب * ( فإنه ) * نزل القرآن ، أضمر ما لم يسبق ذكره ، وفيه فخامة لشأنه ، إذ جعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه * ( على قلبك ) * أي : حفظه إياك وفهمكه بإذن الله ، أي : بتيسيره وتسهيله ، والمعنى : أنه لا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا * ( مصدقا لما بين يديه ) * من

الكتب فيكون مصدقا لكتابهم ، فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما يصحح الكتاب المنزل عليهم * ( وهدى وبشرى ) * أي : وهاديا ومبشرا * ( للمؤمنين ) * بالنعيم الدائم ، وإنما أعاد ذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لفضلهما ، فأفردهما بالذكر كأنهما من جنس آخر ، وهو مما ذكر : أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات . الصادق ( عليه السلام ) كان يقرأ جبريل وميكال بغير همزة . سورة البقرة / ٩٩ - ١٠١ * ( فإن الله عدو للكفرين ) * أراد عدو لهم ، وضع الظاهر موضع الضمير ليدل

* ( هامش ) *



---

( ١ ) راجع أسباب النزول للواحدي : ص ٣٣ ، وتفسير البغوي : ج ١ ص ٩٦ ، والكشاف : ج ١ ص ١٦٩ ، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : ص ٩ ما لفظه : ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي فقالوا : روى ابن عباس أن حبرا . . . ، ولم أقف له على سند ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح . ( * )

/ صفحة ١٣٣ /

على أنه سبحانه إنما عاداهم لكفرهم ، وأن عداوة الملائكة كفر . * ( ولقد أنزلنا إليك ءايت بينت وما يكفر بها إلا الفسقون ( ٩٩ ) أوكلما عهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ) * ( ١٠٠ ) * ( ءايت ) * أي : معجزات ظاهرات واضحات * ( وما يكفر بها إلا ) * المتمردون من الكفرة ، وعن الحسن : إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره ( ١ ) ، واللام في * ( الفسقون ) * للجنس ، والأولى أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب * ( أو كلما ) * الواو للعطف على محذوف ، معناه : * ( أ ) * كفروا بالآيات البينات * ( وكلما عهدوا ) * واليهود موصوفون بنقض العهد ( ٢ ) قال سبحانه : * ( الذين عهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ) * ( ٣ ) ، والنبذ : الرمي بالشئ ورفضه ، وقال : * ( فريق منهم ) * لأن منهم من لم ينقض * ( بل أكثرهم لا يؤمنون ) * بالتوراة وليسوا من الدين في شئ ، فلا يبالون بنقض الميثاق ولا يعدونه ذنبا . * ( ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتب كتب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ) * ( ١٠١ ) * ( كتب الله ) * يعني : التوراة ، لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لها كافرون بها نابذون لها ، أو يريد القرآن نبذوه بعد أن لزمهم أن يتلقوه بالقبول ، كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله ، يعني : أنهم يعلمون ذلك ولكنهم يكابرون ويعاندون ، ونبذوه * ( وراء ظهورهم ) * مثل لتركهم وإعراضهم عنه .

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه عنه الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٧١ .
( ٢ ) في بعض النسخ : العهود .



---

( ٣ ) الأنفال : ٥٦ . ( * )
/ صفحة ١٣٤ /
* ( واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هروت ومروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الاخرة من خلق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ) * ( ١٠٢ ) سورة البقرة / ١٠٣ المعنى : أن هذا الفريق المذكور من اليهود نبذوا كتاب الله * ( واتبعوا ما تتلوا الشيطين ) * أي : واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرأها الشياطين على عهد ملك سليمان وفي زمانه ، وكانوا يقولون : هذا علم سليمان ، وبه يسخر الجن والإنس والريح * ( وما كفر سليمن ) * هذا تكذيب للشياطين ودفع لما بهتوه به من العمل بالسحر وسماه كفرا * ( ولكن الشيطين ) * هم الذين * ( كفروا ) * باستعمال السحر وتدوينه في كتب يقرؤونها ويعلمونها * ( الناس ) * يقصدون بذلك إغواءهم * ( وما أنزل على الملكين ) * ( ١ ) ، قيل : هو عطف على * ( ما تتلوا ) * أي : واتبعوا ما أنزل على الملكين ( ٢ ) ، * ( ببابل هروت ومروت ) * ( ٣ ) عطف بيان للملكين علمان لهما ، والذي أنزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس ، من تعلمه منهم وعمل به كان
* ( هامش ) *
( ١ ) في نسخة زيادة : عطف على السحر ، أي يعلمونهم ما انزل على الملكين و .
( ٢ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ١٨٣ .
( ٣ ) بابل بكسر الباء : اسم ناحية الكوفة والحلة ، وقيل : بابل العراق ، وقيل : أول من سكنها نوح ( عليه السلام ) ، وهو أول من عمرها ، وكان قد نزلها بعقب الطوفان ، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدف ء فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح ( عليه السلام ) . ( معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤٧ ) . ( * )
/ صفحة ١٣٥ /

كافرا ، ومن تجنبه أو تعلمه لأن لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا ، كما ابتلي قوم طالوت بالنهر * ( فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى ) * ( ١ ) * ( وما يعلمان من أحد ) * أي : وما يعلم الملكان أحدا * ( حتى ) * ينبهاه و * ( يقولا ) * له * ( إنما نحن فتنة ) * أي : ابتلاء واختبار من الله * ( فلا تكفر ) * أي : فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر * ( فيتعلمون ) * الضمير لما دل عليه من أحد ، أي : فيتعلم الناس من الملكين * ( ما يفرقون به بين المرء وزوجه ) * أي : علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك ( ٢ ) والنشوز والخلاف ابتلاء منه * ( وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ) * لأنه ربما يحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث * ( ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ) * لأنهم يقصدون به الشر * ( ولقد علموا ) * أي : علم هؤلاء اليهود * ( لمن اشتريه ) * أي : استبدل * ( ما تتلوا الشيطين ) * على كتاب الله * ( ماله في الاخرة من خلق ) * أي : نصيب * ( ولبئس ماشروا به أنفسهم ) * أي : باعوها * ( لو كانوا يعلمون ) * أي : يعملون بعلمهم ، جعلهم حين لم يعملوا كأنهم لم يعلموا . * ( ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ) * ( ١٠٣ ) يريد * ( ولو أنهم ءامنوا ) * برسول الله * ( واتقوا ) * الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين * ( لمثوبة من عند الله خير ) * أي : * ( لو كانوا يعلمون ) * أن ثواب الله خير مما هم فيه ، وقد علموا ولكنه سبحانه جهلهم لتركهم

* ( هامش ) *

( ١ ) البقرة : ٢٤٩ .

( ٢ ) الفرك – بالكسر والفتح – البغضة عامة ، أو خاص ببغضة الزوجين . ( القاموس المحيط : مادة فرك ) . ( * )



العمل بالعلم . وجواب * ( لو ) * قوله : * ( لمثوبة من عند الله خير ) * ، وإنما أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ، والمعنى : لشئ من الثواب خير لهم ، وقيل : إن جواب * ( لو ) * محذوف يدل الكلام عليه أي : لاثيبوا ( ١ ) .

* ( يأيها الذين ءامنوا لا تقولوا را عنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب أليم ) * ( ١٠٤ ) كان

المسلمون يقولون لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إذا ألقى إليهم شيئا من العلم : * ( را عنا ) * يا رسول الله ، أي : راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه ، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها وهي " راعينا " ، فلما سمعوا بقول المسلمين : * ( را عنا ) * افترصوه ( ٢ ) وخاطبوا الرسول به وهم يعنون تلك اللفظة عندهم ، فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو * ( انظرنا ) * من نظره : إذا انتظره * ( واسمعوا ) * وأحسنوا سماع ما يكلمكم به النبي ( صلى الله عليه وآله ) بآذان ( ٣ ) واعية حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة ( ٤ ) وطلب المراعاة ، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن مثل سماع اليهود حيث قالوا : * ( سمعنا وعصينا ) * ( ٥ ) ، * ( وللكفرين ) * أي : ولليهود الذين سبوا رسول الله * ( عذاب ) * مؤلم . سورة البقرة / ١٠٥ – ١٠٧ * ( مايود الذين كفروا من أهل الكتب ولا المشركين أن ينزل

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ١٨٧ ، والزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٧٤ .

( ٢ ) افترص فلانا ظلما : اقتطعه ، أي : تمكن بالوقيعة في عرضه . ( أقرب الموارد ) .

( ٣ ) في بعض النسخ : باذن .

( ٤ ) في نسخة : الاستعانة .

( ٥ ) البقرة : ٩٣ ، النساء : ٤٦ . ( * )



---

عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم ) * ( ١٠٥ ) * ( من ) * الأولى للبيان ، لأن * ( الذين كفروا ) * جنس تحته نوعان : * ( أهل الكتب ) * والمشركون ، والثانية مزيدة للاستغراق ، والثالثة لابتداء الغاية . والخير : الوحي ، وكذلك الرحمة كقوله : * ( أهم يقسمون رحمت ربك ) * ( ١ ) والمعنى : أن اليهود والمشركين يرون أنفسهم أحق بالوحي فيحسدونكم ، وما يحبون * ( أن ينزل عليكم ) * شئ من الوحي * ( والله يختص ) * بالنبوة * ( من يشآء ) * ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة * ( والله ذو الفضل العظيم ) * إيذان بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم ، كقوله : * ( إن فضله كان عليك كبيرا ) * ( ٢ ) . * ( ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منهآ أو مثلهآ ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ( ١٠٦ ) ألم تعلم أن الله له ملك السموا ت والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير ) * ( ١٠٧ ) نسخ الآية : إزالتها بإبدال أخرى مكانها ، وإنساخها : الأمر بنسخها ، ونسؤها : تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل ،

وإنساؤها : أن يذهب بحفظها عن القلوب ، والمعنى : أن كل * ( ءاية ) * نذهب بها على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا ، أو من إزالة أحدهما إلى بدل ، أولا إلى بدل * ( نأت بخير منهآ ) * للعباد ، أي : بآية العمل بها أحوز للثواب * ( أو مثلهآ ) * في ذلك الثواب * ( ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ) * فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في ذلك و * ( أن الله له ملك السموا ت والارض ) * فهو يملك تدبيركم ويجريه على حسب

* ( هامش ) *

( ١ ) الزخرف : ٣٢ .

( ٢ ) الاسراء : ٨٧ . ( * )

/ صفحة ١٣٨ /



---

مصالحكم ، وهو أعلم بما يتعبدكم ( ١ ) به من ناسخ ومنسوخ * ( ومالكم ) * سوى * ( الله من ولى ) * يقوم بأموركم * ( ولا نصير ) * أي : ناصر ينصركم . * ( أم تريدون أن تسلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمن فقد ضل سوآء السبيل ) * ( ١٠٨ ) لما بين سبحانه أنه مدبر أمورهم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به ، وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عقباها وبالا عليهم ، كقولهم : * ( أرنا الله جهرة ) * ( ٢ ) وغير ذلك * ( ومن يتبدل الكفر بالايمن ) * بأن ترك الثقة بالآيات وشك فيها واقترح غيرها * ( فقد ضل سوآء السبيل ) * أي : ذهب عن قصد الطريق واستقامته . * ( ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمنكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شئ قدير ) * ( ١٠٩ ) سورة البقرة / ١١٠ – ١١٢ معناه : تمنى * ( كثير من أهل الكتب ) * كحي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأمثالهما * ( لو يردونكم ) * على معنى : أن يردوكم يا معشر المؤمنين ، أي : يرجعوكم * ( من بعد إيمنكم كفارا حسدا ) * منهم لكم بما أعد الله لكم من الثواب والفضل ، وانتصب * ( حسدا ) * بأنه مفعول له ، وتعلق قوله : * ( من عند أنفسهم ) * بـ * ( ود ) * أي : ودوا ذلك وتمنوه من قبل أنفسهم وشهواتهم لا من قبل الميل مع الحق ، لأنهم ودوا ذلك * ( من بعد ما تبين لهم ) * أنكم على * ( الحق ) * فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ؟ ! ويجوز أن يتعلق بـ * ( حسدا ) * أي : حسدا من أصل نفوسهم فيكون

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : يتعبد .
( ٢ ) النساء : ١٥٣ . ( * )
/ صفحة ١٣٩ /

(١٣٥/١)

---

على طريق التوكيد * ( فاعفوا واصفحوا ) * أي : فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة * ( حتى يأتي الله بأمره ) * الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلال من سواهم من اليهود بضرب الجزية عليهم * ( إن الله على كل شئ قدير ) * فهو يقدر على الانتقام منهم . * ( وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ) * ( ١١٠ ) لما أمر سبحانه المسلمين بالصفح عنهم عقبه بالأمر بالصلاة والزكاة ليستعينوا بهما على ما شق عليهم من شدة عداوة اليهود لهم كما قال : * ( واستعينوا بالصبر والصلوة ) * ( ١ ) ، * ( وما تقدموا . . . من خير ) * من صلاة أو صدقة أو غيرهما من الطاعات تجدوا ثوابه * ( عند الله إن الله بما تعملون بصير ) * عالم لا يضيع عنده عمل عامل . * ( وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرى تلك أمانيهم قل هاتوا برهنكم إن كنتم صدقين ( ١١١ ) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) * ( ١١٢ ) الضمير في * ( قالوا ) * لأهل الكتاب ، والمعنى : وقالت اليهود : * ( لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ) * وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان * ( نصرى ) * فلف بين القولين ، ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمنا من الالتباس لما علم من الخلاف بين الفريقين ، ونحوه قوله : * ( وقالوا كونوا هودا أو نصرى ) * ( ٢ ) . والهود جمع الهائد ، ووحد اسم " كان " حملا على لفظ " من " في قوله : * ( من كان هودا ) *

* ( هامش ) *
( ١ ) البقرة : ٤٥ .
( ٢ ) البقرة : ١٣٥ . ( * )
/ صفحة ١٤٠ /

(١٣٦/١)

---

وجمع خبره حملا على معناه * ( تلك أمانيهم ) * إشارة إلى أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأمنيتهم أن يردوهم كفارا ( ١ ) ، و ( ٢ ) أمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم ، أي : تلك الأماني الكاذبة أمانيهم * ( قل هاتوا برهنكم ) * أي : حجتكم * ( إن كنتم صدقين ) * في قولكم : * ( لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرى ) * ، وفي هذا دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو باطل ، وهات بمعنى أحضر * ( بلى ) * إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة * ( من أسلم وجهه لله ) * أي : من أخلص نفسه لله لا يشرك به غيره * ( وهو محسن ) * في عمله * ( فله أجره ) * الذي يستوجبه ، ويجوز أن يكون * ( من أسلم ) * مبتدأ ويكون * ( من ) * متضمنا معنى الشرط وجوابه * ( فله أجره ) * ، ويجوز أن يكون فاعلا لفعل محذوف ، أي : * ( بلى ) * يدخلها * ( من أسلم ) * ويكون * ( فله أجره ) * معطوفا على يدخلها * ( من أسلم ) * . * ( وقالت اليهود ليست النصرى على شئ وقالت النصرى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتب كذا لك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ) * ( ١١٣ ) سورة البقرة / ١١٤ * ( على شئ ) * مبالغة عظيمة ، أي : ليسوا على شئ يصح ويعتد به ، كقولهم : أقل من لا شئ * ( وهم يتلون الكتب ) * الواو للحال والكتاب للجنس ، أي : قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب * ( كذا لك ) * أي : مثل ذلك الذي سمعت به وعلى ذلك المنهاج * ( قال ) * الجهلة * ( الذين ) * لا علم عندهم ولا كتاب ، كعبدة الأوثان والدهرية ونحوهم قالوا لأهل كل دين : ليسوا على شئ ، وهذا توبيخ لهم حيث نظموا نفوسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم * ( فالله يحكم ) * بين

* ( هامش ) *

( ١ ) في بعض النسخ زيادة : حسدا .

( ٢ ) في نسخة : أو . ( * )

/ صفحة ١٤١ /



---

اليهود والنصارى * ( يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ) * فيريهم من يدخل الجنة ومن يدخل النار عيانا . * ( ومن أظلم ممن منع مسجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الاخرة عذاب عظيم ) * ( ١١٤ ) * ( أن يذكر ) * في موضع النصب بأنه المفعول الثاني لـ * ( منع ) * ، تقول : منعته كذا ، ومثله * ( وما منع الناس أن يؤمنوا ) * ( ١ ) ، ويجوز أن يكون منصوبا بأنه مفعول له بمعنى : منعها كراهة أن يذكر ، وهو حكم عام في جنس * ( مسجد الله ) * وأن مانعها من ذكر الله في غاية الظلم . وروي

عن الصادق ( عليه السلام ) : " أن المراد بذلك قريش حين منعوا رسول الله دخول مكة والمسجد الحرام " ( ٢ ) ، وبه قال بعض المفسرين ( ٣ ) . وقال بعضهم : إنهم الروم ، غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه إلى أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيام عمر ( ٤ ) فصاروا لا يدخلونها * ( إلا خائفين ) * يتهيبون المؤمنين أن يبطشوا بهم . وعلى القول الأول فقد روي : أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أمر أن ينادى : ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ( ٥ ) ، فالمعنى : * ( أولئك ) * المانعون ( ماكان لهم ) * في حكم الله * ( أن ) * يدخلوا مساجد الله * ( إلا خائفين ) * ، لأن الله

* ( هامش ) *

( ١ ) الاسراء : ٩٤ .

( ٢ ) أوردها في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ١٨٩ .

( ٣ ) كابن زيد والبلخي والجبائي والرماني . انظر التبيان : ج ١ ص ٤١٦ .

( ٤ ) وهو قول الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٧٤ ، وحكاه الشيخ في التبيان : ج ١ ص ٤١٦ عن ابن عباس ومجاهد .

( ٥ ) رواها الزمخشري في الكشاف : ج ١ ص ١٨٠ . ( * )

/ صفحة ١٤٢ /



---

تعالى قد حكم وكتب في اللوح أنه يعز الدين ، وينصر عليهم المؤمنين * ( لهم في الدنيا خزى ) * أي : قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية عليهم ، وقيل : بفتح مدائنهم قسطنطينية ورومية عند قيام المهدي ( عليه السلام ) ( ١ ) * ( ولهم في الاخرة عذاب عظيم ) * في نار جهنم . * ( ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله وا سع عليم ) * ( ١١٥ ) * ( ولله ) * بلاد * ( المشرق والمغرب ) * والأرض كلها هو مالكها * ( فأينما تولوا ) * أي : ففي أي مكان فعلتم التولية ، يعني : تولية وجوهكم شطر القبلة ، بدليل قوله : * ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ) * الآية ( ٢ ) ، * ( فثم وجه الله ) * أي : جهته التي أمر بها ورضيها ، والمعنى : أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام فقد جعلت لكم الأرض مسجدا في أي بقعة شئتم من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها ، فإن التولية لا تختص بمسجد دون مسجد * ( إن الله وا سع ) * الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم * ( عليم ) * بمصالحهم ، وقيل : إنها نزلت في صلاة التطوع على الراحلة للمسافر أينما توجهت ( ٣ ) ، وهو المروي عنهم ( عليهم السلام ) ( ٤ ) . سورة البقرة / ١١٦ - ١١٨ * ( وقالوا اتخذ الله ولدا سبحنه بل له ما في السموا ت والارض كل له قنتون ( ١١٦

) بديع السموا ت والارض وإذا قضى أمرا فإنما يقول
* ( هامش ) *
( ١ ) أورده المصنف في مجمع البيان : ج ١ - ٢ ص ١٩٠ عن السدي ، وراجع تفسير السمرقندي : ج ١ ص ١٥١ ، والماوردي : ج ١ ص ١٧٥ .
( ٢ ) البقرة : ١٤٤ .
( ٣ ) وهو قول عمر وابنه عبد الله . راجع تفسير البغوي : ج ١ ص ١٧٥ ، وأسباب النزول للواحدي : ص ٣٨ - ٣٩ .
( ٤ ) أورده المصنف في مجمع البيان : ج ١ ص ١٩١ . ( * )
/ صفحة ١٤٣ /



---

له كن فيكون ) * ( ١١٧ ) ثم رد الله على اليهود والنصارى قولهم : * ( اتخذ الله ولدا ) * وهم الذين قالوا : " المسيح ابن الله " و " عزير ابن الله " ، وعلى من قال : " الملائكة بنات الله " ، * ( سبحنه ) * تنزيه له عن ذلك وتبعيد * ( بل له ما في السموا ت والارض ) * وهو خالقه ومالكه ، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح * ( كل له قنتون ) * مطيعون منقادون لا يمتنع شئ منهم عن تقديره وتكوينه ومشيته ، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس له تعالى ، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد ، والتنوين في * ( كل ) * عوض من المضاف إليه ، أي : كل من في السماوات والأرض ، وجاء بلفظة " ما " دون " من " كقوله ( ١ ) : سبحان ما سخركن لنا . ويقال : بدع الشئ فهو بديع ، و * ( بديع السموا ت ) * من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، أي : بديع سماواته وأرضه ، وقيل : هو بمعنى المبدع ( ٢ ) . وقوله : * ( كن فيكون ) * أي : احدث فيحدث ، وهو من " كان " التامة ، وهذا تمثيل ولا قول هناك ، والمعنى : أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف ، كما أن المأمور المطيع إذا أمر لا يتوقف ، ( ٣ ) أكد بهذا استبعاد الولادة ، لأن من كانت هذه صفته في كمال القدرة فحاله مباينة لحال الأجسام في توالدها . * ( وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا ءاية كذا لك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشبهت قلوبهم قد بينا الايت لقوم يوقنون ) * ( ١١٨ )
* ( هامش ) *
( ١ ) في نسخة : كقولهم .
( ٢ ) قاله الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٧٨ .

( ٣ ) في نسخة زيادة : فقد . ( * )
/ صفحة ١٤٤ /

(١٤٠/١)

---

أي : * ( وقال ) * الجاهلون من المشركين ، وقيل : من أهل الكتاب ( ١ ) ، نفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به * ( لولا يكلمنا الله ) * أي : هلا يكلمنا ( ٢ ) كما يكلم الملائكة وكلم موسى ، استكبارا منهم وعتوا * ( أو تأتينا ءاية ) * هذا جحود منهم لأن يكون ما آتاهم من آيات الله آيات * ( كذا لك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ) * حيث اقترحوا الآيات على موسى ( عليه السلام ) * ( تشبهت قلوبهم ) * أي : قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله سبحانه : * ( أتواصوا به ) * ( ٣ ) ، * ( قد بينا الايت لقوم ) * ينصفون ف * ( يوقنون ) * أنها آيات يجب الاعتراف بها والاكتفاء بوجودها عن غيرها . * ( إنآ أرسلنك بالحق بشيرا ونذيرا ولاتسل عن أصحب الجحيم ( ١١٩ ) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ) * ( ١٢٠ ) سورة البقرة / ١٢١ – ١٢٣ * ( إنآ أرسلنك ) * لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان ، وهذه تسلية له ( عليه السلام ) لئلا يضيق صدره بإصرارهم على الكفر ، ولا نسألك * ( عن أصحب الجحيم ) * مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت واجتهدت في الدعوة ، وأما قراءة نافع : " ولا تسأل " ( ٤ ) فهو على النهي ، وقيل : إن معناه تفخيم الشأن ( ٥ ) كما يقول القائل : لا تسأل عن حال فلان ، أي : قد صار إلى أكثر مما تريده ، أو أنت لا تستطيع استماع

* ( هامش ) *

( ١ ) وهو قول ابن عباس ومجاهد . انظر تفسير الماوردي : ج ١ ص ١٨٠ .

( ٢ ) في نسخة زيادة : الله .

( ٣ ) الذاريات : ٥٣ .

( ٤ ) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٩ ، إعراب القرآن للنحاس : ج ١ ص ٢٠٩ ، والتيسير في القراءات للداني : ص ٧٦ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٢٦٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٤١/١)

---

( ٥ ) قاله الأخفش كما حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ١ ص ٤٣٨ . ( * )
/ صفحة ١٤٥ /
خبره ، وكان اليهود قالوا : لن نرضى عنك وإن طلبت رضانا جهدك ( ١ ) حتى تتبع ملتنا ، فحكى الله كلامهم ، ولذلك قال : * ( قل إن هدى الله هو الهدى ) * جوابا لهم عن قولهم ، يعني : أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الحق والذي يصح أن يسمى هدى * ( ولئن اتبعت ) * أقوالهم التي هي أهواء وبدع * ( بعد الذى جاءك من العلم ) * أي : من الدين المعلوم صحته بالدلائل والبراهين . * ( الذين ءاتينهم الكتب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخسرون ) * ( ١٢١ ) يعني : * ( الذين ) * آمنوا من جملة أهل الكتاب * ( يتلونه حق تلاوته ) * لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) . الصادق ( عليه السلام ) قال : " إن حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار ، يسأل في الأولى ويستعيذ في الاخرى " ( ٢ ) . * ( أولئك يؤمنون ) * بكتابهم دون المحرفين * ( ومن يكفر به ) * من المحرفين * ( فأولئك هم الخسرون ) * حيث اشتروا الضلالة بالهدى . * ( يبنى إسرا ءيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العلمين ( ١٢٢ ) واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفعة ولا هم ينصرون ) * ( ١٢٣ ) قد تقدم مثل الآيتين ( ٣ ) ، ولما بعد مابين الكلامين حسن الإعادة والتكرير إبلاغا في التنبيه والاحتجاج ، وتأكيدا للتذكير .

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : بجهدك .

( ٢ ) تفسير العياشي : ج ١ ص ٥٧ ح ٨٤ ، وعنه البرهان : ج ١ ص ١٤٧ ح ٣ .

( ٣ ) في ص ٦٠ ، فراجع . ( * )

/ صفحة ١٤٦ /



---

* ( وإذ ابتلى إبرا هيم ربه بكلمت فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين ) * ( ١٢٤ ) العامل في " إذ " مضمر نحو " اذكر " ، * ( وإذ ابتلى إبرا هيم ) * أي : اختبر إبراهيم * ( ربه بكلمت ) * بأوامر ونواه ، واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين : ما يريده الله وما يشتهيه العبد ، كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك * ( فأتمهن ) * أي : فقام بهن حق القيام وأداهن حق التأدية من غير تفريط وتقصير ، أو يكون تقديره : وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات كان كيت وكيت ، ويجوز أن يكون العامل في " إذ "

قوله : * ( قال إنى جاعلك ) * ، ويكون على القول الأول قد استؤنف الكلام ، كأنه قيل : فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات ؟ فقيل : * ( قال إنى جاعلك للناس إماما ) * ، وعلى الثاني هي جملة معطوفة على ما قبلها ، أو يكون بيانا وتفسيرا لقوله : * ( ابتلى ) * . سورة البقرة / ١٢٥ ويراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة . وقيل في " الكلمات " : هي خمس في الرأس : الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق ، وخمس في البدن : الختان والاستحداد ( ١ ) والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط ( ٢ ) . وقيل : هي ثلاثون خصلة من شرائع الإسلام : عشر في " البراءة " : * ( التئبون العبدون ) * ( ٣ ) وعشر في " الأحزاب " : * ( إن المسلمين والمسلمت ) * ( ٤ ) وعشر في " المؤمنون " ( ٥ ) و " سأل سائل " إلى قوله : " والذين هم على صلاتهم * ( هامش ) *

( ١ ) الاستحداد : الاحتلاق بالحديد . ( القاموس المحيط : مادة حدد ) .

( ٢ ) نسبه الماوردي في تفسيره : ج ١ ص ١٨٣ الى ابن عباس وقتادة ، وفي تفسير البغوي : ج ١ ص ١١١ : هو قول ابن طاووس عن ابن عباس .

( ٣ ) الآية : ١١٢ .

( ٤ ) الآية : ٣٥ .

( ٥ ) المؤمنون : ٩ . ( * )

/ صفحة ١٤٧ /



---

يحافظون " ( ١ ) ( ٢ ) . وقيل : هي مناسك الحج ( ٣ ) ، وقيل : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهي أسماء محمد وأهل بيته عليه وعليهم السلام ، عن الصادق ( عليه السلام ) ( ٤ ) . والإمام اسم من يؤتم به ، جعله سبحانه إماما يأتمون به في دينهم ويقوم بتدبيرهم وسياسة أمورهم ، وقوله : * ( ومن ذريتي ) * عطف على الكاف ، كأنه قال : وجاعل بعض ذريتي ؟ كما يقال لك : سأكرمك ، فتقول : وزيدا ؟ * ( قال لا ينال عهدي الظلمين ) * أي : من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة ، وإنما ينال من لا يفعل ظلما ، وهذا يدل على وجوب العصمة للإمام ، لأن من ليس بمعصوم فقد يكون ظالما إما لنفسه وإما لغيره . * ( وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبرا هيم مصلى وعهدنا إلى إبرا هيم وإسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعكفين والركع السجود ) * ( ١٢٥ ) * ( البيت ) * اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا * ( مثابة للناس ) * مرجعا يثاب إليه كل عام * ( وأمنا ) * موضع أمن كقوله : * ( حرما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم ) * ( ٥ ) ، ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج *

( واتخذوا ) * على إرادة القول ، أي : وقلنا لهم : اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه ، و * ( مقام إبرا هيم ) * الموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع إبراهيم ( عليه السلام ) عليه قدميه ، أمرنا

* ( هامش ) *

( ١ ) المعارج : ٣٤ .

( ٢ ) قاله ابن عباس على ما حكاه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ١١١ .

( ٣ ) وهو قول الربيع وقتادة . راجع تفسير البغوي : ج ١ ص ١١٢ .

( ٤ ) رواه الصدوق عنه ( عليه السلام ) في الخصال : ص ٣٠٥ ح ٨٤ .

( ٥ ) العنكبوت : ٦٧ . ( * )

/ صفحة ١٤٨ /



---

بالصلاة عنده بعد الطواف ، وقرئ : " واتخذوا " بلفظ الماضي ( ١ ) عطفا على * ( جعلنا ) * أي : واتخذ الناس * ( من مقام إبرا هيم ) * موضع صلاة . ومن قرأ : * ( واتخذوا ) * على الأمر وقف على قوله : * ( وأمنا ) * ، ومن قرأ : " واتخذوا " على الخبر لم يقف ، لأن قوله : " واتخذوا " عطف على * ( جعلنا ) * ( ٢ ) . * ( وعهدنا إلى إبرا هيم وإسمعيل ) * أمرناهما بـ * ( أن طهرا بيتى ) * أو أي طهرا بيتي ، فتكون * ( أن ) * المفسرة التي تكون عبارة عن القول ، أي طهراه من الأوثان والخبائث كلها ، وأضاف " البيت " إلى نفسه تفضيلا له على سائر البقاع * ( للطائفين ) * أي : للدائرين حوله * ( والعكفين ) * أي : المجاورين له والمقيمين بحضرته * ( والركع السجود ) * أي : المصلين عنده ، لأن الركوع والسجود من هيئات المصلي . * ( وإذ قال إبرا هيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرا ت من ءامن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ) * ( ١٢٦ ) سورة البقرة / ١٢٧ و ١٢٨ أي : * ( اجعل هذا ) * البلد وهو مكة * ( بلدا ءامنا ) * ذا أمن ، كقوله : * ( في عيشة راضية ) * ( ٣ ) أي : ذات رضى ، وبلد أهل أي : ذو أهل ، أو آمنا يؤمن فيه كقولهم : ليل نائم ، أي : ينام فيه * ( وارزق أهله ) * يعني : وارزق المؤمنين منهم خاصة ، لأن قوله :

* ( هامش ) *

( ١ ) قرأه نافع وابن عامر وشريح والذماري . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٦٩ ، والتبيان : ج ١ ص ٤٥٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي : ج ١ ص ٢٦٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٣٨٤ .

( ٢ ) راجع تفصيل ذلك في كتاب الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي : ج ٢ ص ١٧١ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣٢٢ .
( ٣ ) الحاقة : ٢١ . ( * )
/ صفحة ١٤٩ / *



---

( من ءامن منهم ) * بدل من * ( أهله ) * ، * ( ومن كفر ) * عطف على * ( من ءامن ) * كما أن قوله : * ( ومن ذريتي ) * عطف على الكاف في * ( جاعلك ) * . وإنما خص إبراهيم ( عليه السلام ) المؤمنين بالدعاء حتى قال سبحانه : * ( ومن كفر ) * ، لأن الله كان أعلمه أنه يكون في ذريته ظالمون بقوله : * ( لا ينال عهدي الظلمين ) * فعرفه سبحانه الفرق بين الرزق والإمامة ، لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن لا يقع منه الظلم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة . والمعنى : * ( قال ) * وأرزق من كفر * ( فأمتعه ) * ، ويجوز أن يكون * ( ومن كفر ) * مبتدأ متضمنا معنى الشرط و * ( فأمتعه ) * جوابا للشرط ، أي : ومن كفر فأنا أمتعه ، وقرئ : " فأمتعه " ( ١ ) ، * ( ثم أضطره ) * أي : أدفعه * ( إلى عذاب النار ) * دفع المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه . * ( وإذ يرفع إبرا هيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منآ إنك أنت السميع العليم ( ١٢٧ ) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ) * ( ١٢٨ ) * ( يرفع ) * حكاية حال ماضية ، و * ( القواعد ) * : جمع القاعدة وهي الأساس لما فوقه ، وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ، ورفع القواعد : البناء عليها لأنها إذا بني عليها ارتفعت ، ويجوز أن يكون المراد بها سافات ( ٢ ) البناء لأن كل ساف قاعدة
* ( هامش ) *
( ١ ) وهي قراءة ابن عباس وابن عامر والمطوعي وشبل وابن محيصن والذماري وشريح . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣٢٢ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٧٠ ، والتيسير في القراءات للداني : ص ٧٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٣٨٤ .
( ٢ ) جمع ساف : وهو كل عرق ( أي الصف من الحجر في الحائط ) من الحائط . ( القاموس المحيط : مادة سوف ) . ( * )
/ صفحة ١٥٠ /

لما يبنى عليه ويوضع فوقه ، وروي : أن إبراهيم ( عليه السلام ) كان يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ( ١ ) * ( ربنا ) * أي يقولان : ربنا ، وهذا الفعل في محل النصب على الحال * ( تقبل منآ ) * فيه دلالة على أنهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا ، لأنهما التمسا القبول الذي معناه الإثابة ، والثواب إنما يطلب على الطاعات * ( إنك أنت السميع ) * لدعائنا * ( العليم ) * بنياتنا ، وإنما لم يقل : قواعد البيت بل أبهمت * ( القواعد ) * ثم بينت بعد الإبهام لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم شأن المبين * ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ) * أي : مخلصين لك أوجهنا من قوله : * ( أسلم وجهه لله ) * ( ٢ ) أو مستسلمين لك خاضعين منقادين ، ومعناه : زدنا إخلاصا أو خضوعا وإذعانا لك * ( ومن ذريتنا ) * أي : واجعل من ذريتنا * ( أمة مسلمة لك ) * ، و * ( من ) * للتبعيض أو للتبيين كقوله : * ( وعد الله الذين ءامنوا منكم ) * ( ٣ ) ، وروي عن الصادق ( عليه السلام ) : أنه سورة البقرة / ١٢٩ - ١٣٠ أراد بالأمة بني هاشم خاصة ( ٤ ) ، * ( وأرنا مناسكنا ) * أي : وعرفنا وبصرنا متعبداتنا في الحج لنقضي عباداتنا على حد ماتوقفنا عليه ، وقد قرئ بسكون الراء ( ٥ ) من * ( أرنا ) * قياسا على ( ٦ ) فخذ في " فخذ " ، وهي قراءة مسترذلة ، إلا أن يقرأ بإشمام الكسرة ( ٧ ) * ( وتب علينا ) * قالا هذه الكلمة انقطاعا إلى الله ليقتدى بهما ، أو استتابا

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه الشيخ في التبيان : ج ١ ص ٤٦٢ عن ابن عباس .

( ٢ ) البقرة : ١١٢ .

( ٣ ) النور : ٥٥ .

( ٤ ) تفسير العياشي : ج ١ ص ٦١ ح ١٠١ ، وعنه البرهان : ج ١ ص ١٥٦ ح ١٢ .



( ٥ ) قرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن وأبو شعيب ومجاهد والسوسي وأبو حاتم وقتادة والسدي وعمر بن عبد العزيز ورويس وروح . راجع الحجة في علل القراءات للفارسي : ج ٢ ص ١٧٣ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٧٠ ، وإعراب القرآن للنحاس : ج ١ ص ٢١٣ ، والحجة في القراءات لأبي زرعة : ص ١١٤ ، والحجة لابن خالويه : ص ٧٨ .

( ٦ ) في بعض النسخ زيادة : تخفيف .

( ٧ ) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٣٧٤ . ( * )
/ صفحة ١٥١ /



---

لذريتهما * ( إنك أنت ) * القابل للتوبة * ( الرحيم ) * بعبادك . * ( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءايتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ) * ( ١٢٩ ) * ( وابعث ) * في الأمة المسلمة * ( رسولا منهم ) * من أنفسهم وهو نبينا محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، قال ( عليه السلام ) : " أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي " ( ١ ) . * ( يتلوا عليهم ءايتك ) * يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه * ( ويعلمهم الكتب ) * وهو القرآن * ( والحكمة ) * وهي الشريعة وبيان الأحكام * ( ويزكيهم ) * ويطهرهم من الشرك والأدناس * ( إنك أنت العزيز ) * القوي في كمال قدرتك * ( الحكيم ) * المحكم لبدائع صنعك . * ( ومن يرغب عن ملة إبرا هيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفينه في الدنيا وإنه في الاخرة لمن الصلحين ) * ( ١٣٠ ) * ( ومن يرغب عن ملة إبرا هيم ) * التي هي الحق والحقيقة ، وهو إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عنه ، و * ( من سفه ) * في محل الرفع على البدل من الضمير المستكن في * ( يرغب ) * ، ومعنى * ( سفه نفسه ) * امتهنها واستخف بها ، وأصل السفه : الخفة ، وقيل : إن * ( نفسه ) * منصوبة على التمييز ( ٢ ) نحو غبن رأيه ، وقيل : معناه سفه في نفسه ، فحذف الجار ( ٣ ) كقولهم : زيد ظني مقيم ، أي : في ظني ، والأول أوجه * ( ولقد اصطفينه ) * بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته ، أي : اجتبيناه

* ( هامش ) *

( ١ ) منسد أحمد بن حنبل : ج ٤ ص ١٢٧ وج ٥ ص ٢٦٢ .

( ٢ ) قاله الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٧٩ ، وعنه الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٣٧٦ .

( ٣ ) قاله الأخفش في معاني القرآن : ج ١ ص ٣٣٨ ، واختاره الزجاج في معاني القرآن : ج ١ ص ٢١١ . ( * )
/ صفحة ١٥٢ /



---

بالرسالة * ( وإنه في الاخرة لمن الصلحين ) * الفائزين ، ومن جمع الكرامة عند الله في الدارين لم يكن أحد أولى بأن يرغب في طريقته منه . * ( إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العلمين ( ١٣١ ) ووصى بها إبرا هيم بنيه ويعقوب يبنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) * ( ١٣٢ ) سورة البقرة / ١٣٣ * ( إذ قال ) * ظرف لـ * ( اصطفينه ) * أي : اخترناه في ذلك الوقت ، ومعنى * ( قال له ربه أسلم ) * : أخطر بباله النظر في الدلائل المفضية به إلى التوحيد والإسلام * ( قال أسلمت ) * أي : فنظر وعرف ، وقيل : إن معنى * ( أسلم ) * أذعن وأطع ( ١ ) . وقرئ : " وأوصى " بالألف ( ٢ ) والضمير في * ( بها ) * لقوله : * ( أسلمت لرب العلمين ) * على تأويل الكلمة والجملة ، ومثله الضمير في قوله : * ( وجعلها كلمة باقية ) * ( ٣ ) فإنه يرجع إلى قوله : * ( إننى برآء مما تعبدون إلا الذى فطرني ) * ( ٤ ) * ( ويعقوب ) * عطف على * ( إبرا هيم ) * داخل في حكمه ، يعني : * ( ووصى بها ) * يعقوب بنيه أيضا * ( اصطفى لكم الدين ) * معناه : أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ، ووفقكم للأخذ به * ( فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) * أي : فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، فالنهي على الحقيقة

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله عطاء والكلبي . راجع تفسير البغوي : ج ١ ص ١١٨ ، واختاره ابن كثير في تفسيره : ج ١ ص ١٧٦ .

( ٢ ) وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر والذماري وشريح . راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٧١ ، وتفسير السمرقندي : ج ١ ص ١٥٩ ، والتيسير في القراءات للداني : ص ٧٧ ، والحجة لأبي زرعة : ص ١١٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ١ ص ٣٩٨ ، وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام كما في الكشاف : ج ١ ص ١٩١ .

( ٣ ) الزخرف : ٢٨ .

( ٤ ) الزخرف : ٢٦ و ٢٧ . ( * )

/ صفحة ١٥٣ /



---

عن كونهم مخالفي الإسلام إذا ماتوا ، والنكتة في إدخال حرف النهي على الموت أن فيه إظهارا لكون الموت على خلاف الإسلام موتا لا خير فيه . * ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله أآبائك إبرا هيم وإسمعيل وإسحق إلها وا حدا ونحن له مسلمون ) * ( ١٣٣ ) * ( أم ) * هي المنقطعة ، أي : بل أ * ( كنتم شهداء ) * ،

ومعنى الهمزة فيها الإنكار ، أي : ما كنتم حاضرين يعقوب ، والشهيد : الحاضر * ( إذ حضر يعقوب الموت ) * أي : حين احتضر ، والخطاب للمؤمنين ، يعني : ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ، وقيل : الخطاب لليهود ( ١ ) لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية ، فتكون * ( أم ) * على هذا متصلة على أن يقدر قبلها محذوف ، كأنه قيل : أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ( ٢ ) ، يعني : أن أوائلكم كانوا شاهدين له إذ أراد بنيه على ملة الإسلام وقد علمتم ذلك ، فما لكم تدعون على الأنبياء ماهم منه براء ؟ * ( ما تعبدون من بعدى ) * أي : أي شئ تعبدون من بعدي ؟ أي : من بعد وفاتي ، فحذف المضاف ، و * ( إبرا هيم وإسمعيل وإسحق ) * عطف بيان لـ * ( آبائك ) * ، وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما * ( إلها وا حدا ) * بدل من * ( إله آبائك ) * ، * ( ونحن له مسلمون ) * حال من فاعل * ( نعبد ) * أو من مفعوله لرجوع الضمير إليه في * ( له ) * ، ويجوز أن

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الربيع كما في التبيان : ج ١ ص ٤٧٥ .

( ٢ ) اختاره الزمخشري في كشافه : ج ١ ص ١٩٣ ، وذكره الهمداني في الفريد في إعراب القرآن : ج ١ ص ٣٧٨ . ( * )

/ صفحة ١٥٤ /



---

يكون جملة معطوفة على * ( نعبد ) * أو جملة اعتراضية ، أي : ومن حالنا أنا له مسلمون ( ١ ) . * ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا يعملون ) * ( ١٣٤ ) * ( تلك ) * إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون ، والمعنى أن أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا ، وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم * ( ولا تسلون عما كانوا يعملون ) * لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم . * ( وقالوا كونوا هودا أو نصرى تهتدوا قل بل ملة إبرا هيم حنيفا وما كان من المشركين ) * ( ١٣٥ ) سورة البقرة / ١٣٦ – ١٣٨ الضمير في * ( قالوا ) * يرجع إلى اليهود والنصارى ، أي : قالت اليهود : * ( كونوا هودا ) * وقالت النصارى : كونوا * ( نصرى تهتدوا ) * تصيبوا طريق الهدى والحق * ( قل بل ملة إبرا هيم ) * بل نكون أهل ملة إبراهيم كقول عدي بن حاتم ( ٢ ) : إني من دين ، أي : من أهل دين ( ٣ ) ، وقيل : بل نتبع ملة إبراهيم ( ٤ ) و * ( حنيفا ) * حال من

* ( هامش ) *

( ١ ) انظر تفصيل ذلك في الكشاف : ج ١ ص ١٩٤ ، والفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ١ ص ٣٨٠ .

( ٢ ) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، أبو وهب وأبو طريف ، أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء ، كان رئيس طي في الجاهلية والاسلام ، كان إسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، وقد فقئت عينه يوم صفين . روى عنه المحدثون ٦٦ حديثا ، عاش أكثر من مائة سنة ، توفي بالكوفة سنة ٦٨ هـ .

هذا الكتاب الإلكتروني من منشورات شبكة الكوثر الإسلامية في الإنترنت
www.al-kawthar.com/maktaba



---

هذا الكتاب الإلكتروني من منشورات شبكة الكوثر الإسلامية في الإنترنت
www.al-kawthar.com/maktaba

بسمه تعالى

/ صفحة ١ /

تفسير جوامع الجامع للمفسر الكبير والمحقق النحرير الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره من اعلام القرن السادس الهجري الجزء الثاني تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

/ صفحة ٢ /

شابك ٥ - ١٥٨ - ٤٧٠ - ٩٦٤ ٥ - ١٥٨ - ٤٧٠ - ISBN 964 جوامع الجامع ج ٢ تأليف : المفسر الكبير الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الاسلامي الموضوع : التفسير عدد الاجزاء : ٣ أجزاء الطبعة : الاولى المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة التاريخ : ١٤٢٠ هـ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

/ صفحة ٣ /

سورة الأنفال مدنية ( ١ ) ، وهي ست وسبعون آية بصري ، خمس كوفي ، * ( ثم يغلبون ) * ( ٢ ) و * ( مفعولا ) * ( ٣ ) الأول بصري ، * ( بنصره وبالمؤمنين ) * ( ٤ ) كوفي . في خبر أبي : " ومن قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له وشاهد له يوم القيامة أنه برئ من النفاق ، وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا " ( ٥ ) . قال الصادق

( عليه السلام ) : " من قرأهما في كل شهر لم يدخله نفاق أبدا ، وكان من شيعة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) حقا ، ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب " ( ٦ ) .

* ( هامش ) *



---

( ١ ) قال الشيخ في التبيان : ج ٥ ص ٧١ : هذه السورة مدنية في قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان وقال : هي أول ما نزل على النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالمدينة ، وحكي عن ابن عباس : أنها مدنية إلا سبع آيات : أولها * ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ) * الى آخر سبع آيات بعدها ، وهي خمس وسبعون آية في الكوفي ، وسبع وسبعون آية في الشامي ، وست وسبعون في المدنيين والبصري . وفي الكشاف : ج ٢ ص ١٩٣ : انها نزلت بعد البقرة .

( ٢ ) الآية : ٣٦ .

( ٣ ) الآية : ٤٢ .

( ٤ ) الآية : ٦٢ .

( ٥ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٤٠ مرسلا .

( ٦ ) ثواب الأعمال : ص ١٣٢ الى قوله : " أمير المؤمنين ( عليه السلام ) " ، تفسير العياشي : ج ٢ ص ٤٦ ح ١ . ( * )

/ صفحة ٤ /



---

بسم الله الرحمن الرحيم * ( يسلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ( ١ ) ) * قرأ ابن مسعود وعلي بن الحسين زين العابدين والباقر والصادق ( عليهم السلام ) : " يسئلونك الانفال " ( ١ ) ، وهذه القراءة مؤدية للسبب في القراءة الأخرى التي هي * ( عن الانفال ) * وذلك أنهم إنما سألوه عنها استعلاما لحالها ، هل يسوغ طلبها ؟ وفي القراءة ( ٢ ) بالنصب تصريح بطلبها ، وبيان عن الغرض في السؤال عنها . والنفل : الزيادة على الشئ ، قال لبيد : إن تقوى ربنا خير نفل ( ٣ ) قال الصادق ( عليه السلام ) : الانفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال ، وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضا –

وسماها الفقهاء فيئا – والارضون الموات والاجام وبطون الأودية وقطائع الملوك وميراث من لا وارث له ، وهي لله والرسول ولمن قام مقامه بعده ( ٤ ) * ( فاتقوا الله ) * باتقاء مخالفة مايأمركم هو ورسوله به * ( وأصلحوا ذات بينكم ) * حقيقة أحوال بينكم ، والمعنى : أصلحوا ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة واتفاق ومودة ، ونحوه : " ذات الصدور " وهي مضمراتها .

* ( هامش ) *

( ١ ) ذكرها الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٧٢ ، وابن خالويه في الشواذ : ص ٥٤ .

( ٢ ) في نسخة بزيادة : الاخرى .

( ٣ ) وعجزه : وبإذن الله ريثي وعجل . والمعنى : ان تقوى الله خير عطية ، وأن بطئي وسرعتي في الامور كلها فبإذن الله . انظر ديوان لبيد : ص ١٣٩ .

( ٤ ) التبيان : ج ٥ ص ٧٢ . ( * )

/ صفحة ٥ /



---

* ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءايته زادتهم إيمنا وعلى ربهم يتوكلون ( ٢ ) الذين يقيمون الصلوة ومما رزقنهم ينفقون ( ٣ ) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجت عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ( ٤ ) ) * أي : * ( إنما ) * الكاملون في الايمان * ( الذين ) * من صفتهم أنهم * ( إذا ذكر الله ) * عندهم واقتداره وأليم عقابه على المعاصي * ( وجلت قلوبهم ) * أي : خافت * ( وإذا تليت عليهم ءايته زادتهم إيمنا ) * أي : ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس وتصديقا إلى تصديقهم بما أنزل قبل ذلك من القرآن * ( وعلى ربهم يتوكلون ) * وإليه يفوضون أمورهم فيما يخافون ويرجون ، وخص الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد الامر فيهما . * ( أولئك ) * المستجمعون لهذه الخصال * ( هم ) * الذين استحقوا إطلاق اسم الايمان على الحقيقة ، و * ( حقا ) * صفة لمصدر محذوف ، أي : إيمانا حقا ، أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي * ( أولئك هم المؤمنون ) * كما تقول : هو عبد الله حقا ، أي : حق ذلك حقا * ( درجت ) * شرف وكرامة وعلو رتبة * ( ومغفرة ) * وتجاوز لسيئاتهم * ( ورزق كريم ) * نعيم الجنة ، أي : منافع دائمة ، على سبيل التعظيم ، وهذا معنى الثواب . * ( كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكرهون ( ٥ ) يجدلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ( ٦ ) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلمته ويقطع دابر الكفرين ( ٧ ) ليحق الحق ويبطل البطل ولو كره المجرمون (

(٤/٢)

---

الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذه الحال كحال إخراجك ، والمعنى : أن حالهم في كراهة ماحكم الله في الانفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب . ويجوز أن يكون في محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر في قولك : " الانفال لله والرسول " ، أي : الانفال استقرت لله والرسول ، وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك مع كراهتهم ، فعلى هذا لا يكون الوقف من قوله : * ( قل الانفال ) * إلى قوله : * ( بالحق ) * ، وعلى الاول جاز الوقف على قوله : * ( والرسول ) * وقوله : * ( مؤمنين ) * ، و * ( من بيتك ) * يريد بيته بالمدينة ، أو المدينة نفسها ، لأنها مهاجره ومسكنه * ( بالحق ) * أي : إخراجا متلبسا بالحكمة والصواب الذي لامحيد عنه ، وهو الجهاد * ( وإن فريقا من المؤمنين لكرهون ) * في موضع الحال ، أي : أخرجك في حال كراهتهم . * ( يجدلونك في الحق ) * فيما دعوتهم إليه ، وهو تلقي النفير ، وهو جيش قريش لإيثارهم عليه تلقي العير * ( بعد ما تبين ) * بعد إعلام رسول الله بأنهم ينصرون ، وجدالهم أنهم قالوا : ما خرجنا إلا للعير ، وذلك : أن عير قريش أقبلت من الشام معها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ، فأخبر جبرئيل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فأخبر المسلمين ، فأعجبهم تلقي العير ، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم ، فنادى أبو جهل فوق الكعبة : يا أهل مكة النجا النجا ( ١ ) على كل صعب وذلول ، عيركم ، أموالكم ، إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا ، وخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير ، وفي المثل السائر : " لافي العير ولا في النفير " ( ٢ ) ، فقيل له :

* ( هامش ) *

( ١ ) أي : أسرع أسرع ، وأصلها النجائك النجائك ، فيقصران . ( القاموس المحيط : نجا ) .

(٥/٢)

---

( ٢ ) قال المفضل : أول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب بعدما أقبل بعير قريش وعلم بتحين المسلمين انصرافه الى مكة فيقطعوا عليه ، فخاف خوفا شديدا وضرب وجوه عيره فساحل بها وترك بدرا يسارا ، وقد كان بعث إلى قريش يخبرهم بما يخافه ويأمرهم بالرجوع ، = ( * )

/ صفحة ٧ /

إن العير أخذت طريق الساحل ونجت ، فارجع بالناس إلى مكة ، فقال : لا والله حتى ننحر الجزر ونشرب الخمر ببدر ، فتتسامع العرب بأن محمدا – ( صلى الله عليه وآله ) – لم يصب العير ، وأنا أغضضناه ، فمضى بهم إلى بدر . وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ، ونزل جبرئيل فقال : يا محمد – ( صلى الله عليه وآله ) – إن الله وعدكم * ( إحدى الطائفتين ) * : إما العير وإما قريشا ، فاستشار النبي ( صلى الله عليه وآله ) أصحابه وقال : ما تقولون ؟ إن القوم قد خرجوا من مكة فالعير أحب إليكم أم النفير ؟ قالوا : بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فتغير وجه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وقال : إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقالوا : يارسول الله عليك بالعير ودع العدو ، فقام رجال من أصحابه وقالوا ، ثم قام المقداد بن عمرو وقال : والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضى ( ١ ) وشوك الهراس ( ٢ ) لخضنا ( ٣ ) معك ، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : * ( فاذهب أنت وربك فقتلا إنا ههنا قعدون ) * ( ٤ ) ولكنا نقول : امض لما أمرك ربك فإنا معك مقاتلون مادامت منا عين تطرف ، وقام سعد بن معاذ وقال : يارسول الله ( صلى الله عليه وآله ) امض لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ففرح رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بقوله ، وقال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله وعدني * ( إحدى الطائفتين ) * والله لكأني أنظر إلى مصارع

*(٦/٢)*

---

القوم ( ٥ ) .

* ( هامش ) * = فأقبلت قريش ، ورجعت بنو زهرة فصادفهم أبو سفيان فقال : يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير . راجع مجمع الأمثال للميداني : ج ٢ ص ١٧٢ .

( ١ ) الغضى : شجر ذو شوك . ( مجمع البحرين : مادة غضا ) .

( ٢ ) الهراس : شجر شائك ثمره كالنبق . ( القاموس المحيط : هرس ) .

( ٣ ) في بعض النسخ : لخضناه .

( ٤ ) المائدة : ٢٤ .

( ٥ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ١٩٧ – ١٩٨ . ( * )

/ صفحة ٨ /

وقوله : * ( كأنما يساقون إلى الموت ) * تشبيه حالهم بحال من يعتل إلى القتل وهو ناظر إلى أسباب الموت لا يشك فيه . * ( وإذ ) * منصوب بإضمار " اذكروا " ، * ( أنها لكم ) * بدل من * ( إحدى الطائفتين ) * ، و * ( غير ذات الشوكة ) * : العير ، لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ، والشوكة : الحدة ، مستعارة من حدة الشوك ، أي : تتمنون أن يكون العير لكم ، ولاتريدون الطائفة الأخرى التي هي ذات الشوكة ( ١ ) والحدة * ( ويريد الله أن يحق الحق ) * أي : يثبته ، بأن يعز الإسلام ويعلي كلمته ويهلك وجوه قريش على أيديكم * ( بكلمته ) * بآياته المنزلة في محاربتهم * ( ويقطع دابر الكفرين ) * باستئصالهم وقتلهم وأسرهم وطرحهم في قليب بدر ، والدابر : الآخر ، من دبر : إذا أدبر ، والمعنى : أنكم تريدون الفائدة العاجلة والله يريد ما يرجع إلى علو أمور الدين ونصرة الحق ، ولذلك اختارلكم الطائفة الأخرى ذات الشوكة ، وغلب كثرتهم بقلتكم ، وأذلهم وأعزكم ، وقوله : * ( ليحق الحق ) * تعلق بمحذوف ، تقديره : ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك . * ( إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملئكة مردفين ( ٩ ) وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ( ١٠ ) إذيغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطن وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ( ١١ ) إذ يوحى ربك إلى الملئكة أني معكم فثبتوا الذين ءامنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ( ١٢ ) ذلك بأنهم شاقوا الله

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : الشدة . ( * )

/ صفحة ٩ /



ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ( ١٣ ) ذا لكم فذوقوه وأن للكفرين عذاب النار ( ١٤ ) ) * * ( إذ تستغيثون ربكم ) * بدل من * ( إذ يعدكم الله ) * ، وقيل : إنه يتعلق بقوله : * ( ليحق الحق ويبطل ا لبطل ) * ( ١ ) ، واستغاثتهم : أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لما نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، استقبل القبلة ومد يديه يدعو : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة ( ٢ ) لاتعبد في الأرض ، فما زال كذلك

حتى سقط رداؤه من منكبه ( ٣ ) ( ٤ ) ، * ( فاستجاب لكم ) * فأغاثكم وأجاب دعوتكم * ( أني ممدكم ) * أصله : بأني ممدكم ، فحذف الجار ، وقرئ : * ( مردفين ) * بكسر الدال وفتحها ( ٥ ) ، من قولك : ردفه : إذا تبعه ، وأردفته إياه : إذا أتبعته ، ويقال : أردفته وأتبعته : إذا جئت بعده ، فعلى الأول يكون معنى * ( مردفين ) * بكسر الدال : متبعين بعضهم بعضا ، أو متبعين أنفسهم المؤمنين ، وعلى الثاني يكون معناه : متبعين بعضهم لبعض ، أو متبعين للمؤمنين يحفظونهم ، ومن قرأ بفتح الدال فمعناه : متبعين أو متبعين . * ( وما جعله الله ) * أي : وما جعل الله إمدادكم بالملائكة * ( إلا بشرى ) * أي : بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل ، والمعنى : أنكم استغثتم ربكم وتضرعتم ، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر ، وتسكينا منكم ، وربطا على قلوبكم * ( وما النصر إلا من عند الله ) * أي : وما النصر بالملائكة وغيرهم من

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ١٨٨ .

( ٢ ) العصابة : الجماعة من الناس والخيل والطير . ( الصحاح : مادة عصب ) .

( ٣ ) المنكب : مجمع عظم العضد والكتف . ( الصحاح : مادة نكب ) .

( ٤ ) رواه مسلم في صحيحه : ج ٣ ب ١٨ ص ١٣٨٤ ح ٥٨ ، وأحمد في مسنده : ج ١ ص ٣٠ و ٣٢ . ( ٥ ) وبالفتح هي قراءة نافع ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٨٢ . ( * )



---



الأسباب إلا من عند الله ، ينصر من يشاء ، قل العدد أم كثر . * ( إذ يغشيكم النعاس ) * بدل ثان من * ( إذ يعدكم الله ) * ، أو ( ١ ) منصوب بـ * ( - النصر ) * أو بـ * ( - ما جعله الله ) * ، وقرئ : * ( يغشيكم ) * بالتخفيف ( ٢ ) والتشديد ونصب * ( النعاس ) * ، والضمير لله عزوجل ، و * ( أمنة ) * مفعول له ، و * ( منه ) * صفة لـ * ( أمنة ) * ، أي : أمنة حاصلة لكم من الله ، والمعنى : إذ تنعسون لامنكم الحاصل من الله بإزالة الرعب من قلوبكم * ( وينزل عليكم ) * قرئ بالتشديد والتخفيف ( ٣ ) * ( من السماء ماء ) * أي : مطرا ، و * ( رجز الشيطن ) * : وسوسته إليهم ، وذلك أن المشركين قد سبقوهم إلى الماء ، ونزل المسلمون في كثيب أعفر ( ٤ ) تسوخ فيه الأقدام ، وناموا ، فاحتلم أكثرهم ، فتمثل لهم إبليس وقال : يا أصحاب محمد أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة وقد عطشتم ، ولو كنتم على حق ماغلبكم هؤلاء على الماء ، وهاهم الآن يمشون إليكم ويقتلونكم ويسوقون بقيتكم إلى مكة ، فحزنوا لذلك ، فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي ، واغتسلوا وتوضأوا ، واتخذوا الحياض على عدوة (

٥ ) الوادي ، وتلبد ( ٦ ) الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبت الأقدام عليه ، وزالت وسوسة الشيطان ، والضمير في * ( به ) * للماء أو للربط ، لأن الجرأة تثبت القدم في مواطن الحرب .

* ( هامش ) *

( ١ ) في نسخة : إما .

( ٢ ) وهي قراءة نافع . راجع الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي : ج ١ ص ٤٨٩ ، وفي التبيان : ج ٥ ص ٨٥ : هي قراءة أهل المدينة .

( ٣ ) وقراءة التخفيف هي قراءة ابن كثير وسهل ويعقوب وأبي عمرو . راجع تفسير الآلوسي : ج ٩ ص ١٧٦ .

( ٤ ) الأعفر : الأبيض ( الصحاح : مادة عفر ) .

( ٥ ) العدوة والعدوة : جانب الوادي وحافته . ( الصحاح : مادة عدا ) .



---

( ٦ ) تلبد : تداخل ولزق بعضه ببعض . ( القاموس المحيط : مادة لبد ) . ( * )

/ صفحة ١١ /

* ( إذ يوحى ) * يجوز أن يكون بدلا ثالثا من * ( إذ يعدكم ) * ، وأن ينتصب بـ * ( يثبت ) * ، * ( أني معكم ) * أعينكم على التثبيت فثبتوهم . وقوله : * ( سألقى ) * إلى قوله : * ( فاضربوا ) * يجوز أن يكون تفسيرا لقوله : * ( أني معكم فثبتوا ) * ، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفار ، ولاتثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم ، ويجوز أن يكون غير تفسير ، وأن يراد بالتثبيت أن يظهروا ما تيقن به المؤمنون أنهم أمدوا بهم * ( فاضربوا فوق الاعناق ) * التي هي المذابح ، وقيل : أراد الرؤوس ( ١ ) ، والـ * ( بنان ) * : الأصابع ، يريد به الأطراف ، والمعنى : * ( فاضربوا ) * المقاتل والأطراف من اليدين والرجلين ، ويجوز أن يكون من قوله : * ( سألقى ) * إلى قوله : * ( كل بنان ) * عقيب قوله : * ( فثبتوا الذين ءامنوا ) * تلقينا للملائكة مايثبتونهم به ، أي : قولوا لهم قولي : * ( سألقى ) * . * ( ذلك ) * إشارة إلى ما وقع بهم من القتل والعقاب العاجل ، أي : ذلك العقاب وقع بهم بسبب مشاقتهم ، والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه ، والكاف في * ( ذلك ) * لخطاب الرسول ( صلى الله عليه وآله ) أو لخطاب كل أحد . وفي * ( ذا لكم ) * للكفرة على طريقة الالتفات ، و * ( ذلك ) * مبتدأ و * ( بأنهم ) * خبره ، و * ( ذا لكم ) * في محل الرفع أيضا ، أي : ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم * ( فذوقوه ) * ، ويجوز أن يكون في محل النصب على تقدير : عليكم ذلكم * ( فذوقوه ) * ، كقولك : زيدا فاضربه * ( وأن للكفرين ) * عطف على * ( ذا لكم ) * في الوجهين

أو نصب على أن الواو بمعنى " مع " ، أي : ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة ، فوضع الظاهر موضع الضمير .

* ( هامش ) *

( ١ ) قاله عكرمة . راجع تفسير البغوي : ج ٢ ص ٢٣٠ . ( * )



---

/ صفحة ١٢ /

* ( يأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ( ١٥ ) ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد بآء بغضب من الله ومأوبه جهنم وبئس المصير ( ١٦ ) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ( ١٧ ) ) * الزحف : الجيش الذي يرى لكثرته ، كأنه يزحف أي : يدب دبيبا ، من زحف الصبي : إذا دب على استه ، سمي بالمصدر ، والجمع زحوف ، والمعنى : إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلاتفروا ، فضلا عن أن تساووهم في العدد أو تدانوهم ، فيكون * ( زحفا ) * حالا من * ( الذين كفروا ) * ، ويجوز أن يكون حالا من الفريقين ، أي : إذا لقيتموهم متزاحفين أنتم وهم ، أو حالا من " المؤمنين " ، كأنهم أخبروا بما سيكون منهم يوم حنين ( ١ ) حين ولوا مدبرين وهم زحف : اثنا عشر ألفا ، وفي قوله : * ( ومن يولهم يومئذ دبره ) * أمارة عليه * ( إلا متحرفا لقتال ) * هو الكر بعد الفر ، يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه ، وهو نوع من مكائد الحرب * ( أو متحيزا ) * أي : أو منحازا * ( إلى فئة ) * إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها ، وانتصابهما على الحال و * ( إلا ) * لغو ، أو على الاستثناء من " المولين " ، أي : ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ، ووزن متحيز متفيعل لامتفعل ، لأنه من حاز يحوز ، فبناء متفعل منه متحوز . * ( فلم تقتلوهم ) * الفاء جواب شرط محذوف ، تقديره : إن افتخرتم بقتلهم فأنتم

* ( هامش ) *

( ١ ) حنين : موضع بين الطائف ومكة ، حارب فيه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) والمسلمون هوازن وثقيف فهزمهم وغنم ما كانوا ساقوه معهم من النساء والصبيان والماشية . انظر تفصيل يوم حنين في تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٦٢ . ( * )

/ صفحة ١٣ /

لم تقتلوهم * ( ولكن الله قتلهم ) * بأن أنزل الملائكة ، وألقى الرعب في قلوبهم ، وقوى قلوبكم * ( وما رميت ) * أنت يا محمد ( صلى الله عليه وآله ) * ( إذ رميت ) * ( ١ ) ، وذلك أن قريشا لما جاءت بخيلائها ( ٢ ) أتاه جبرئيل فقال : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فقال لعلي ( عليه السلام ) : أعطني قبضة من حصباء الوادي ، فأعطاه ، فرمى بها في وجوههم ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه ، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم * ( ولكن الله رمى ) * حيث أثرت الرمية ذلك الأثر العظيم ، أثبت الرمي لرسول الله لأنه وجد منه صورة ، ونفاه عنه معنى لأن أثره الذي لايدخل في قدرة البشر فعل الله عز وعلا ، فكأنه فاعل الرمية على الحقيقة ، وكأنها لم توجد من الرسول أصلا . وقرئ : " ولكن الله قتلهم . . . ولكن الله رمى " ( ٣ ) ، * ( وليبلى المؤمنين ) * وليعطيهم * ( بلاء ) * عطاء * ( حسنا ) * جميلا ، قال زهير : وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو ( ٤ ) والمعنى : وللإحسان إلى المؤمنين والإنعام عليهم فعل ما فعل ، ولم يفعله إلا لذلك * ( إن الله سميع ) * لاقوالهم * ( عليم ) * بأحوالهم . * ( ذا لكم وأن الله موهن كيد الكفرين ( ١٨ ) إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين ( ١٩ ) يأيها الذين ءامنوا أطيعوا * ( هامش ) *

( ١ ) قال الزجاج : ليس هذا نفي رمي النبي ( صلى الله عليه وآله ) ولكن العرب خوطبت بما تعقل . انظر معاني القرآن : ج ٢ ص ٤٠٦ .

( ٢ ) الخال والخيلاء والخيلاء : الكبر . ( الصحاح : مادة خيل ) .

( ٣ ) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف . راجع التبيان : ج ٥ ص ٩٣ .

( ٤ ) وصدره : جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم . وهو من قصيدة يمدح بها سنان بن أبي حارثة المري شيخ بني مرة من غطفان ، ومعناه واضح . انظر ديوان زهير : ص ٦١ . ( * )





الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ( ٢٠ ) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ( ٢١ ) ) * * ( ذا لكم ) * إشارة إلى البلاء الحسن ، ومحله الرفع ، أي : الغرض ذلكم * ( وأن الله موهن ) * عطف على * ( ذا لكم ) * يعني : أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين ، وقرئ : " موهن " بالتشديد ( ١ ) ، وقرئ على الإضافة ( ٢ ) ، وعلى الأصل الذي هو التنوين

والإعمال ( ٣ ) . * ( إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ) * خطاب لأهل مكة على طريق التهكم ، وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين ، وروي : أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه ( ٤ ) اليوم ( ٥ ) ، أي : فأهلكه ، وقيل : * ( إن تستفتحوا ) * خطاب للمؤمنين و * ( إن تنتهوا ) * للكافرين ( ٦ ) ، أي : وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله * ( فهو خير لكم وإن تعودوا ) * لمحاربته * ( نعد ) * لنصرته عليكم . وقرئ : * ( وأن الله ) * بالفتح على : ولان الله مع المؤمنين كان ذلك ، وبالكسر ( ٧ )

* ( هامش ) *

( ١ ) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . راجع التبيان : ج ٥ ص ٩٤ ، وفي تفسير البغوي ج ٢ ص ٢٣٨ : انها قراءة أهل البصرة .

( ٢ ) وهي قراءة حفص عن عاصم . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٣٣ ، وفي إعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ١٨٢ ، هي قراءة أهل الكوفة .

( ٣ ) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم والحسن وأبو رجاء والأعمش وابن محيصن . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٠٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٤ ص ٤٧٨ .

( ٤ ) في بعض النسخ : فأهنه .

( ٥ ) رواه ابن كثير في تفسيره : ج ٢ ص ٢٨٤ عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة .

( ٦ ) قاله أبو علي الجبائي كما في التبيان : ج ٥ ص ٩٦ .



---

( ٧ ) قرأه ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر وأبو عمرو وحمزة والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٠٥ . ( * )

/ صفحة ١٥ / وهو الأوجه ، ويقويه قراءة عبد الله : " والله مع المؤمنين " ( ١ ) . وقرئ : * ( ولا تولوا ) * بحذف التاء وإدغامها في الثاني ( ٢ ) ، والضمير في * ( عنه ) * لرسول الله ، لأن المعنى : أطيعوا رسول الله ، كقوله : * ( والله ورسوله أحق أن يرضوه ) * ( ٣ ) ، ولأن طاعة الله وطاعة الرسول شئ واحد ورجوع الضمير إلى أحدهما رجوع إليهما ، كما تقول : الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان * ( وأنتم تسمعون ) * دعاءه لكم . * ( ولا تكونوا كالذين ) * ادعوا السماع * ( وهم لا يسمعون ) * لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين . * ( إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ( ٢٢ ) ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (

٢٣ ) يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ( ٢٤ ) واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ( ٢٥ ) ) * * ( إن شر ) * من يدب على وجه الأرض ، أو : إن شر البهائم ، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها * ( الصم البكم ) * أي : الذين هم صم عن الحق لايسمعونه ، بكم لا يقرون به . * ( ولو علم الله ) * في هؤلاء الصم البكم * ( خيرا ) * أي : انتفاعا باللطف * ( لاسمعهم ) * للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين * ( ولو أسمعهم لتولوا ) * أعرضوا ، وفي هذا دلالة على أنه سبحانه لايمنع أحدا اللطف ، وإنما لا يلطف لمن يعلم أنه لا ينتفع به .

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٩٥ .



---

( ٢ ) في الكشاف : " قرئ بطرح إحدى التائين وادغامها " وهو الأوجه ، إذ لم نعثر على قراءة باثبات التاء من غير ادغام أصلا في المصادر المعتمدة لكي يقال : " وقرئ بحذف التاء وادعامها " .

( ٣ ) التوبة : ٦٢ . ( * )

/ صفحة ١٦ / وقال الباقر ( عليه السلام ) : " هم بنو عبد الدار لم يسلم منهم غير مصعب بن عمير وسويد بن حرملة ، كانوا يقولون : نحن صم بكم عما جاء به محمد ، وقد قتلوا جميعا بأحد ، كانوا أصحاب اللواء " ( ١ ) . * ( إذا دعاكم ) * وحد الضمير ، لأن استجابة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) استجابة الله ، والمراد بالاستجابة : الطاعة والامتثال * ( لما يحييكم ) * من علوم الدين والشرائع ، لأن العلم حياة والجهل موت ، وقيل : لمجاهدة الكفار وللشهادة ( ٢ ) لقوله : * ( بل أحياء عند ربهم ) * ( ٣ ) . * ( واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ) * أي : يملك على المرء قلبه فيغير نياته ويفسخ عزائمه ، ويبدله بالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وبالخوف أمنا وبالأمن خوفا ، وقيل : معناه : أن المرء لايستطيع أن يكتم الله بقلبه شيئا وهو يطلع على ضمائره وخواطره ، فكأنه حال بينه وبين قلبه ( ٤ ) ، وقيل : معناه : أنه يميت المرء فتفوته الفرصة التي هو واجدها ، وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه ورده سليما كما يريده الله ( ٥ ) ، فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم ، واعلموا أنكم * ( إليه تحشرون ) * فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة . وعن الصادق ( عليه السلام ) : " يحول بين المرء وبين أن يعلم أن الباطل حق " ( ٦ ) . * ( واتقوا فتنة ) * أي : بلية ( ٧ ) ، وقيل : ذنبا ( ٨ ) ، وقيل : عذابا ( ٩ ) ، وقيل : هو إقرار

* ( هامش ) *

( ١ ) رواه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٩٩ .

( ٢ ) وهو قول الفراء وابن إسحاق والجبائي والقتيبي . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٠١ .

( ٣ ) آل عمران : ١٦٩ .



---

( ٤ ) قاله قتادة كما حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٠٨ .

( ٥ ) وهو قول علي بن عيسى الرماني على ما حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٠٨ .

( ٦ ) رواه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ١٠١ .

( ٧ ) وهو قول الحسن . راجع تفسيره : ج ١ ص ٤٠١ .

( ٨ ) وهو قول الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢١١ .

( ٩ ) قاله ابن عباس والجبائي راجع التبيان : ج ٥ ص ١٠٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي : ج ٢ = ( * )

/ صفحة ١٧ /

المنكر بين أظهرهم ( ١ ) . وقوله : * ( لا تصيبن ) * لا يخلو أن يكون جوابا للأمر ، أو نهيا بعد أمر معطوفا عليه بحذف الواو ، أو صفة لـ * ( فتنة ) * ، فإذا كان جوابا فالمعنى : إن أصابتكم لا تصيب الظالمين * ( منكم خاصة ) * ولكنها تعمكم ، وإنما جاز دخول النون في جواب الأمر لأن فيه معنى النهي ، كما تقول : انزل عن الدابة لاتطرحك ، ويجوز : لاتطرحنك ، وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل : واحذروا بلية أو ذنبا أو عقابا ، ثم قيل : لا تتعرضوا للظلم فتصيب البلية أو العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة ، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل : * ( واتقوا فتنة ) * مقولا فيها : * ( لا تصيبن ) * ، ونظيره قول الشاعر : حتى إذا جن الظلام واختلط * جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ( ٢ ) أي : بمذق يقال فيه هذا القول ، لأن فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ، ويعضده قراءة ابن مسعود : " لتصيبن " ( ٣ ) على جواب القسم المحذوف ، ويكون " من " للتبيين على هذا ، لأن المعنى : لاتصيبنكم أو لتصيبنكم خاصة على ظلمكم ، لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس . وعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قال النبي ( صلى الله عليه وآله ) : " من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي " ، أورده الحاكم

* ( هامش ) * = ج ٢ ص ٣٩٠ .

( ١ ) قاله ابن عباس كما في التبيان : ج ٥ ص ١٠٣ .

( ٢ ) البيت للعجاج ، يصف فيه قوما بالشح وعدم إكرامهم للضيف ، وبالغ في أنهم لم يكرموه ولم يأتوا بما أتوا به إليه إلا بعد سعي ومضي جانب من الليل ، ثم لم يأتوه إلا بلبن ممزوج بالماء وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غبرة وكدورة . انظر خزانة الأدب : ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٢ .

( ٣ ) حكاها عنه الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٢١٢ . ( * )

/ صفحة ١٨ /

أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل ( ١ ) مرفوعا . وعن ابن عباس أيضا : أنه سئل عن هذه الفتنة ، فقال : أبهموا ما أبهم الله ، وعن السدي : نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل ( ٢ ) . * ( واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فاوبكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبت لعلكم تشكرون ( ٢٦ ) يأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمنتكم وأنتم تعلمون ( ٢٧ ) واعلموا أنما أموا لكم وأولدكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ( ٢٨ ) ) * * ( واذكروا ) * معاشر المهاجرين * ( إذ أنتم قليل ) * أي : وقت كونكم أقلة أذلة ، ف * ( إذ ) * هنا مذكور مفعول به وليس بظرف * ( مستضعفون ) * يستضعفكم قريش * ( في الارض ) * يعني : أرض مكة قبل الهجرة * ( تخافون أن يتخطفكم الناس ) * أي : يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها * ( فاوبكم ) * إلى المدينة * ( وأيدكم بنصره ) * أي : قواكم بمظاهر النصر بإمداد الملائكة يوم بدر * ( ورزقكم من الطيبت ) * يعني : الغنائم * ( لعلكم تشكرون ) * إرادة أن تشكروا هذه النعم . وعن قتادة : كانت العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا ، وأعراهم جلدا ، يؤكلون ولا يأكلون ، فمكن الله لهم في البلاد ، ووسع عليهم في الرزق والغنائم ، وجعلهم ملوكا ( ٣ ) . ومعنى الخون : النقص ، كما أن معنى الوفاء : التمام ، ومنه تخونه أي : تنقصه ،

* ( هامش ) *

( ١ ) شواهد التنزيل : ج ١ ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢١٢ .



( ٣ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٢١٩ . ( * )

/ صفحة ١٩ /

ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء ( ١ ) ، لأنك إذا خنت الرجل في شئ فقد أدخلت عليه النقصان

فيه ، والمعنى : لا تخونوا الله بترك أوامره ، والرسول بترك سنته وشرائعه ، و * ( أمنتكم ) * فيما بينكم بأن لاتحفظوها * ( وأنتم تعلمون ) * وبال ذلك وعقابه ، وقيل : * ( وأنتم تعلمون ) * أنكم تخونون ( ٢ ) ، يعني : أن الخيانة توجد منكم عن عمد ، ويحتمل أن يكون * ( وتخونوا ) * جزما داخلا في حكم النهي ، وأن يكون نصبا بإضمار " أن " ، نحو : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . * ( واعلموا أنما أموا لكم وأولدكم فتنة ) * جعلهم فتنة ، لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب ، أو يريد : محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده * ( وأن الله عنده أجر عظيم ) * فعليكم أن تزهدوا في الدنيا ، ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد ، ولا تؤثروهما على نعيم الأبد . * ( يأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيأتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ( ٢٩ ) وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير المكرين ( ٣٠ ) ) * * ( فرقانا ) * أي : فتحا ونصرا ، كقوله : * ( يوم الفرقان ) * ( ٣ ) لانه يفرق بين الحق بإعزاز أهله والباطل بإذلال أهله ، أو هداية ونورا وتوفيقا وشرحا للصدور ، أو بيانا وظهورا يشهر أمركم في أقطار الأرض .

* ( هامش ) *

( ١ ) قال الراغب : الخيانة والنفاق واحد ، إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة ، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ، ونقيض الخيانة : الأمانة ، يقال : خنت فلانا وخنت أمانة فلان . راجع المفردات : مادة ( خون ) .

( ٢ ) حكاه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٣١١ .

( ٣ ) الأنفال : ٤١ . ( * )



---

* ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ) * لما فتح الله عليه ، ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر النعمة الجليلة في إنجائه منهم واستيلائه عليهم ، أي : واذكر إذ يمكرون بك حين اجتمعوا في دار الندوة وتآمروا في أمرك ، فقال بعضهم : نحبسه في بيت ونلقي إليه الطعام والشراب ، وقال بعضهم : نحمله على جمل ونخرجه من بين أظهرنا ، وقال أبو جهل : نأخذ من كل بطن غلاما ونعطيه سيفا صارما فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم ، فإذا طلبوا العقل عقلناه ، فقال إبليس وكان قد دخل عليهم في صورة شيخ من أهل نجد : هذا الفتى أجودكم رأيا ، فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله . وعن ابن عباس : * ( ليثبتوك ) * : ليقيدوك ويوثقوك ( ١ ) ، وقيل : ليثخنوك ( ٢ ) بالضرب والجرح ( ٣ ) من قولهم : ضربوه

حتى أثبتوه لاحراك به ، وفلان مثبت وجعا * ( ويمكرون ) * ويخفون المكائد * ( ويمكر الله ) * ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة * ( والله خير المكرين ) * ( ٤ ) أي : مكره أنفذ من مكر غيره ، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل . * ( وإذا تتلى عليهم ءايتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن

* ( هامش ) *

( ١ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٢٢٥ .

( ٢ ) أثخن في العدو : بالغ في الجراحة فيهم . ( القاموس المحيط : مادة ثخن ) .

( ٣ ) وهو قول عطاء والسدي كما حكاه عنهما أبو حيان في البحر المحيط : ج ٤ ص ٤٨٧ ، وفي تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٩٧ : قاله أبان بن تغلب وأبو حاتم ، وفي التبيان : ج ٥ ص ١٠٩ عن الجبائي .

( ٤ ) قال الراغب : المكر : صرف الغير عما يقصده بحيلة ، وذلك ضربان : مكر محمود وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل ، وعلى ذلك قال : * ( والله خير المكرين ) * ، ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح . راجع المفردات : مادة ( مكر ) . ( * )



---

هذا إلا أسطير الاولين ( ٣١ ) وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم ( ٣٢ ) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ( ٣٣ ) ومالهم ألايعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ( ٣٤ ) ) * * ( لو نشاء لقلنا مثل هذا ) * قائله : النضر بن الحارث بن كلدة ، وأسر يوم بدر فقتله النبي ( صلى الله عليه وآله ) صبرا بيد علي ( عليه السلام ) ، وإنما قاله صلفا ( ١ ) ونفاجة ( ٢ ) ، فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو استطاعوا ذلك ، وإلا فما منعهم أن يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالمعجز حتى يغلبوه مع فرط حرصهم على قهره وغلبته ؟ ! * ( إن هذا إلا أسطير الاولين ) * قاله النضر أيضا ، وذلك أنه جاء بحديث رستم وإسفنديار من بلاد فارس ، وزعم أن هذا مثل ذلك ، وهو القائل : اللهم إن كان هذا هو الحق – أي : إن كان القرآن هو الحق – فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل ، أو بعذاب آخر ، ومراده أن ينفي كونه حقا ، وإذا انتفي كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا ، فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال . * ( ليعذبهم ) * اللام لتأكيد النفي ، والدلالة على أن تعذيبهم وهو بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة ، ومن قضية حكمة الله أن لا يعذب قوما عذاب

استئصال ونبيهم بين أظهرهم ، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم بدلالة
* ( هامش ) *
( ١ ) الصلف – بالتحريك – : هو التكلم بما يكرهه صاحبك ، والتمدح بما ليس عندك ، أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا . ( القاموس المحيط : مادة صلف ) .
( ٢ ) رجل نفاج : إذا كان صاحب فخر وكبر . ( الصحاح : مادة نفج ) . ( * )
/ صفحة ٢٢ /



---

قوله : * ( ومالهم ألايعذبهم الله ) * ، فكأنه قال : ما يعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم * ( ومالهم ألايعذبهم ) * ، وقوله : * ( وهم يستغفرون ) * في موضع الحال ، أي : * ( وما كان الله معذبهم ) * وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم من المستضعفين الذين تخلفوا بعد خروج رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وهم على عزم الهجرة ، وقيل : معناه نفي الاستغفار عنهم ، أي : ولو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفر لما عذبهم ، ولكنهم لا يؤمنون ولايستغفرون ( ١ ) . * ( ومالهم ألايعذبهم الله ) * وأي شئ لهم في انتفاء العذاب عنهم ، يعني : لاحظ لهم في ذلك * ( وهم ) * معذبون لا محالة ، وكيف لايعذبون وحالهم أنهم * ( يصدون عن المسجد الحرام ) * أولياءه * ( وما كانوا أولياءه ) * أي : وما استحقوا مع شركهم بالله وعداوتهم لرسوله أن يكونوا ولاة أمره * ( إن أولياؤه إلا المتقون ) * إنما يستحق ولايته من كان تقيا من المسلمين * ( ولكن أكثرهم لا يعلمون ) * كأنه استثنى من يعلم ويعاند ، أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم . * ( وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكآء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ( ٣٥ ) إن الذين كفروا ينفقون أموا لهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ( ٣٦ ) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخسرون ( ٣٧ ) ) * المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق ، وهو ضرب اليد على اليد ، وهو تفعلة من الصدى ، والمعنى : أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة ، كما أن الشاعر في قوله :
* ( هامش ) *
( ١ ) قاله مجاهد وقتادة والسدي وابن عباس وابن زيد . راجع التبيان : ج ٥ ص ١١٣ . ( / صفحة ٢٣ /

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا ( ١ ) وضع القيود والسياط موضع العطاء ، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون ، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في صلاته يخلطون عليه * ( فذوقوا ) * عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم . * ( ينفقون أموا لهم ) * نزلت في المطعمين يوم بدر ، كان كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر ، وقيل : إنهم قالوا لكل من كانت له تجارة في العير : أعينوا بهذا المال على حرب محمد - ( صلى الله عليه وآله ) - لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر ( ٢ ) * ( ليصدوا عن سبيل الله ) * أي : كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد ( صلى الله عليه وآله ) وهو سبيل الله * ( ثم تكون عليهم حسرة ) * ثم تكون عاقبة إنفاقها حسرة * ( ثم يغلبون ) * آخر الأمر يغلبهم المؤمنون ، والكافرون * ( إلى جهنم يحشرون ) * . * ( ليميز الله ) * الفريق الخبيث من الفريق الطيب * ( ويجعل الخبيث بعضه ) * فوق * ( بعض ) * في جهنم يضيقها عليهم * ( فيركمه ) * عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكموا ، كقوله : * ( كادوا يكونون عليه لبدا ) * ( ٣ ) ، وقيل : نفقة الكافر من نفقة المؤمن ، ويجعل نفقة الكافر بعضها * ( على بعض ) * فوق بعض * ( فيركمه ) * ويجمعه * ( هامش ) *

( ١ ) البيت للفرزدق ، وروي : فلما خشيت أن يكون عطاؤه . . . ، واخرى : أخاف زيادا أن يكون عطاؤه . . . ، وهي من قصيدة يذم بها زيادا بعدما فر منه ، إذ أراد زياد أن يختدعه ليقع في يديه فأشاع أنه لو أتاه لحباه وأكرمه ، فبلغ ذلك الفرزدق فانطلق ينشأ هذه القصيدة ، يقول : ما كنت أظن أن يكون عطاء زياد قيودا سودا تلسع كما تلسع الحية السوداء أو سياطا مفتولة سمراء يجلدني بها . انظر ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٣٢٠ .



( ٢ ) قاله محمد بن مسلم ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن . راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

( ٣ ) الجن : ١٩ . ( * )

/ صفحة ٢٤ /

* ( جميعا فيجعله في جهنم ) * يعاقبهم به ( ١ ) ، كما قال : * ( يوم يحمى عليها في نار جهنم ) * الآية ( ٢ ) ، وقرئ : * ( ليميز ) * على التخفيف ( ٣ ) . * ( قل للذين كفروا إن ينتهوا

يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الاولين ( ٣٨ ) وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ( ٣٩ ) وإن تولوا فاعلموا أن الله موليكم نعم المولى ونعم النصير ( ٤٠ ) ) * * ( قل للذين كفروا ) * أي : قل لاجلهم هذا القول وهو * ( إن ينتهوا ) * ، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل : إن تنتهوا - بالتاء - يغفر لكم ، أي : إن ينتهوا عما هم عليه بالدخول في الإسلام * ( يغفر لهم ما قد سلف ) * من الشرك وعداوة الرسول * ( وإن يعودوا ) * لعداوته وقتاله * ( فقد مضت سنت الاولين ) * الذين تحزبوا على أنبياء الله في تدميرهم ، فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا . * ( وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ) * أي : إلى أن لا يوجد فيهم شرك * ( ويكون الدين كله لله ) * ويضمحل كل دين باطل ويبقى دين الإسلام وحده . قال الصادق ( ٤ ) ( عليه السلام ) : " لم يجئ تأويل هذه الآية ، ولو قد قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية ، وليبلغن دين محمد ( صلى الله عليه وآله ) ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك ( ٥ ) على ظهر الأرض " ( ٦ ) . * ( فإن انتهوا ) * عن الكفر وأسلموا * ( فإن الله بما يعملون بصير ) * يثيبهم على

* ( هامش ) *



---

( ١ ) قاله مقاتل على ما حكاه عنه السمرقندي في تفسيره : ج ٢ ص ١٧ . ( ٢ ) التوبة : ٣٥ . ( ٣ ) الظاهر أن القراءة المعتمدة عند المصنف هي قراءة وتشديد . ( ٤ ) في بعض النسخ : بعض الأئمة . ( ٥ ) في المجمع : مشرك . ( ٦ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٥٦ ح ٤٨ . ( * ) / صفحة ٢٥ /

توبتهم وإسلامهم ، وقرئ : " تعملون " بالتاء ( ١ ) ، فيكون المعنى : فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله * ( بصير ) * يجازيكم عليه أحسن الجزاء . * ( وإن تولوا ) * ولم ينتهوا فثقوا بولاية الله ونصرته . * ( واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل إن كنتم ءامنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير ( ٤١ ) إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم ( ٤٢ ) ) * " ما " موصولة ، و * ( من شئ ) * بيانه * ( فأن لله ) * مبتدأ ، وخبره محذوف تقديره : فواجب ، أو فحق أن * ( لله خمسه ) * . قال أصحابنا رضوان الله عليهم أجمعين : إن الخمس يقسم على ستة أسهم كما في الآية : سهم لله ، وسهم للرسول ( صلى الله عليه وآله ) ، وسهم لذوي القربى ، فهذه الأسهم الثلاثة اليوم للإمام القائم مقام

الرسول ( صلى الله عليه وآله ) ، وسهم ليتامى آل محمد ، وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم ، لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقة لكونها أوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس ( ٢ ) . روى ذلك الطبري ( ٣ ) عن علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر صلوات الله عليهما .

* ( هامش ) *

(٢٥/٢)

---

( ١ ) وهي قراءة الحسن ويعقوب ورويس وسلام بن سليمان . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٤ ص ٤٩٥ . ( ٢ ) انظر شرائع الإسلام : ج ١ ص ١٨١ – ١٨٢ ، واللمعة الدمشقية : ج ٢ ص ٧٨ – ٧٩ . ( ٣ ) تفسير الطبري : ج ٦ ص ٢٥٢ ح ١٦١٢٧ وص ٢٥٤ ح ١٦١٤٢ . ( * )

/ صفحة ٢٦ /

ورووا عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أنه قيل له : إن الله تعالى قال : * ( واليتمى والمسكين ) * فقال : " أيتامنا ومساكيننا " ( ١ ) . وقوله : * ( إن كنتم ءامنتم بالله ) * تعلق بمحذوف يدل عليه * ( واعلموا ) * ، والمعنى : إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة * ( وما أنزلنا ) * معطوف على * ( بالله ) * أي : إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل * ( على عبدنا يوم الفرقان ) * يعني : يوم بدر ( ٢ ) ، و * ( الجمعان ) * : الفريقان من المسلمين والكافرين ، والمراد : ما أنزل من الآيات والملائكة والفتح يومئذ . * ( إذ ) * بدل من * ( يوم الفرقان ) * ، و " العدوة " : شط الوادي ، بالكسر والضم ، و * ( الدنيا ) * و * ( القصوى ) * تأنيث الأدنى والأقصى ، والقياس أن تقلب الواو ياء كالعليا إلا أن القصوى جاءت على الأصل شاذا كالقود ، والعدوة الدنيا مما يلي المدينة ، والعدوة القصوى مما يلي مكة * ( والركب أسفل منكم ) * يعني أبا سفيان والعير * ( أسفل ) * نصب على الظرف ، معناه : مكانا أسفل من مكانكم يقودون العير بالساحل ، ومحله رفع لأنه خبر المبتدأ . والفائدة في ذكر هذه المراكز الإخبار عن الحال الدالة على قوة المشركين وضعف المسلمين ، وأن غلبتهم على مثل هذه الحال أمر إلهي لم يتيسر إلا بحوله وقوته ، وذلك أن العدوة القصوى كان فيها الماء ، ولاماء بالعدوة الدنيا وهي خبار ( ٣ ) تسوخ فيها الأرجل ، وكانت العير وراء ظهورهم مع كثرة عددهم ، وكانت

* ( هامش ) *

( ١ ) عوالي اللآلئ لابن جمهور : ج ٢ ص ٧٥ – ٧٦ ح ٢٠١ .
( ٢ ) في نسخة زيادة : في يوم الجمعة السابع عشر أو التاسع عشر من شهر رمضان سنة الثاني من الهجرة ، مروي عن الصادق ( عليه السلام ) .
( ٣ ) الخبار : الأرض الرخوة . ( الصحاح : مادة خبر ) . ( * )
/ صفحة ٢٧ /
الحماية دونها تضاعف حميتهم وتحملهم على أن يبرحوا مواطنهم ويبذلوا نهاية نجدتهم ، وفيه تصوير مادبره عز اسمه من أمر وقعة بدر * ( ليقضى الله أمرا كان مفعولا ) * من إعزاز دينه وإعلاء كلمته * ( ولو تواعدتم ) * أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا ، فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ، وثبطهم ما في قلوبهم من الرعب ، فلم يتفق لكم من اللقاء ما وفقه الله * ( ليقضى ) * متعلق بمحذوف ، أي : ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل دبر ذلك ، وقوله : * ( ليهلك ) * بدل منه ، واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام ، أي : ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة وقيام حجة عليه ، ويصدر إسلام من أسلم عن يقين وعلم بأنه الدين الحق الذي يجب التمسك به * ( لسميع عليم ) * يعلم كيف يدبر أموركم . * ( إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أربكهم كثيرا لفشلتم ولتنزعتم في الامر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ( ٤٣ ) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الامور ( ٤٤ ) ) * * ( إذ ) * نصب بإضمار " اذكر " ، أو هو بدل ثان من * ( يوم الفرقان ) * ، أو متعلق بقوله : * ( لسميع عليم ) * أي : يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك * ( في منامك ) * أي : في رؤياك ، وذلك أن الله سبحانه أراهم إياه في رؤياه قليلا ، فأخبر بذلك أصحابه فكان ( ١ ) تشجيعا لهم عليهم ، وعن الحسن : * ( في منامك ) * في عينك لأنها مكان النوم ( ٢ ) ، والفشل : الجبن ، أي : لجبنتم وهبتم الاقدام ، ولتنازعتم في الرأي وتفرقت كلمتكم



فيما تصنعون * ( ولكن الله سلم ) * أي : أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع
* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة زيادة : تثبيتا لهم و . ( ٢ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤٠٣ . ( * )

/ صفحة ٢٨ /

* ( إنه عليم بذات الصدور ) * يعلم ماسيكون فيها من الجرأة والجبن . * ( وإذ يريكموهم ) * أي : يبصركم إياهم ، و * ( قليلا ) * نصب على الحال ، وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله . وعن ابن مسعود : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا ( ١ ) . * ( ويقللكم في أعينهم ) * حتى قال قائل منهم : إنما هم أكلة جزور ، وإنما قللهم في أعينهم ليجترئوا عليهم قبل اللقاء ، ثم كثرهم فيها بعد اللقاء لتفجأهم الكثرة فيهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم ، وذلك قوله : * (مثليهم رأى العين ) * ( ٢ ) ، ويمكن أن يكونوا قد أبصروا الكثير قليلا بأن ستر الله عنهم بعض أولئك بساتر . * ( يأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ( ٤٥ ) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصبرين ( ٤٦ ) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديرهم بطرا ورئآء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ( ٤٧ ) ) * أي : إذا حاربتم جماعة كافرة ، وإنما لم يصفهم لأن المؤمنين لايحاربون إلا الكفار ، واللقاء اسم للقتال غالب * ( فاثبتوا ) * لقتالهم ولاتفروا * ( واذكروا الله كثيرا ) * في مواطن القتال ، مستعينين به مستظهرين بذكره * ( لعلكم تفلحون ) * أي : تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة . * ( ولا تنزعوا ) * أي : لا تتنازعوا فيما بينكم فتضعفوا عن قتال عدوكم ، و * ( تفشلوا ) * منصوب بإضمار " أن " ، والريح : الدولة ،

*(٢٨/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٢٥٩ ح ١٦١٧١ . ( ٢ ) آل عمران : ١٣ . ( * )

/ صفحة ٢٩ /

شبهت في نفوذ أمرها بالريح وهبوبها ، قالوا : هبت رياح فلان : إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ، وقيل : لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله ( ١ ) . وفي الحديث : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور " ( ٢ ) . * ( كالذين خرجوا من ديرهم ) * هم أهل مكة خرجوا ليحموا ( ٣ ) عيرهم ، فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة ( ٤ ) : أن ارجعوا فقد سلمت عيركم ، فأبى أبو جهل وقال : حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ، فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس : إطعامهم ، فوافوها فسقوا كأس الحمام ( ٥ ) مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان . * ( وإذ زين لهم الشيطن أعملهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ( ٤٨ ) ) * قيل :

إن قريشا لما اجتمعت للمسير ذكرت ما بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم ، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ( ٦ ) وكان من أشرافهم ، ف * ( قال لاغالب لكم اليوم . . . وإنى ) * مجيركم من بني كنانة * ( فلما ) * رأى الملائكة تنزل * ( نكص ) * ولما نكص قال له



---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله قتادة وابن زيد . راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٢٦١ . ( ٢ ) صحيح البخاري : ج ٢ ص ٤١ ، مسند أحمد : ج ١ ص ٢٢٨ و ٣٢٤ . ( ٣ ) في نسخة : ليجمعوا . ( ٤ ) الجحفة : موضع بين مكة والمدينة . ( ٥ ) في نسخة : المنايا ، والحمام – بالكسر – : قدر الموت . ( الصحاح : مادة حمم ) . ( ٦ ) ويكنى أبا سفيان ، كان في الجاهلية قائفا ، وقد روى البخاري قصته في إدراكه النبي ( صلى الله عليه وآله ) لما هاجر الى المدينة واقتفاءه أثره ، ثم دعا النبي ( صلى الله عليه وآله ) عليه حتى ساخت رجلا فرسه ، ثم طلبه من النبي ( صلى الله عليه وآله ) الخلاص وأن لا يدل عليه ، ففعل ( صلى الله عليه وآله ) ، وأسلم يوم الفتح ، مات سنة ٢٤ ه في أول خلافة عثمان . انظر الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٢ ص ١٩ . ( * )
/ صفحة ٣٠ /



---

الحارث ( ١ ) وكانت يده في يده : إلى أين ؟ أتخذلنا في هذه الحال ؟ ف * ( قال . . . إنى أرى مالا ترون ) * ودفع في صدره وانطلق ، وانهزموا ، فلما بلغوا مكة قالوا : هزم الناس سراقة ، فبلغ ذلك سراقة ، فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم ( ٢ ) . * ( إذ يقول المنفقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ( ٤٩ ) ولو ترى إذ يتوفي الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم وأدبرهم وذوقوا عذاب الحريق ( ٥٠ ) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلم للعبيد ( ٥١ ) ) * * ( إذ يقول المنفقون ) * بالمدينة * ( والذين في قلوبهم مرض ) * والشاكون في الإسلام * ( غر هؤلاء دينهم ) * يعنون المسلمين ، أي : اغتروا بدينهم وأنهم ينصرون من أجله ، فخرجوا مع قلتهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم * ( ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز ) * غالب ينصر الضعيف على القوي ، والقليل على الكثير . * ( ولو ترى ) * أي : ولو عاينت وشاهدت ، لأن " لو " يرد المضارع إلى معنى الماضي ، كما أن " إن " ترد

الماضي إلى معنى الاستقبال ، و * ( إذ ) * نصب على الظرف ، وقرئ : * ( يتوفي ) * بالياء والتاء ( ٣ ) ، و * ( يضربون ) * حال ، وعن مجاهد : * ( أدبرهم ) * : أستاههم ولكن الله كريم يكني ( ٤ ) ، وقيل : يضربون ما أقبل منه ( ٥ ) وما أدبر ،

* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة زيادة : بن هشام . ( ٢ ) قاله ابن عباس كما في تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٣٠٣ . ( ٣ ) بالتاء قرأه ابن عامر والأعرج . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٣٥ ، وإعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ١٩٠ .

( ٤ ) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ١٣٧ . ( ٥ ) لعل الصحيح المناسب لسياق الكلام : منهم . ( * )



---

والمراد به قتلى بدر ( ١ ) * ( وذوقوا ) * معطوف على * ( يضربون ) * على إرادة القول ، أي : * ( و ) * يقولون : * ( ذوقوا عذاب الحريق ) * بعد هذا في الآخرة ، وقيل : كانت مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار في جراحاتهم ( ٢ ) . * ( ذلك بما قدمت أيديكم ) * يحتمل أن يكون من كلام الله ، ومن كلام الملائكة ، و * ( ذلك ) * مبتدأ ، و * ( بما قدمت ) * خبره * ( وأن الله ) * عطف عليه ، أي : ذلك العذاب بسببين : بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله يعذب الكفار بالعدل ، لأنه لا يظلم عباده في عقوبتهم ، وقد بالغ في نفي الظلم عن نفسه بقوله : * ( ليس بظلم للعبيد ) * . * ( كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايت الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب ( ٥٢ ) ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ( ٥٣ ) كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايت ربهم فأهلكنهم بذنوبهم وأغرقنا ءال فرعون وكل كانوا ظلمين ( ٥٤ ) ) * الكاف في محل الرفع ، أي : دأب هؤلاء مثل دأب * ( ءال فرعون ) * ، ودأبهم : عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه ، أي : داوموا عليه ، و * ( كفروا ) * تفسير لدأب آل فرعون . و * ( ذلك ) * إشارة إلى ماحل بهم ، أي : * ( ذلك ) * العذاب * ( بـ ) * سبب * ( أن الله ) * لا يصح في حكمته أن يغير نعمته عند * ( قوم حتى يغيروا ما ) * بهم من الحال ، وعن السدي ( ٣ ) : النعمة محمد ( صلى الله عليه وآله ) أنعم الله به على قريش فكفروا به

* ( هامش ) * ( ١ ) وهو قول ابن عباس وابن جريج كما في تفسير البغوي : ج ٢ ص ٢٥٦ . ( ٢ ) قاله ابن عباس على ما حكاه عنه الرازي في تفسيره : ج ١٥ ص ١٧٨ . ( ٣ ) أبو محمد

اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير ، من أهل الكوفة ، يروي = ( * )
/ صفحة ٣٢ /

(٣٢/٢)

---

وكذبوه فنقله إلى الأنصار ( ١ ) * ( وأن الله سميع ) * لما يقول مكذبو الرسل * ( عليم ) * بما يفعلون . * ( كدأب ءال فرعون ) * تكرير للتأكيد ، وفي قوله : * ( بايت ربهم ) * زيادة دلالة على كفران النعم ، وفي ذكر الإغراق بيان للاخذ بالذنوب * ( وكل كانوا ظلمين ) * أي : وكل من غرقى آل فرعون وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم . * ( إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ( ٥٥ ) الذين عهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ( ٥٦ ) فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ( ٥٧ ) وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سوآء إن الله لا يحب الخائنين ( ٥٨ ) ) * * ( الذين كفروا فهم لا يؤمنون ) * أي : أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم إيمان ، وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) على أن لا يمالئوا ( ٢ ) عليه عدوا ، فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا : نسينا و ( ٣ ) أخطأنا ، ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوا عليه الأحزاب يوم الخندق . * ( الذين عهدت منهم ) * بدل من * ( الذين كفروا ) * أي : الذين عاهدتهم من الذين كفروا ، جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم ، وشر المصرين الذين ينقضون العهد * ( هامش ) * = عن أنس وعبد خير وأبي صالح ، ورأى ابن عمر وابن عباس وغيرهما ، وكان ثقة مأمونا ، وذكره الشيخ في رجاله من أصحاب علي بن الحسين ( عليه السلام ) ومن أصحاب الباقر ( عليه السلام ) ومن اصحاب الصادق ( عليه السلام ) توفي عام ( ١٢٧ هـ ) . انظر اللباب لابن الأثير : ج ٢ ص ١١٠ ، ومعجم رجال الحديث للخوئي : ج ٣ ص ١٤٨ . ( ١ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٢٦٩ ح ١٦٢٢٤ . ( ٢ ) مالاته على الأمر ممالاة : ساعدته عليه وشايعته . ( لسان العرب : مادة ملأ ) . ( ٣ ) في نسخة : أو . ( * )
/ صفحة ٣٣ /

(٣٣/٢)

---

* ( وهم لا يتقون ) * أي : لا يخافون عاقبة الغدر ، ولا يبالون ما فيه من العار والنار . * ( فإما تثقفنهم ) * أي : تصادفنهم في الحرب ، والمعنى : إن ظفرت بهم وأدركتهم * ( فشرد بهم من

خلفهم ) * أي : ففرق عن محاربتك ومناصبتك من وراءهم من الكفرة بقتلهم شر قتلة ، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد ، اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم . * ( وإما تخافن من قوم ) * معاهدين * ( خيانة ) * ونكثا للعهد * ( فانبذ إليهم ) * أي : فاطرح إليهم العهد * ( على سوآء ) * على طريق مقتصد ( ١ ) مستو ، وذلك بأن تخبرهم بنبذ العهد إخبارا ظاهرا مكشوفا ، وتبين لهم أنك قطعت ما بينك وبينهم ، ولاتبدأهم بالقتال وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة * ( إن الله لا يحب الخائنين ) * فلاتخنهم بأن تناجزهم القتال من غير إعلامهم بالنبذ ، وقيل : معناه على استواء في العلم بنقض العهد ( ٢ ) ، والجار والمجرور في موضع الحال ، كأنه قيل : فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي ، أو حاصلين على استواء في العلم على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا . * ( ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ( ٥٩ ) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ( ٦٠ ) وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ( ٦١ ) ) * * ( سبقوا ) * أي : فاتوا من أن يظفر بهم * ( إنهم لا يعجزون ) * أي : لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم ، وقرئ : " أنهم " بالفتح ( ٣ ) بمعنى " لانهم " ،

* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة : مستقيم . ( ٢ ) قاله الأزهري على ما حكاه عنه القرطبي في تفسيره : ج ٨ ص ٣٢ . ( ٣ ) قرأه ابن عامر . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٤٦ . ( * ) / صفحة ٣٤ /



---

وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل ، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح ، والمعنى : لا تحسبن ( ١ ) يا محمد - ( صلى الله عليه وآله ) - الكافرين قد فاتوك فإن الله يظفرك بهم ويظهرك عليهم ، وفي الشواذ قراءة ابن محيصن ( ٢ ) : " لا يعجزون " بكسر النون ( ٣ ) ، وقرئ : * ( ولا يحسبن ) * بالياء على أن الفعل لـ * ( الذين كفروا ) * كأنه قيل : لا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، فحذفت " أن " ، كقوله : * ( ومن ءايته يريكم البرق ) * ( ٤ ) أو على أن المعنى : ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا . والقوة : كل ما يتقوى به في الحرب من العدد ، والرباط : اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال جمع فصيل * ( ترهبون ) * قرئ بالتخفيف والتشديد ( ٥ ) ، يقال : أرهبته ورهبته ، أي : تخيفون بما تعدونه * ( عدو الله وعدوكم ) * يعني أهل مكة * ( وءاخرين ) * أي : وترهبون كفارا آخرين * ( من ) * دون هؤلاء * ( لا تعلمونهم ) * لأنهم

يصلون ويصومون ويقولون : لا إله إلا الله ، محمد - ( صلى الله عليه وآله ) - رسول الله * ( الله يعلمهم ) * لأنه المطلع على الأسرار * ( وما تنفقوا من شئ ) * في الجهاد يوفر عليكم ثوابه * ( وأنتم لا تظلمون ) * لا تنقصون شيئا منه . * ( وإن جنحوا ) * جنح له وإليه : مال ، و " السلم " بفتح السين وكسرها : الصلح ،



---

* ( هامش ) * ( ١ ) حيث إن القراءة المعتمدة لدى المصنف بالتاء كما هو ظاهر . ( ٢ ) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي المقرئ ، روى عنه عدة منهم مسلم ، وقراءاته من شواذ القراءات ، توفي سنة ١٢٣ هـ بمكة . راجع طبقات القراء للجزري : ج ٢ ص ١٦٧ رقم ٣١١٨ . ( ٣ ) شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٥٥ . ( ٤ ) الروم : ٢٤ . ( ٥ ) بالتشديد قرأه الحسن وورش . راجع إعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ١٩٤ . والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٣٥ . ( * )

/ صفحة ٣٥ /

يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب ، قال الشاعر : السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع ( ١ ) * ( وتوكل على الله ) * ولا تخف من خديعتهم ومكرهم فإن الله عاصمك وكافيك من مكرهم . * ( وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ( ٦٢ ) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا مآألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ( ٦٣ ) يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ( ٦٤ ) يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ( ٦٥ ) الن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين ( ٦٦ ) ) * * ( وإن يريدوا أن يخدعوك ) * في الصلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن القتال حتى يقوى أمرهم فيبدؤوكم بالقتال من غير استعداد منكم * ( فإن حسبك الله ) * أي محسبك الله * ( هو الذي أيدك ) * أي : قواك * ( بنصره وبالمؤمنين ) * الذين ينصرونك على أعدائك ، يريد الأنصار وهم : الأوس والخزرج . * ( وألف بين قلوبهم ) * حتى صاروا متحابين متوادين بعد ماكان بينهم من التضاغن والتحارب



---

* ( هامش ) * ( ١ ) والبيت لعباس بن مرداس السلمي ، أنشده مخاطبا ابن عمه والمنافس له لزعامة بني سليم الخفاف بن ندبة ، يقول : إن السلم وإن طالت لم تر فيها إلا ما تحب ولا تنال إلا ما تريد ، ولا يضرك طولها ، فإذا جاءت الحرب قطعتك عن لذاتك وشغلتك بنفسك ، وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب . انظر ديوان العباس بن مرداس : ص ١٠٣ . ( * )

/ صفحة ٣٦ /

ولم يكن لبغضائهم أمد ، فأنساهم الله ذلك كله حتى تصافوا وعادوا إخوانا

* ( لو أنفقت ما في الارض جميعا ) * لما أمكنك التأليف * ( بين قلوبهم ) * وإزالة ضغائن الجاهلية عنهم * ( ولكن الله ألف بينهم ) * بالاسلام . * ( ومن اتبعك ) * الواو بمعنى " مع " وما بعده منصوب ، لأن عطف الظاهر المجرور على المكني قبيح ، والمعنى : كفاك وكفي متبعيك * ( من المؤمنين ) * الله ناصرا ، أو يكون في محل الرفع أي : كفاك الله وكفاك المؤمنون ، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ( ١ ) . والتحريض : المبالغة في الحث على الأمر ، من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي ( ٢ ) على الموت ، وهذه عدة من الله بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بتأييد الله * ( بأنهم قوم لا يفقهون ) * أي : بسبب أن الكفار جهلة يقاتلون على غير احتساب ثواب كالبهائم . وعن ابن جريج ( ٣ ) : كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ، وكان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكبا ، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب ، فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة ، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين ( ٤ ) ، وقرئ : * ( ضعفا ) * بفتح الضاد وضمها ( ٥ ) ،



---

* ( هامش ) * ( ١ ) انظر الكشاف : ج ٢ ص ٢٣٤ . ( ٢ ) أشفي على الشئ : إذا أشرف عليه . ( الصحاح : مادة شفي ) . ( ٣ ) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي ، أصله رومي ، مولى بني امية ، روى عن عطاء والزهري وعكرمة وطاووس وغيرهم ، كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ، قال أبو غسان : سمعت جريرا يقول : كان ابن جريج يرى المتعة . توفي سنة ١٥٠ هـ وهو ابن سبعين سنة . انظر وفيات الاعيان : ج ٢ ص ٣٣٨ . ( ٤ ) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط : ج ٤ ص ٥١٧ . ( ٥ ) وبالضم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي . راجع كتاب السبعة في = ( * )

/ صفحة ٣٧ /

و " ضعفاء " ( ١ ) جمع ضعيف ، وقرئ : * ( يكن ) * في الموضعين بالياء والتاء ( ٢ ) ،

والمراد بالضعف : الضعف في البدن ، وقيل : في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك ( ٣ ) . * ( ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ( ٦٧ ) لولا كتب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ( ٦٨ ) فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم ( ٦٩ ) ) * الإثخان : كثرة القتل والمبالغة فيه ، من قولهم : أثخنته الجراحات حتى أثبتته ، وأصله من الثخانة التي هي الغلظ ( ٤ ) والكثافة ، والمعنى : * ( ما ) * استقام * ( لنبى ) * وما صح له * ( أن يكون له أسرى حتى ) * يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ، وكان هذا يوم بدر ، فلما كثر المسلمون نزل : * ( فإما منا بعد وإما فداء ) * ( ٥ ) ( ٦ ) . وروي : أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن



---

* ( هامش ) * = القراءات لابن مجاهد : ص ٣٠٨ . ( ١ ) وهي قراءة ابن القعقاع . راجع الفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ٢ ص ٤٣٧ . ( ٢ ) وبالتاء وهي قراءة الحرميان وابن عامر . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٣٦ وقال : وقرأ البصريان ( أبو عمرو ويعقوب ) الأول بالياء والثاني بالتاء من أجل * ( صابرة ) * . ( ٣ ) قال الثعالبي : قال كثير من اللغويين : ضم الضاد في البدن ، وفتحها في العقل ، وهذه الآية انما يراد بها حال الجسم ، والضعف الأول هو كون الانسان من ماء مهين ، والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الأسر ، والضعف الثاني هو الهرم والشيخوخة . هذا قول قتادة وغيره . راجع تفسير الثعالبي : ج ٢ ص ٥٤٩ . ( ٤ ) في نسخة : الغلظة . ( ٥ ) سورة محمد ( صلى الله عليه وآله ) : ٤ . ( ٦ ) وهو قول ابن عباس وقتادة . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٥٦ . ( * )
/ صفحة ٣٨ /



---

أبي طالب ولم يؤسر أحد من أصحاب رسول الله ( ١ ) . * ( عرض الدنيا ) * حطامها ، سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث ، يريد الفداء ، والخطاب للمؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى * ( والله يريد الاخرة ) * أي : تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا ، والله يريد لكم ثواب الآخرة * ( والله عزيز ) * يغلب أولياءه على أعدائه ، ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء

، ولكنه * ( حكيم ) * يؤخر ذلك وهم يعجلون . * ( لولا كتب من الله ) * أي : حكم منه * ( سبق ) * إثباته في اللوح بإباحة الغنائم لكم * ( لمسكم فيما ) * استحللتم قبل الإباحة * ( عذاب عظيم ) * ، وقيل : لولا كتاب من الله في القرآن : أنه لا يعذبكم والنبي بين أظهركم ( ٢ ) . * ( فكلوا مما غنمتم ) * هذا إباحة للفداء لانه من جملة الغنائم ، وقيل : إنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها ، فنزلت الآية ( ٣ ) ، ومعنى الفاء التسبيب ، أي : قد أبحت لكم الغنائم * ( فكلوا مما غنمتم ) * ، و * ( حلالا ) * نصب على الحال من المغنوم ، أو صفة للمصدر ، أي : أكلا حلالا . * ( يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ( ٧٠ ) وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ( ٧١ ) ) * وقرئ : * ( من الاسرى ) * وهو أقيس من " الأسارى " ( ٤ ) ، لأن الأسير فعيل

* ( هامش ) * ( ١ ) رواها الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٢٣٦ ، والبغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٢٦٣ . ( ٢ ) قاله الجبائي كما في التبيان : ج ٥ ص ١٥٧ . ( ٣ ) حكاه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٢٦٢ . ( ٤ ) وقراءة " الاسارى " هي قراءة أبي عمرو وأبي جعفر . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٥٩ ، = ( * )



---

بمعنى مفعول ، وذلك يجمع على فعلى نحو جرحى وقتلى ، وقالوا : أسارى ، تشبيها بكسالى ، كما شبهوا كسلى بأسرى * ( قل لمن في أيديكم ) * أي : لمن في ملكتكم ، فكأن أيديكم قابضة عليهم * ( إن يعلم الله في قلوبكم خيرا ) * خلوص عقيدة وصحة نية في الإيمان * ( يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ) * من الفداء : إما أن يخلفكم أضعافه في الدنيا أو يثيبكم في الآخرة . وروي : أن النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال للعباس : افد ابني أخويك : عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث ، فقال : أتتركني أتكفف قريشا ما بقيت ؟ قال : فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل ، وقلت : إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل و عبد الله وقثم ؟ فقال العباس : وما يدريك ؟ قال : أخبرني به ربي ، قال : أشهد أنك صادق ، وأن لاإله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله ، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ، ولقد دفعت إليها في سواد الليل ، ولقد كنت مرتابا في أمرك ، فأما إذا أخبرتني بذلك فلا ريب ، قال العباس : فأبدلني الله خيرا من ذلك : لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا ، وأعطاني زمزم ، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة ، وأنا أنتظر المغفرة من ربي ( ١ ) .

* ( وإن يريدوا خيانتك ) * نكث ما بايعوك عليه ، ومنع ما ضمنوا من الفداء * ( فقد خانوا الله من

قبل ) * بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين * ( فأمكن ) * الله * ( منهم ) * وسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة . * ( إن الذين ءامنوا وهاجروا وجهدوا بأموا لهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين ءامنوا

* ( هامش ) * = وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٠٩ . ( ١ ) رواه ابن كثير في تفسيره : ج ٢ ص ٣١٣ وعزاه إلى البخاري في صحيحه وابن إسحاق في مغازيه ، والبغوي في تفسيره أيضا : ج ٢ ص ٢٦٣ ، والزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٢٣٨ . ( * )



---

ولم يهاجروا مالكم من وليتهم من شئ حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثق والله بما تعملون بصير ( ٧٢ ) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ( ٧٣ ) والذين ءامنوا وهاجروا وجهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ( ٧٤ ) والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتب الله إن الله بكل شئ عليم ( ٧٥ ) ) * * ( هاجروا ) * أي : فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله ، وهم المهاجرون من مكة إلى المدينة * ( والذين ءاووا ) * هم إلى ديارهم * ( ونصروا ) * هم على أعدائهم ، هم الأنصار * ( بعضهم أولياء بعض ) * أي : يتولى بعضهم بعضا في الميراث ، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالمؤاخاة الأولى حتى نسخ ذلك بقوله : * ( وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ) * ( ١ ) ، وقرئ : * ( من وليتهم ) * بالفتح والكسر ( ٢ ) ، قال الزجاج : هي بفتح الواو من النصرة والنسب ، وبالكسر هي بمنزلة الإمارة ( ٣ ) ، والوجه في الآية أنه شبه تولي بعضهم بعضا بالصناعة والعمل ، لأن كل ماكان من هذا الجنس فمكسور كالصياغة والكتابة ، وكأن الرجل بتوليه صاحبه يباشر أمرا ويزاول عملا * ( وإن استنصروكم ) * أي : وإن طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار * ( فعليكم النصر ) * لهم * ( إلا على

* ( هامش ) * ( ١ ) انظر كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة السدوسي : ص ٤٦ . ( ٢ ) وبالكسر هي قراءة حمزة والأعمش ويحيى بن وثاب . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٦١ ، وتفسير القرطبي : ج ٨ ص ٥٦ . ( ٣ ) حكاه عنه الرازي في تفسيره : ج ١ ص ٢١٠ . ( * )

قوم بينكم وبينهم ميثق ) * وعهد ، فلا يجوز لكم نصركم عليهم . * ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ) * معناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار ومعاونتهم وإن كانوا أقارب ، وأن يتركوا يتولى بعضهم بعضا * ( إلا تفعلوه ) * أي : إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث ، تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار تحصل * ( فتنة في الارض ) * ومفسدة كبيرة ، لأن المسلمين ما لم يكونوا يدا واحدة على أهل الشرك كان الشرك ظاهرا ، وتجرأ أهله على أهل الإسلام ودعوهم إلى الكفر . ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم بقوله : * ( أولئك هم المؤمنون حقا ) * لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة والانسلاخ من الأهل والمال لأجل الدين . * ( والذين ءامنوا من بعد ) * يريد : اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة ، كقوله : * ( والذين جاءوا من بعدهم ) * الآية ( ١ ) * ( فأولئك منكم ) * من جملتكم ، وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ونصرتهم وإن تأخر إيمانهم وهجرتهم * ( وأولوا الارحام ) * وأولو القرابات أولى بالتوارث ، بعضهم أحق بميراث بعض من غيرهم ، وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة ( ٢ ) * ( في كتب الله ) * أي : في حكمه ، وقيل : في اللوح المحفوظ ( ٣ ) ، وقيل : في القرآن ( ٤ ) ، وفيه دلالة على أن من كان أقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث .

* ( هامش ) * ( ١ ) الحشر : ١٠ . ( ٢ ) انظر كتاب الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ص ٣٩ . ( ٣ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ١٥٣ . ( ٤ ) حكاه السمرقندي في تفسيره : ج ٢ ص ٢٩ . ( * )

/ صفحة ٤٣ /



سورة التوبة مدنية ( ١ ) ، وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي ، ثلاثون بصري ، عد البصري * ( برئ من المشركين ) * . وعن الصادق ( عليه السلام ) قال : " الانفال وبراءة واحدة " ( ٢ ) . وعن علي ( عليه السلام ) : " لم ينزل " بسم الله الرحمن الرحيم " على رأس سورة براءة ، لأن " بسم الله " للأمان والرحمة ، ونزلت براءة لرفع الامان وللسيف " ( ٣ ) . وقيل : إن السورتين كانتا تدعيان القرينتين ، وتعدان السابعة من السبع الطوال ( ٤ ) .

* ( هامش ) * ( ١ ) في التبيان للشيخ الطوسي : ج ٥ ص ١٦٧ : قال مجاهد وقتادة وعثمان : هي آخر ما نزلت على النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالمدينة . قال الزمخشري : لها عدة أسماء :

براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المشردة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، سورة العذاب ، لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم . وعن حذيفة ( رضي الله عنه ) : إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه . راجع الكشاف : ج ٢ ص ٢٤١ . ( ٢ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٧٣ ح ٣ وفيه : عن أحدهما ( عليهما السلام ) . ( ٣ ) تفسير السمرقندي : ج ٢ ص ٣٢ . ( ٤ ) قاله ابن عباس وحكاه عن عثمان بن عفان . انظر تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٣٣٦ . ( * )



---

* * * * ( براءة من الله ورسوله إلى الذين عهدتم من المشركين ( ١ ) فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزي الكفرين ( ٢ ) وأذا ن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ( ٣ ) إلا الذين عهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا ولم يظهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ( ٤ ) ) * * ( براءة ) * خبر مبتدأ محذوف ، و * ( من ) * لابتداء الغاية ، والمعنى : هذه براءة واصلة * ( من الله ورسوله إلى الذين عهدتم ) * ، ويجوز أن تكون * ( براءة ) * مبتدأ وإن كانت نكرة لتخصصها بصفتها ، والخبر * ( إلى الذين عهدتم ) * كما تقول : رجل من قريش في الدار ، والمراد : أن الله ورسوله قد برئا * ( من ) * العهد الذي عاهدتم به * ( المشركين ) * وأن عهدهم منبوذ إليهم . * ( فسيحوا في الارض أربعة أشهر ) * هذا خطاب للمشركين ، أمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر – وهي الأشهر الحرم – آمنين أين شاءوا لا يتعرض لهم ، وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها ، وقيل : إن " براءة " نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة والأشهر الأربعة : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ( ١ ) ، وقيل : هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله ابن عباس والزهري كما حكاه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ١٦٩ . ( * )



وشهر ربيع الأول ، وعشر من شهر ربيع الآخر ( ١ ) ، وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم

وقتالهم ، وهو الأصح . وأجمع المفسرون على أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) حين نزلت " براءة " دفعها إلى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها إلى علي ( عليه السلام ) ( ٢ ) وإن اختلفوا في تفصيله ، وقد شرحناه في الكتاب الكبير ( ٣ ) .

(٤٥/٢)

---

وعن الباقر ( عليه السلام ) قال : " خطب علي ( عليه السلام ) الناس يوم النحر واخترط سيفه فقال : لا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يحجن البيت مشرك ، ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر ، وقرأ عليهم سورة براءة " ( ٤ ) ، وقيل : إنه قرأ ثلاث عشرة آية من أول براءة ( ٥ ) ، وقيل : ثلاثين أو أربعين آية ( ٦ ) . * ( فاعلموا أنكم غير معجزى الله ) * أي : لاتفوتونه وإن أمهلكم * ( وأن الله مخزي الكفرين ) * أي : مذلهم في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالعذاب . * ( وأذا ن من الله ) * الوجه في رفعه ما ذكرناه في * ( براءة ) * بعينه ، ثم الجملة معطوفة على مثلها ، وهو بمعنى الإيذان كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء ، والجملة الأولى إخبار بثبوت البراءة ، والجملة الثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت من البراءة الواصلة من الله ورسوله إلى المعاهدين والناكثين لجميع الناس ، من عاهد منهم ومن لم يعاهد * ( يوم الحج الاكبر ) * يوم عرفة ، وقيل :

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله محمد بن كعب القرظي ومجاهد والسدي والحسن وهو قول الصادق ( عليه السلام ) . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٦٩ ، وتفسير الماوردي : ج ٢ ص ٣٣٨ . ( ٢ ) رواه ابن كثير من طرق عديدة في تفسيره : ج ٢ ص ٣١٨ – ٣١٩ . ( ٣ ) يريد به مجمع البيان : ج ٥ – ٦ ص ٣ . ( ٤ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٧٤ ح ٧ . ( ٥ ) قاله مجاهد على ما حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٤٣ . ( ٦ ) وهو قول محمد بن كلب القرظي وغيره كما في تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٨٣ . ( * )

/ صفحة ٤٦ /

(٤٦/٢)

---

يوم النحر ( ١ ) ، لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ( ٢ ) . وروي أن عليا ( عليه السلام ) أخذ رجل بلجام دابته فقال : ما الحج الأكبر ؟ فقال : " يومك هذا ، خل عن دابتي " ( ٣ ) . * ( أن الله برئ ) * حذفت الباء تخفيفا ، وقرئ في الشواذ : " إن الله " بالكسر ( ٤ ) ، لأن الأذان في

معنى القول * ( ورسوله ) * عطف على الضمير في * ( برئ ) * أو على محل " إن " المكسورة واسمها ، وقرئ بالنصب ( ٥ ) عطفا على اسم " إن " ، أو لأن الواو بمعنى " مع " ، * ( فإن تبتم ) * من الكفر والغدر * ( فهو خير لكم ) * من الإقامة عليهما * ( وإن توليتم ) * عن الإيمان * ( فاعلموا أنكم غير معجزى الله ) * غير سابقين الله ، ولا فائتين بأسه وعذابه . * ( إلا الذين عهدتم من المشركين ) * استثناء من * ( فسيحوا في الارض ) * لأن الاستثناء بمعنى الاستدراك ، والمعنى : ولكن الذين لم ينكثوا ولم ينقصوا من شرط العهد * ( شيا ولم يظهروا عليكم أحدا ) * من أعدائكم * ( فأتموا إليهم عهدهم إلى ) * انقضاء * ( مدتهم ) * التي وقع العهد إليها ، ولا تجعلوا الوفي كالغادر . * ( فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

*(٤٧/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) في رواية عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) وعلي ( عليه السلام ) والصادق ( عليه السلام ) وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير و عبد الله بن أبي أوفي وإبراهيم ومجاهد وابن مسعود والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة والشعبي والنخعي والزهري وعطاء وابن زيد والسدي واختاره الطبري . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٣٣٩ ، وتفسير الطبري : ج ٦ ص ٣١١ - ٣١٦ . ( ٢ ) في بعض النسخ : أحواله . ( ٣ ) أخرجه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٣١٢ ح ١٦٤٢٢ . ( ٤ ) قرأه الحسن والأعرج . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٦ . ( ٥ ) وهي قراءة الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٦ . ( * )
/ صفحة ٤٧ /

*(٤٨/٢)*

---

وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وءاتوا الزكوا ة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ( ٥ ) وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ( ٦ ) ) * أي : * ( إذا انسلخ الاشهر ) * التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا في الأرض * ( فاقتلوا المشركين ) * فضعوا السيف فيهم حيث كانوا وأين وجدوا ، في حل أو حرم * ( وخذوهم ) * أي : أيسروهم ، والأخيذ : الأسير * ( واحصروهم ) * أي : قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد ، وقيل : حولوا بينهم وبين المسجد الحرام ( ١ ) * ( واقعدوا لهم كل مرصد ) *

أي : كل ممر وطريق ترصدونهم به ، وانتصب ( ٢ ) على الظرف كقوله : * ( لاقعدن لهم صرا طك المستقيم ) * ( ٣ ) ، * ( فخلوا سبيلهم ) * أي : دعوهم يتصرفون في البلاد ، أو : فكوا ( ٤ ) عنهم ولا تتعرضوا لهم ، أو : دعوهم يحجوا ويدخلوا المسجد الحرام * ( إن الله غفور رحيم ) * يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم وغدرهم . * ( أحد ) * مرفوع بفعل الشرط وهو مضمر يفسره الظاهر ، تقديره : وإن استجارك أحد استجارك ، والمعنى : وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لاعهد

بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من القرآن والدين فأمنه * ( حتى يسمع كلم الله ) * ويتدبره ، فإن معظم الأدلة فيه * ( ثم أبلغه مأمنه ) * بعد ذلك ، يعني داره التي يأمن فيها إن لم يسلم ، ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة ، وهذا الحكم

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله ابن عباس على ما حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٤٧ . ( ٢ ) في بعض النسخ : والنصب . ( ٣ ) الأعراف : ١٦ . ( ٤ ) في نسخة : فكفوا . ( * ) / صفحة ٤٨ /



---

ثابت في كل وقت * ( ذلك ) * أي : ذلك الأمر بالإجارة * ( بـ ) * سبب * ( أنهم قوم ) * جهلة * ( لا يعلمون ) * الإيمان فأمنهم حتى يسمعوا ويعلموا . * ( كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عهدتم عند المسجد الحرام فما استقموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ( ٧ ) كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفوا ههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فسقون ( ٨ ) ) * * ( كيف يكون للمشركين عهد ) * صحيح ومحال أن يثبت لهم عهد مع إضمارهم الغدر والنكث ، فلاتطمعوا في ذلك ، ولكن * ( الذين عهدتم ) * منهم * ( عند المسجد الحرام ) * ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ، فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم * ( فما استقموا لكم ) * على العهد * ( فاستقيموا لهم ) * على مثله . * ( كيف ) * تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد ، وحذف الفعل لكونه معلوما ، أي : * ( كيف ) * يكون لهم عهد * ( و ) * حالهم أنهم * ( إن يظهروا عليكم ) * ويظفروا بكم بعد ما سبق لهم من الأيمان والمواثيق * ( لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ) * أي : لا يحفظوا فيكم قرابة ولاعهدا ، قال حسان ( ١ ) : لعمرك إن إلك من قريش * كإل السقب من رأل النعام ( ٢ )

* ( هامش ) * ( ١ ) حسان بن ثابت ، ويكنى أبا الوليد ، أصله من الخزرج ، ولد بالمدينة عام ٥٦٣ م ، كان أشعر أهل المدينة في زمانه وأهم شعراء الدعوة الإسلامية ، فقد مدح الرسول ( صلى الله عليه وآله ) ، ونظم المراثي في شهداء المسلمين ، ونظم أيضا في هجاء الخصوم والمنافقين ،

وكانت أشعاره في هجاء قريش وحدها كثيرة جمعها المدائني في كتاب أسماه : " هجاء حسان لقريش " يقال : توفي وله من العمر مائة وعشرين عاما ، وعدوه من المعمرين . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ص ١٧٠ وما بعده . ( ٢ ) انظر ديوان حسان بن ثابت : ج ١ ص ٣٩٤ . ( * )

(٥٠/٢)

---

/ صفحة ٤٩ / وقيل : إلا : حلفا ( ١ ) ، وقيل : إلا : إلها ( ٢ ) * ( يرضونكم ) * كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الباطن الظاهر ، وإباء القلوب : مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل * ( وأكثرهم فسقون ) * متمردون في الكفر والشرك ، لامروءة تردعهم كما توجد في بعض الكفار من التعفف عما يثلم العرض والتفادي عن النكث . * ( اشتروا بايت الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ( ٩ ) لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ( ١٠ ) فإن تابوا وأقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة فإخوا نكم في الدين ونفصل الايت لقوم يعلمون ( ١١ ) وإن نكثوا أيمنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمن لهم لعلهم ينتهون ( ١٢ ) ألاتقتلون قوما نكثوا أيمنهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ( ١٣ ) ) * استبدلوا * ( بايت الله ) * أي : بالقرآن والإسلام * ( ثمنا قليلا ) * وهو اتباع الأهواء والشهوات * ( فصدوا عن سبيله ) * فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم . و * ( المعتدون ) * المجاوزون الغاية في الظلم والكفر . * ( فإن تابوا ) * عن الكفر ونقض العهد * ( ف ) * هم * ( إخوا نكم ) * حذف المبتدأ * ( ونفصل الايت ) * ونبينها ، وهذا اعتراض ، فكأنه قيل : ومن تأمل تفصيلها فهو العالم . * ( وإن نكثوا ) * أي : نقضوا عهودهم * ( بعد ) * أن عقدوها * ( وطعنوا في

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله قتادة . راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٣٢٦ ح ١٦٥٢٢ . ( ٢ ) قاله سعيد بن جبير ومجاهد وأبو مجلز . راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٣٢٥ ، وتفسير السمرقندي : ج ٢ ص ٣٥ . ( * )

/ صفحة ٥٠ /

(٥١/٢)

---

دينكم ) * وعابوه * ( فقتلوا أئمة الكفر ) * أي : فقاتلوهم ، وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا * ( وأقاموا

الصلوة وءاتوا الزكوة ) * وصاروا إخوانا للمسلمين * ( في الدين ) * ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا مابايعوا عليه من الايمان وطعنوا في دين الله فهم رؤساء الكفر والضلالة والمتقدمون فيه .

وعن حذيفة : لم يأت أهل هذه الآية بعد ( ١ ) . وقرأ علي ( عليه السلام ) هذه الآية يوم الجمل ، ثم قال : " أما والله لقد عهد إلي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وقال لي : يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة " ( ٢ ) .

* ( إنهم لا أيمن لهم ) * أي : لا عهود لهم يعني : لا يحفظونها ، وقرئ بكسر الهمزة ( ٣ ) ، أي : فلا يعطون الأمان بعد النكث والردة ، أو لا إسلام لهم ولا إيمان على الحقيقة ، ولا اعتبار بما أظهروه من الإيمان * ( لعلهم ينتهون ) * يتعلق بـ " قتلوا " أي : ليكن غرضكم في مقاتلتهم أن ينتهوا عما هم عليه ، وهذا من غاية كرمه سبحانه وفضله . * ( ألاتقتلون ) * دخلت الهمزة للتقرير ، ومعناه : الحض على المقاتلة * ( نكثوا أيمنهم ) * التي عقدوها * ( وهموا بإخراج الرسول ) * من مكة حين تشاوروا في أمره حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه * ( وهم بدءوكم ) * بالمقاتلة والبادئ أظلم ، فما يمنعكم أن تقاتلوهم بمثله ؟ ! * ( أتخشونهم ) * تقريع بالخشية منهم وتوبيخ عليها * ( فالله أحق أن تخشوه ) * فقاتلوا أعداءه * ( إن كنتم مؤمنين ) * فإن المؤمن لا يخشى إلا الله .

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٣٣٠ . ( ٢ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٧٨ ح ٢٥ . ( ٣ ) وهي قراءة الحسن وابن عامر . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٨١ . ( * ) / صفحة ٥١ /



---

*( قتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ( ١٤ ) ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشآء والله عليم حكيم ( ١٥ ) أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ( ١٦ ) ) * وبخهم بترك القتال ، ثم أكد ذلك بالأمر بالقتال فقال : * ( قتلوهم ) * ، ثم وعدهم أنه * ( يعذبهم ) * بأيديهم قتلا ، ويخزيهم أسرا ، وينصرهم * ( عليهم ) * ويشفي * ( صدور ) * طائفة من المؤمنين وهم خزاعة ( ١ ) ، وعن ابن عباس : هم بطون من اليمن قدموا مكة وأسلموا فلقوا منهم أذي ، فقال لهم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : " أبشروا فإن الفرج قريب " ( ٢ ) . * ( ويذهب غيظ قلوبهم ) * لما لقوا منهم من المكروه ، وقد أنجز الله هذه المواعيد كلها لهم ، فكان ذلك دليلا على صحة نبوة نبيه ( عليه السلام ) * ( ويتوب الله على من يشآء ) * استئناف كلام ، وفيه إخبار بأن بعض أهل مكة سيتوب عن كفره ، وقد كان ذلك – أيضا – فقد أسلم كثير منهم *

( والله عليم ) * يعلم ماسيكون كما يعلم ما قد كان * ( حكيم ) * لا يفعل إلا ما فيه الحكمة . * ( أم ) * منقطعة وفي الهمزة معنى التوبيخ ، يعني : أنكم لاتتركون على ما أنتم عليه حتى يميز المخلصون منكم وهم ( ٣ ) المجاهدون في سبيل الله لوجه الله * ( ولم يتخذوا . . . وليجة ) * أي : بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم ، و * ( لما ) * معناها التوقع ، ودلت على أن تميز ذلك وإيضاحه متوقع ، وقوله :

* ( هامش ) * ( ١ ) وخزاعة : حي من الأزد ، سموا ذلك لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة وأقامت بها ، وخزع فلان عن أصحابه : أي تخلف . انظر الصحاح : مادة خزع . ( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٥٢ . ( ٣ ) في نسخة زيادة : المهاجرون . ( * )



---

* ( ولم يتخذوا ) * عطف على * ( جهدوا ) * فهو داخل – أيضا – في الصلة ، فكأنه قيل : ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله ، والوليجة : فعيلة من ولج ، كالدخيلة من دخل ، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كما يقال : ما علم الله ما قيل في فلان أي : ما وجد ذلك منه . * ( ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله شهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعملهم وفي النار هم خلدون ( ١٧ ) إنما يعمر مسجد الله من ءامن بالله واليوم الاخر وأقام الصلوة وءاتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ( ١٨ ) ) * * ( ما ) * صح * ( للمشركين ) * وما استقام لهم * ( أن يعمروا مسجد الله ) * يعني : عمارة المسجد الحرام ، وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد ، أو لأنه قبلة المساجد كلها فعامره كعامر جميع المساجد ، أو أريد جنس المساجد فيدخل فيه ما هو صدرها ومقدمها ، وقرئ : " مسجد الله " ( ١ ) ، * ( شهدين ) * حال من الواو في * ( يعمروا ) * ، ومعنى شهادتهم * ( على أنفسهم بالكفر ) * : ظهور كفرهم ، وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وطافوا حول البيت عراة ، وكلما طافوا شوطا سجدوا لها ، وقيل : هو قولهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هولك ، تملكه وما ملك ( ٢ ) . وروي : أن المهاجرين والأنصار عيروا أسارى بدر ، ووبخ علي العباس بقتال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وقطيعة الرحم ، فقال العباس : تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا ؟ فقالوا : أولكم محاسن ؟ قالوا : نعم ، إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ١٨٨ ، وفي تفسير القرطبي : ج ٨ ص ٨٩ : هي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح

ومجاهد وابن محيصن .
( ٢ ) حكاه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٥٣ . ( * )
/ صفحة ٥٣ /



---

الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني ( ١ ) ، فنزلت ( ٢ ) . * ( أولئك حبطت أعملهم ) * التي هي العمارة والسقاية والحجابة وفك العناة . * ( إنما يعمر ) * أي : إنما يستقيم عمارة هؤلاء ، والعمارة تتناول : بناها ورم ماسترم منها ، وكنسها وتنظيفها ، وتنويرها بالمصابيح ، وزيارتها للعبادة والذكر – ومن الذكر درس العلم بل هو أفضله وأجله – وصيانتها من فضول الكلام . وفي الحديث : " يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا ، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا ، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة " ( ٣ ) . * ( ولم يخش إلا الله ) * يعني : الخشية والتقوى في أبواب الدين ، وأن لا يختار على رضاء الله رضاء غيره . * ( أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله واليوم الاخر وجهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظلمين ( ١٩ ) الذين ءامنوا وهاجروا وجهدوا في سبيل الله بأموا لهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ( ٢٠ ) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوا ن وجنت لهم فيها نعيم مقيم ( ٢١ ) خلدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ( ٢٢ ) ) * التقدير : * ( أجعلتم ) * أهل * ( سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله ) * ويعضده قراءة من قرأ : " سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام " ( ٤ ) ، وهو إنكار
* ( هامش ) * ( ١ ) العاني : الأسير . ( القاموس المحيط : مادة عنا ) . ( ٢ ) رواها الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٣٣٦ ح ١٦٥٧٢ . ( ٣ ) الكشاف : ج ٢ ص ٢٥٤ ، ونحوه في مستدرك الحاكم : ج ٤ ص ٣٢٣ . ( ٤ ) وهي قراءة ابي بن كعب وابن الزبير وأبي وجزة السعدي ويزيد بن القعقاع . راجع تفسير البغوي : ج ٢ ص ٢٧٦ ، وتفسير القرطبي : ج ٨ ص ٩١ . ( * )
/ صفحة ٥٤ /



---

تشبيه المشركين بالمسلمين ، وتشبيه أعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم ، وجعلت تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر ، أي : هم * ( أعظم درجة عند الله ) * من غيرهم من المؤمنين

الذين لم يفعلوا هذه الأشياء * ( وأولئك هم الفائزون ) * المختصون بالفوز ، ونكر المبشر به من الرحمة والرضوان والنعيم المقيم ، لوقوع ذلك وراء صفة الواصف وتعريف المعرف . * ( يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءابآءكم وإخوا نكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمن ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظلمون ( ٢٣ ) قل إن كان آآباؤكم وأبناؤكم وإخوا نكم وأزوا جكم وعشيرتكم وأموا ل اقترفتموها وتجرة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفسقين ( ٢٤ ) ) * لما أمر المؤمنون بالهجرة وأرادوا أن يهاجروا ، فمنهم من تعلقت به زوجته ، ومنهم من تعلق به أبواه وأولاده ، فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركونها لأجلهم ، فبين سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب ، وإذا وجب قطع قرابة الوالدين والولد فالأجنبي أولى * ( إن استحبوا الكفر ) * أي : اختاروه * ( على الإيمن ) * . وفي الحديث : " لا يجد أحدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله " ( ١ ) . وقرئ : * ( عشيرتكم ) * على الواحد ( ٢ ) ، * ( فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ) * وعيد ، عن الحسن : بعقوبة عاجلة أو آجلة ( ٣ ) ، وهذه آية شديدة كلف المؤمن

* ( هامش ) * ( ١ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٥٧ مرسلا ، ونحوه البيهقي في السنن : ج ١٠ ص ٢٣٢ . ( ٢ ) الظاهر أن المصنف قد اعتمد قراءة الجمع ، أي بالف بعد الراء هنا . ( ٣ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤١١ . ( * )



---

فيها أن يتجرد من الآباء والأبناء والعشائر وجميع حظوظ الدنيا لأجل الدين . اللهم وفقنا لما يوافق رضاك حتى نحب فيك الأبعدين ونبغض فيك الاقربين . * ( لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ( ٢٥ ) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين ( ٢٦ ) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشآء والله غفور رحيم ( ٢٧ ) ) * * ( مواطن ) * الحرب : مقاماتها ومواقفها ، و * ( حنين ) * : واد بين مكة والطائف ، كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف حضروا فتح مكة وقد انضم إليها من الطلقاء ألفان ، وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف في من انضوى إليهم من أمداد ( ١ ) العرب ، فلما التقوا قال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة ، فساءت مقالته رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقيل : إن قائلها أبو بكر ( ٢ ) وذلك قوله : * ( أعجبتكم كثرتكم ) * فاقتتلوا قتالا شديدا ، وأدركت المسلمين كلمة

الإعجاب بالكثرة فانهزموا حتى بلغ فلهم ( ٣ ) مكة ، وبقي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في مركزه لا يتحلحل ( ٤ ) ، وبقي علي ( عليه السلام ) ومعه الراية يقاتلهم والعباس بن عبد المطلب آخذ بلجام بغلة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عن يمينه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ( ٥ )



---

* ( هامش ) * ( ١ ) بفتح الهمزة بمعنى الجيش والقوت ، وبكسرها بمعنى الإعانة . ( المصباح المنير : مادة مدد ) . ( ٢ ) ذكره الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٥٩ . ( ٣ ) فلهم : انهزامهم . ( القاموس المحيط : مادة فل ) . ( ٤ ) تحلحل عن مكانه : زال . ( القاموس المحيط : مادة حلحل ) . ( ٥ ) هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وأخاه من الرضاعة ، أرضعته حليمة السعدية ، فلما بعث النبي ( صلى الله عليه وآله ) عاداه وهجاه ، وكان شاعرا ، وأسلم عام الفتح هو = ( * )
/ صفحة ٥٦ /



---

عن يساره في تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ( ١ ) ، وقتل يومئذ ، وقال ( عليه السلام ) للعباس – وكان صيتا – : صح بالناس ، فنادى : يا معشر المهاجرين والأنصار ، يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، إلى أين تفرون ؟ هذا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، فكروا وهم يقولون : لبيك لبيك ، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق ، فنظر رسول الله إلى قتال المسلمين فقال : الآن حمي الوطيس ، أنا النبي لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب ، ونزل النصر من عند الله وانهزمت هوازن ( ٢ ) . قوله : * ( بما رحبت ) * : * ( ما ) * مصدرية ، والباء بمعنى " مع " ، أي : مع رحبها ، والجار والمجرور في موضع الحال ، والمعنى : لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه لفرط رعبكم ، فكأنها ضاقت عليكم * ( ثم وليتم مدبرين ) * ثم انهزمتم . * ( ثم أنزل الله سكينته ) * رحمته التي سكنوا بها * ( على رسوله وعلى المؤمنين ) * الذين ثبتوا معه * ( وعذب الذين كفروا ) * بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري وسلب الأموال . * ( ثم يتوب الله ) * أي : يسلم من بعد ذلك ناس منهم ، وقيل : إنه سبي يومئذ ستة آلاف نفس ، وأخذ من الإبل والبقر مالايحصى ( ٣ ) . * ( يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا

المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شآء إن الله عليم حكيم ( ٢٨ ) ) *

(٥٩/٢)

---

* ( هامش ) * = وولده جعفر ، مات في خلافة عمر سنة عشرين وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع . انظر الكنى والألقاب للقمي : ج ١ ص ٨٦ . ( ١ ) هو أيمن بن عبيد بن عمرو بن الخزرج ، وامه ام أيمن بركة مولاة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وكان من المهاجرين الأولين ، هاجر هو وامه ام أيمن مع علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) لما هاجر بالفواطم بأمر رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وكان أحد العشرة الذين ثبتوا يوم حنين وفيها قتل . انظر أعيان الشيعة : ج ٣ ص ٥٢٢ . ( ٢ ) انظر تفسير القمي : ج ١ ص ٢٨٥ – ٢٨٨ . ( ٣ ) قاله سعيد بن المسيب على ما حكاه القرطبي في تفسيره : ج ٨ ص ١٠٢ . ( * )

/ صفحة ٥٧ /

" النجس " مصدر ، ومعناه : ذونجس ، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها ، وعن ابن عباس : أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ( ١ ) ، وعن الحسن : من صافح مشركا توضأ ( ٢ ) . وعن الصادقين ( عليهما السلام ) : " من صافح الكافر ويده رطبة غسل يده ، وإلا مسحها بالحائط " ( ٣ ) . * ( فلا يقربوا المسجد الحرام ) * فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية * ( بعد ) * حج * ( عامهم هذا ) * وهو عام تسع من الهجرة * ( وإن خفتم عيلة ) * أي : فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب * ( فسوف يغنيكم الله من فضله ) * من عطائه وتفضله على وجه آخر ، فأسلم أهل جدة وصنعاء وجرش ( ٤ ) وتبالة ( ٥ ) فحملوا الطعام إلى مكة فكان ذلك أعود عليهم ، وأرسل السماء عليهم مدرارا أكثر بها خيرهم . * ( قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم

(٦٠/٢)

---

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٦١ . ( ٢ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤١٢ . ( ٣ ) كذا في النسخ ، والظاهر هو سهو ، إذ لم نعثر عليه بهذه الألفاظ ولا قريب منها عنهما ( عليهما السلام ) ، ولكن وجدناه قولا منسوبا الى أصحابنا – كما في

مجمع البيان نسبه الى أصحابنا – وليس حديثا مرويا . انظر تهذيب الأحكام : ج ١ ص ٢٦٢ ، ومجمع البيان : ج ٥ – ٦ ص ٢٠ . ( ٤ ) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل : هي مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير أن تبعا خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة فخلف بها جمعا ممن كان صحبه ورأى فيهم ضعفا وقال : اجرشوا هاهنا ، أي : اثيروا فسميت جرش بذلك . انظر معجم البلدان للحموي : ج ٢ ص ٥٩ – ٦١ . ( ٥ ) تبالة : موضع باليمن أيضا ، قال ياقوت : وأسلم أهل تبالة وجرش عن غير حرب ، فأقرها رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب دينارا واشترط عليهم ضيافة المسلمين . انظر المعم : ج ١ ص ٨١٦ . ( * )

/ صفحة ٥٨ /



---

الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صغرون ( ٢٩ ) ) * عن ابن عباس : ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال : من أين تأكلون ؟ فأمرهم الله تعالى بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم بالجزية وبفتح البلاد والغنائم ( ١ ) * ( من الذين أوتوا الكتب ) * بيان لـ * ( الذين ) * مع ما في حيزه ، نفي عن اليهود والنصارى الإيمان بالله ، لأنهم أضافوا إليه مالا يليق به ، ونفي عنهم الإيمان * ( باليوم الاخر ) * لأنهم في ذلك على خلاف ما ينبغي ، ونفي عنهم تحريم * ( ما حرم الله ورسوله ) * لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة .

وسميت الجزية جزية لأنها قطعة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه * ( عن يد ) * : إما أن يراد يد المعطي ، أو يد الاخذ ، فمعناه على الأول : * ( حتى يعطو ) * ها عن يد مؤاتية غير ممتنعة ، كما يقال : أعطى بيده : إذا أصحب وانقاد ، أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة ولامبعوثا على يد أحد . ومعناه على إرادة يد الآخذ : حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم * ( وهم صغرون ) * أي : تؤخذ منهم الجزية على الصغار والذل ، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ، ويسلمها وهو قائم والآخذ جالس ، وأن يؤخذ بتلبيبه ( ٢ ) ويقال له : أدها . * ( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصرى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفوا ههم يضهون قول الذين كفروا من قبل قتلهم الله أنى

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٣٤٦ ح ١٦٦١٢ . ( ٢ ) لببت الرجل تلبيبا : إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحوه في الخصومة ثم جررته . ( الصحاح : مادة لبب )

( * ) .
/ صفحة ٥٩ /

(٦٢/٢)

---

يؤفكون ( ٣٠ ) اتخذوا أحبارهم ورهبنهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها وا حدا لا إله إلا هو سبحنه عما يشركون ( ٣١ ) يريدون أن يطفوا نور الله بأفوا ههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكفرون ( ٣٢ ) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ( ٣٣ ) ) * * ( عزير ابن الله ) * مبتدأ وخبر ، وهو اسم أعجمي ، ولعجمته وتعريفه امتنع من الصرف ، ومن نونه جعله عربيا ، وإنما قال ذلك جماعة من اليهود ولم يقله كلهم * ( ذلك قولهم بأفوا ههم ) * معناه : أنهم اخترعوه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ، ومالهم به حجة * ( يضهون قول الذين كفروا ) * أي : يضاهي قولهم قولهم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، والمعنى : أن الذين كانوا في عهد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم ، يريد أنه كفر قديم فيهم ، أو : يضاهي قولهم قول المشركين : " إن الملائكة بنات الله " ، وقرئ : * ( يضهون ) * بالهمزة من قولهم : امرأة ضهيأ على فعيل ، وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض * ( قتلهم الله ) * أي : لعنهم * ( أنى يؤفكون ) * كيف يصرفون عن الحق . * ( اتخذوا أحبارهم ورهبنهم أربابا ) * بأن أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ماحلله ، كما يطاع الأرباب في أوامرهم * ( والمسيح ابن مريم ) * أهلوه للعبادة حين جعلوه ابنا لله * ( وما أمروا إلا ليعبدوا إلها وا حدا ) * أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في التوراة والإنجيل * ( سبحنه ) * تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له . * ( يريدون أن يطفوا نور الله بأفوا ههم ) * مثل سبحانه حالهم في طلبهم إبطال

(٦٣/٢)

---

/ صفحة ٦٠ / نبوة محمد ( صلى الله عليه وآله ) بتكذيبه بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ، يريد الله أن يبلغه الغاية القصوى من الإضاءة والإنارة ليطفئه بنفخه * ( ليظهره ) * أي : ليظهر الرسول على أهل الأديان كلهم ، أو ليظهر دين الحق على كل دين ، وقد أجرى " أبى " مجرى لم يرد ، ولذلك قابل * ( يريدون أن يطفوا ) * بقوله : * ( ويأبى الله ) * فكأنه قال : ولا يريد الله إلا أن يتم نوره . * ( يأيها الذين ءامنوا إن كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموا ل الناس بالبطل

ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ( ٣٤ ) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ( ٣٥ ) * أكل المال * ( بالباطل ) * : عبارة عن أخذه وتناوله من الجهة التي يحرم منها أخذه ، والمعنى : أنهم كانوا يأخذون الرشا في الاحكام وفي تخفيف الشرائع عن عوامهم * ( والذين يكنزون ) * يحتمل أن يكون إشارة إلى الكثير من الاحبار والرهبان ، ويحتمل أن يكون المراد به المسلمين الكانزين غير المنفقين ، قرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى ، وعنى بترك الإنفاق في سبيل الله : منع الزكاة . وفي الحديث : " ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا ، وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا " ( ١ ) . * ( ولا ينفقونها ) * الضمير يرجع إلى المعنى ، لأن كل واحد من الذهب والفضة

* ( هامش ) * ( ١ ) رواه الشيخ الطوسي في أماليه : ج ٢ ص ١٣٣ باسناده عن الرضا عن آبائه ( عليهم السلام ) عنه ( صلى الله عليه وآله ) . ( * )

/ صفحة ٦١ /



---

جملة وافية : دنانير ودراهم ، فهو كقوله : * ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ) * ( ١ ) وقيل : معناه : ولا ينفقونها والذهب ( ٢ ) ، كما أن معنى قوله : فإني وقيار بها لغريب ( ٣ ) وقيار كذلك ، وإنما خص الذهب والفضة من بين الأموال بالذكر لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ، ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته . * ( يوم يحمى عليها في نار جهنم ) * أي : يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة حتى تصير نارا * ( فتكوى بها ) * أي : بتلك الكنوز المحماة * ( جباههم وجنوبهم وظهورهم ) * خصت هذه الأعضاء لأنهم لم يطلبوا بترك الإنفاق إلا الأغراض الدنيوية : من وجاهة عند الناس وأن يكون ماء وجوههم مصونا ، ومن أكل الطيبات يتضلعون منها فينفخون جنوبهم ، ومن لبس ثياب ناعمة يطرحونها على ظهورهم ، وقيل : لأنهم كانوا يعبسون وجوههم للفقير ويولونه جنوبهم في المجالس وظهورهم ( ٤ ) * ( هذا ما كنزتم ) * على إرادة القول * ( لانفسكم ) * لانتفاع أنفسكم * ( فذوقوا ) * وبال الذي * ( كنتم تكنزون ) * - هـ ، أو وبال كونكم كانزين . * ( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كآفة كما يقتلونكم كآفة واعلموا

* ( هامش ) * ( ١ ) الحجرات : ٩ . ( ٢ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٢ ص ٤٤٥ . ( ٣ ) وصدره : ومن يك أمسى بالمدينة رحله . وقائله ضابئ بن الحارث البرجمي ، أنشده في حبس عثمان بن عفان ، وكان يريد أن يفتك بعثمان فحبسه ولم يزل فيه الى أن مات . راجع الكامل للمبرد

: ج ١ ص ٣٢٠ . ( ٤ ) قاله أبو بكر الوراق كما حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٢٨٩ .
( * )
/ صفحة ٦٢ /



---

أن الله مع المتقين ( ٣٦ ) ) * * ( في كتب الله ) * أي : في اللوح المحفوظ ، أو في القرآن ، أو فيما أثبته من حكمه ورآه حكمة وصوابا * ( منهآ أربعة حرم ) * ثلاثة سرد : ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب ، ومنه قوله صلوات الله عليه في خطبته في حجة الوداع : " ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة : اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم " ( ١ ) . والمعنى : رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه ، وعاد الحج في ذي الحجة ، وبطل النسئ الذي كان في الجاهلية * ( ذلك الدين القيم ) * يعني : أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم : دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ، ويحرمون القتال فيها ، حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه ( ٢ ) لم يهجه ، وسموا رجبا : الأصم ( ٣ ) ومنصل الأسنة ( ٤ ) حتى أحدثوا النسئ فغيروا ، وقيل : ذلك الحساب القيم لا ما أحدثوه من النسئ ( ٥ ) * ( فلا تظلموا فيهن أنفسكم ) * بأن تجعلوا حرامها حلالا * ( كآفة ) * حال من الفاعل أو المفعول * ( مع المتقين ) * أي : ناصرهم ، حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها . * ( إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما

* ( هامش ) * ( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام : ج ٤ ص ٢٥١ ، السيرة الحلبية للحلبي الشافعي : ج ٣ ص ٢٥٦ ، الكشاف : ج ٢ ص ٢٦٩ ، تفسير البغوي : ج ٢ ص ٢٩٠ ، تفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٣٣ . ( ٢ ) في نسخة زيادة : وأخيه . ( ٣ ) قال الفيومي : إنما سمي شهر رجب بالأصم لأنه كان لا يسمع فيه حركة قتال ولانداء مستغيث . المصباح المنير : مادة " صمت " . ( ٤ ) وقال : المنصل من أنصله ، أي نزع نصله ، والمراد : أن شهر رجب حيث إنهم لا يقاتلون فيه فكأنه هو الذي نزع نصل الأسنة . انظر المصدر نفسه : مادة نصل . ( ٥ ) قاله ابن قتيبة . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٣٦٠ . ( * )



---

/ صفحة ٦٣ /

ويحرمونه عاما ليواطوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعملهم والله لا يهدي القوم الكفرين ( ٣٧ ) * * ( النسئ ) * تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب ، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة ، فكانوا يحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر ، وذلك قوله : * ( ليواطوا عدة ما حرم الله ) * أي : ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها ، وقد خالفوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، وربما زادوا في عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا ليتسع لهم الوقت ، ولذلك قال : * ( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ) * يعني : من غير زيادة زادوها ، والضمير في * ( يحلونه ) * و * ( يحرمونه ) * لـ * ( النسئ ) * أي : إذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرم * ( عاما ) * رجعوا فحرموه في العام القابل ، وقرئ : * ( يضل ) * على البناء للمفعول ، وقرئ : " يضل " ( ١ ) على أن الفعل لله تعالى ، " ويضل " قراءة الأكثرين ( ٢ ) ، وقرئ : " النسي " بالتشديد ( ٣ ) ، وهو تخفيف الهمزة في " النسئ " ، وعن الصادق ( عليه السلام ) : " النسي " ( ٤ ) على وزن الهدي ، وهو على إبدال الياء من الهمزة ، وهو مصدر نسأه : إذا أخره ، يقال : نسأه نسئا ونسيئا نحو مسه مسا ومسيسا * ( فيحلوا ما حرم الله ) * معناه : فيحلوا بمواطأة العدة وحدها * ( ما حرم الله ) *

*(٦٧/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه ابن مسعود في رواية والحسن والأعمش وأبو عمرو ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون وأبو رجاء ويعقوب . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٣٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٤٠ . ( ٢ ) وهي قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر . انظر تفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٣٩ . ( ٣ ) قرأه أبو جعفر وابن فرج عن البزي والزهري وحميد وورش عن نافع والحلواني . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٣٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٣٩ . ( ٤ ) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط : ج ٥ ص ٣٩ . ( * )

/ صفحة ٦٤ /

*(٦٨/٢)*

---

من القتال * ( زين لهم سوء أعملهم ) * خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة * ( والله لا يهدي ) * أي : لا يلطف بهم بل يخذلهم . * ( يأيها الذين ءامنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في

سبيل الله اثاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متع الحيوة الدنيا في الاخرة إلا قليل ( ٣٨ ) إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شئ قدير ( ٣٩ ) ) * أصله : تثاقلتم ، فأدغمت التاء في الثاء ثم أدخلت همزة الوصل ، أي : تباطأتم ، وضمن معنى الميل فعدي بـ " إلى " ، والمعنى : ملتم إلى الدنيا ولذاتها ، وكرهتم مشاق السفر ، ونحوه : * ( أخلد إلى الارض واتبع هوبه ) * ( ١ ) ، وقيل : ملتم إلى الاقامة بأرضكم وديياركم ( ٢ ) ، وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف ، استنفروا في وقت قحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق ذلك عليهم ، وقيل : إنه صلوات الله عليه ما خرج في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ، ليستعد الناس تمام العدة ( ٣ ) . * ( من الاخرة ) * بدل الآخرة ، ونحوه : * ( لجعلنا منكم ملئكة ) * ( ٤ ) ، * ( فما متع الحيوة الدنيا في ) * جنب * ( الاخرة إلا قليل ) * . * ( إلا تنفروا ) * سخط عظيم على المتثاقلين ، حيث هددهم بعذاب عظيم مطلق يتناول عذاب الدارين ، وأنه يهلكهم * ( ويستبدل ) * بهم * ( قوما ) * آخرين خيرا

* ( هامش ) * ( ١ ) الأعراف : ١٧٦ . ( ٢ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٢ ص ٤٤٧ . ( ٣ ) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية : ج ٤ ص ١٥٩ عن الزهري ويزيد بن رومان و عبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم . ( ٤ ) الزخرف : ٦٠ . ( * )



---

منهم وأطوع ، وأنه غني عنهم في نصرة دينه ، لا يؤثر تثاقلهم فيها * ( شيا ) * ، وقيل : الضمير للنبي ( صلى الله عليه وآله ) ( ١ ) ، أي : * ( لاتضروه شيا ) * لان الله وعد أن يعصمه من الناس ولا يخذله بل ينصره ، ووعد الله كائن لا محالة . * ( إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ( ٤٠ ) ) * أي : إن تركتم نصرته فإن الله قد أوجب له النصرة ، وجعله منصورا حين لم يكن معه إلا رجل واحد ، فلن يخذله من بعد * ( إذ أخرجه الذين كفروا ) * أسند الإخراج إلى الكفار كما في قوله : * ( من قريتك التي أخرجتك ) * ( ٢ ) ، لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج عنهم ، فكأنهم أخرجوه * ( ثانى اثنين ) * أحد اثنين كقوله : * ( ثالث ثلثة ) * ( ٣ ) ، وهما رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وأبو بكر ، وانتصابه على الحال ، و * ( إذ هما ) * بدل من * ( إذ أخرجه ) * ، و * ( إذ يقول ) * بدل ثان ، و * ( الغار ) * : الثقب العظيم في الجبل ، وهو هاهنا غار ثور ، جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة * ( لا تحزن ) * أي : لا تخف * ( إن الله معنا ) *

مطلع علينا وعالم بحالنا يحفظنا وينصرنا ، ولما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله ، والعنكبوت يحفظنا وينصرنا ، ولما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله ، والعنكبوت فنسجت عليه ، وقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : " اللهم أعم أبصارهم " ، فجعلوا يترددون حول الغار ولايفطنون ، أخذ الله بأبصارهم عنه * ( فأنزل الله سكينته عليه ) * قرأ الصادق ( عليه السلام ) : " على رسوله " ( ٤ ) ، وسكينته : ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن



---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٢ ص ٤٤٨ . ( ٢ ) محمد : ١٣ . ( ٣ ) المائدة : ٧٣ . ( ٤ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٨٨ - ٨٩ ح ٥٨ وفيه : عن أبي جعفر ( عليه السلام ) . ( * )

/ صفحة ٦٦ /

إليها ، وأيقن أنهم لا يصلون إليه ، والجنود : الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين أو ذلك اليوم صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه ، و * ( كلمة الذين كفروا ) * دعوتهم إلى الكفر * ( وكلمة الله ) * دعوته إلى الإسلام ، وقرئ : " وكلمة الله " بالنصب ( ١ ) ، و * ( هي ) * فصل ، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو ، وأنها المختصة به دون سائر الكلم . * ( انفروا خفافا وثقالا وجهدوا بأموا لكم وأنفسكم في سبيل الله ذا لكم خير لكم إن كنتم تعلمون ( ٤١ ) لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكذبون ( ٤٢ ) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذبين ( ٤٣ ) ) * * ( خفافا ) * في النفور لنشاطكم له * ( وثقالا ) * عنه لمشقته عليكم ، أو * ( خفافا ) * من السلاح * ( وثقالا ) * منه ، أو * ( خفافا ) * لقلة عيالكم * ( وثقالا ) * لكثرته ، أو ركبانا ومشاة ، أو شبابا وشيوخا ، أو صحاحا ومراضا . عن ابن عباس : نسخت بقوله : * ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ) * ( ٢ ) ( ٣ ) ، * ( وجهدوا بأموا لكم وأنفسكم ) * إيجاب للجهاد بهما إن أمكن ، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة . والعرض : ما عرض لك من منافع الدنيا ، والمعنى : * ( لو كان ) * ما دعوا إليه غنما * ( قريبا وسفرا قاصدا ) * أي : وسطا مقاربا * ( لاتبعوك ) * ، و * ( الشقة ) * : المسافة الشاقة ، وسيحلف المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك * ( بالله ) * يقولون :



---

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة الحسن وأبي مجلز والأعمش ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٢٢١ ، وشواذ القرآن لابن خالويه : ص ٥٧ . ( ٢ ) التوبة : ٩١ . ( ٣ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٧٣ . ( * )

/ صفحة ٦٧ /

* ( لو استطعنا ) * ، وقوله : * ( لخرجنا ) * سد مسد جواب * ( لو ) * وجواب القسم جميعا ، والإخبار بما سوف يكون بعد قفوله من خلفهم ( ١ ) واعتذارهم ، وقد كان من جملة المعجزات ، والمراد بـ * ( لو استطعنا ) * : استطاعة العدة ، أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا * ( يهلكون أنفسهم ) * بدل من * ( سيحلفون ) * ، أو حال بمعنى : مهلكين ، أي : يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب . * ( عفا الله عنك ) * هذا من لطيف المعاتبة ، بدأه بالعفو قبل العتاب ، ويجوز العتاب من الله فيما غيره منه أولى ، لاسيما للأنبياء ، ولا يصح ما قاله جار الله : إن * ( عفا الله عنك ) * كناية عن الجناية ( ٢ ) ، حاشا سيد الأنبياء وخير بني حواء من أن ينسب إليه جناية ( ٣ ) . * ( لا يستذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر أن يجهدوا بأموا لهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ( ٤٤ ) إنما يستذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ( ٤٥ ) ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القعدين ( ٤٦ ) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولاوضعوا خللكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظلمين ( ٤٧ ) لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور



---

* ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : حلفهم بالحاء . ( ٢ ) الكشاف : ج ٢ ص ٢٧٤ . ( ٣ ) قال العلامة الطباطبائي : والآية في مقام دعوى ظهور كذبهم ونفاقهم وأنهم مفتضحون بأدنى امتحان يمتحنون به ، ومن مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب الى المخاطب وتوبيخه والإنكار عليه كأنه هو الذي ستر عليهم فضائح أعمالهم وسوء سريرتهم ، وهو نوع من العناية الكلامية يتبين به ظهور الأمر ووضوحه لايراد أزيد من ذلك ، فهو من أقسام البيان على طريق : إياك أعني واسمعي يا جارة ، فالمراد بالكلام إظهار هذه الدعوى لا الكشف عن تقصير النبي ( صلى الله عليه وآله ) وسوء تدبيره في إحياء أمر الله . انظر تفسير الميزان : ج ٩ ص ٢٨٥ . ( * )

/ صفحة ٦٨ /



---

حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كرهون ( ٤٨ ) ) * أي : ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في * ( أن يجهدوا ) * ، أو كراهة أن يجاهدوا . * ( إنما يستذنك ) * المنافقون * ( يترددون ) * عبارة عن التحير ، لأن التردد صفة المتحير كما أن الثبات صفة المستبصر . * ( ولكن كره الله انبعاثهم ) * خروجهم إلى الغزو لعلمه بأنهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة من المسلمين * ( فثبطهم ) * أي : بطأ بهم وكسلهم وخذلهم لما علم منهم من الفساد ، وإنما وقع الاستدراك بـ * ( لكن ) * لأن قوله : * ( ولو أرادوا الخروج ) * يعطي معنى النفي ، فكأنه قيل : لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج ، لأن الله كره انبعاثهم فضعف رغبتهم في الانبعاث * ( وقيل اقعدوا مع ) * النساء والصبيان ، وهو إذن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لهم في القعود ، وفي هذا دلالة على أن إذنه ( عليه السلام ) لهم غير قبيح وإن كان الاولى أن لا يأذن ليظهر للناس نفاقهم . ثم بين سبحانه وجه الحكمة في تثبيطهم عن الخروج فقال : * ( لو خرجوا فيكم ) * أي : لو خرج هؤلاء معكم إلى الجهاد * ( ما زادوكم ) * بخروجهم * ( إلا خبالا ) * أي : فسادا وشرا ، وتقديره : ما زادوكم شيئا إلا خبالا * ( ولاوضعوا خللكم ) * أي : ولسعوا بينكم بالتضريب ( ١ ) والنمائم وإفساد ذات البين ، يقال : وضع البعير وضعا : إذا أسرع ، وأوضعته أنا ، والمعنى : ولاوضعوا ركائبهم بينكم ، والمراد : الإسراع بالفساد ، لأن الراكب أسرع من الماشي * ( يبغونكم الفتنة ) * أي : يحاولون ( ٢ ) أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ، ويفسدوا نياتكم في غزواتكم * ( وفيكم سمعون لهم ) * أي : عيون نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم ، أو : فيكم قوم يسمعون قول المنافقين ويقبلونه ويطيعونهم ، يريد من كان ضعيف الإيمان من

* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة : بالتفريق . ( ٢ ) في بعض النسخ : يجادلون بالجيم . ( * ) / صفحة ٦٩ /



---

جملة المسلمين * ( والله عليم بالظالمين ) * المصرين على الفساد . * ( لقد ابتغوا الفتنة من قبل ) * الفتنة : اسم يقع على كل شر وفساد ، أي : نصبوا لك الغوائل وسعوا في تشتيت شملك ، وعن سعيد بن جبير : وقفوا لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في غزوة تبوك على الثنية ( ١ ) ليلة العقبة ليفتكوا به وهم اثنا عشر رجلا * ( وقلبوا لك الامور ) * أي : ودبروا لك الحيل والمكائد ، واحتالوا في إبطال أمرك * ( حتى جاء الحق ) * وهو تأييدك ونصرتك * ( وظهر أمر الله ) * وغلب دينه وعلا أهله * ( وهم كرهون ) * في موضع الحال . * ( ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكفرين ( ٤٩ ) إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ( ٥٠ ) قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا

هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ( ٥١ ) قل هل تربصون بنآ إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون ( ٥٢ ) ) * ومن هؤلاء المنافقين * ( من يقول ائذن لى ) * في القعود عن الجهاد * ( ولا تفتني ) * ولاتوقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي ، فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت ، وقيل : هو الجد بن قيس ( ٢ ) ، قال : قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلاتفتني ببنات الأصفر ، يعني : نساء الروم ، ولكني أعينك بمال فاتركني ( ٣ ) * ( ألا في الفتنة سقطوا ) * أي : إن الفتنة هي التي سقطوا فيها ، وهي فتنة



---

* ( هامش ) * ( ١ ) الثنية : طريق العقبة . ( الصحاح : مادة ثنى ) . ( ٢ ) هو جد بن قيس بن صخر بن خنساء الأنصاري ، كان من المنافقين ، تخلف عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عند بيعة الرضوان . راجع امتاع الأسماء للمقريزي : ج ١ ص ٤٤٧ . ( ٣ ) قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة . راجع تفسير ابن عباس : ص ١٥٩ ، وتفسير الطبري : ج ٦ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ . ( * )

/ صفحة ٧٠ /

التخلف * ( وإن جهنم لمحيطة بالكفرين ) * أي : بهم يوم القيامة ، أو محيطة بهم الآن ، لأن أسباب إحاطتها بهم معهم ، فكأنهم في وسطها . * ( إن تصبك ) * في بعض غزواتك * ( حسنة ) * أي : ظفر وغنم ونعمة من الله * ( تسؤهم وإن تصبك مصيبة ) * شدة وبلية ونكبة ، نحو ماكان يوم أحد * ( يقولوا قد أخذنا أمرنا ) * الذي نحن متسمون به من الحذر والعمل بالحزم * ( من قبل ) * ما وقع هذا البلاء ، وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له * ( وهم فرحون ) * مسرورون . وقرأ عبد الله : " هل يصيبنا " ( ١ ) ، واللام في قوله : * ( ماكتب الله لنا ) * للاختصاص ، أي : * ( لن يصيبنا إلا ما ) * اختصنا الله بإثباته وإيجابه : من النصرة أو الشهادة ، و * ( هو مولينا ) * يتولانا ونتولاه * ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) * أي : وحق المومنين أن لايتوكلوا على غير الله تعالى فليفعلوا ما هو حقهم . * ( قل هل تربصون بنآ ) * هل تتوقعون * ( إلا إحدى الحسنيين ) * أي : إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب ، وهما : النصرة والشهادة * ( ونحن نتربص بكم ) * إحدى السوأتين من العواقب ، وإنهما : * ( أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ) * أي : من السماء كما نزل على عاد وثمود * ( أو ) * بعذاب * ( بأيدينا ) * وهو القتل على الكفر * ( فتربصوا ) * بنا ما ذكرنا من عواقبنا * ( إنا معكم متربصون ) * فلابد أن يلقى كلنا مايتربصه لا يتجاوزه . * ( قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم

كنتم قوما فسقين ( ٥٣ ) وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم

* ( هامش ) * ( ١ ) ذكره الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٧٨ . ( * )

/ صفحة ٧١ /

كارهون ( ٥٤ ) فلا تعجبك أموا لهم ولا أولدهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيواة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كفرون ( ٥٥ ) ) * * ( طوعا أو كرها ) * حال ، أي : طائعين أو مكرهين ، وهو أمر في معنى الخبر ، والمعنى : * ( لن يتقبل منكم ) * ما أنفقتم طوعا أو كرها ، ونحوه قوله : * ( استغفر لهم أولا تستغفر لهم ) * ( ١ ) وقول كثير ( ٢ ) : أسيئي بنا أو أحسني لاملومة * لدينا ولا مقلية إن تقلت ( ٣ ) أي : لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم ، ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت ، وإنما يجوز هذا إذا دل الكلام عليه ، كما جاز عكسه في قولك : رحم الله زيدا ، أو الله غفر له * ( إنكم كنتم قوما فسقين ) * تعليل لرد إنفاقهم . * ( أنهم كفروا ) * فاعل " منع " ، أي : لم يمنع المنافقين قبول نفقاتهم إلا كفرهم * ( بالله وبرسوله ) * ، وقرئ : * ( تقبل ) * بالتاء والياء ( ٤ ) ، والإعجاب بالشئ أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه ، والمعنى : فلا تستحسن ماأوتوا من زينة الدنيا ، فإن الله أعطاهم ذلك للعذاب ، بأن عرضه للغنائم والسبي وبلاهم فيه



* ( هامش ) * ( ١ ) التوبة : ٨٠ . ( ٢ ) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، شاعر مشهور من أهل الحجاز ، وصاحبته عزة وإليها ينسب ، وكان عفيفا ، قال ابن قتيبة : وكان رافضيا ، وقال لما حضرته الوفاة : برئت الى الإله من ابن أروى * ومن دين الخوارج أجمعينا ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعي أمير المؤمنينا راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة : ص ٣١٦ – ٣٢٩ . ( ٣ ) وهي من قصيدة يجيب فيها عزة لما سمعها تسبه حين أرغمها زوجها على ذلك ، وهي من منتخبات قصائده ، والتزم فيها مالا يلزم الشاعر ، وذلك اللام قبل حرف الروى ، اقتدارا في الكلام وقوة في الصناعة . راجع ديوان كثير عزة : ص ٥٧ . ( ٤ ) وبالياء قرأه حمزة والكسائي وزيد بن علي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣١٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج

٥ ص ٥٣ . ( * )
/ صفحة ٧٢ /

(٧٨/٢)

---

بالآفات والمصائب ، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير * ( وهم كرهون ) * على رغم أنوفهم ، وأذاقهم أنواع الكلف في جمع الأموال وتربية الأولاد . وقوله : * ( وتزهق أنفسهم وهم كفرون ) * مثل قوله : * ( إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ) * ( ١ ) ومعناه : الاستدراج بالنعم ، أي : و * ( يريد ) * أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا * ( وهم كفرون ) * مشتغلون بالتمتع عن النظر للعاقبة . * ( ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ( ٥٦ ) لو يجدون ملجا أو مغرا ت أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ( ٥٧ ) ومنهم من يلمزك في الصدقت فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منهآ إذا هم يسخطون ( ٥٨ ) ولو أنهم رضوا مآءاتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنآ إلى الله را غبون ( ٥٩ ) ) * * ( لمنكم ) * أي : من جملة المسلمين * ( يفرقون ) * يخافون القتل والأسر فيتظاهرون بالإسلام تقية . * ( لو يجدون ) * مكانا يلجؤون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة * ( أو مغرا ت ) * أي : غيرانا * ( أو مدخلا ) * وهو : مفتعل من الدخول ، وأصله : " مدتخلا " يبدل التاء بعد الدال دالا ، وقرئ : " مدخلا " ( ٢ ) أي : موضع دخول يأوون إليه ونفقا ينجحرون فيه * ( لولوا إليه وهم يجمحون ) * يسرعون إسراعا لا يردهم شئ ، من الفرس الجموح . * ( ومنهم من يلمزك ) * أي : يعيبك * ( في ) * قسمة * ( الصدقت ) * ويطعن عليك ، ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين ، و * ( إذا ) * للمفاجأة ، أي : ف * ( - إن لم يعطوا منهآ ) * فاجأوا السخط .

* ( هامش ) * ( ١ ) آل عمران : ١٧٨ . ( ٢ ) وهي قراءة الحسن وابن أبي إسحاق ومسلمة بن محارب وابن محيصن ويعقوب وابن كثير بخلاف عنه . راجع التبيان : ج ٥ ص ٢٤٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٥٥ . ( * )
/ صفحة ٧٣ /

(٧٩/٢)

---

* ( ولو أنهم رضوا ) * جواب * ( لو ) * محذوف ، تقديره : ولو أنهم رضوا * ( مآ ) * أعطاهم * ( الله ورسوله ) * من الغنيمة والصدقة وطابت به نفوسهم * ( وقالوا ) * مع ذلك : * ( حسبنا

الله ) * سيعطينا * ( الله من فضله ) * وإنعامه * ( ورسوله إنآ إلى الله ) * في أن يوسع علينا من فضله لـ * ( را غبون ) * لكان خيرا لهم . * ( إنما الصدقت للفقراء والمسكين والعملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ( ٦٠ ) ) * * ( إنما ) * لقصر * ( الصدقت ) * على هذه الأصناف الثمانية ، وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها ، ونحوه : إنما السخاء لحاتم ، أي : ليس لغيره ، ويحتمل أن تصرف إلى بعضها ، وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة أنهم قالوا : في أي صنف منها وضعتها أجزأك ( ١ ) ، وهو مذهبنا ( ٢ ) ، و " الفقراء " هم : المتعففون الذين لا يسألون * ( والمسكين ) * الذين يسألون ، وقيل بالعكس ( ٣ ) ، والأول أصح ، وقيل : الفقير : الذي لا شئ له ، والمسكين : الذي له بلغة من العيش لاتكفيه ( ٤ ) ، وقيل بالعكس ( ٥ ) ، * ( والعملين عليها ) * هم السعاة الذين يقبضونها



---

* ( هامش ) * ( ١ ) انظر تفسير الطبري : ج ٦ ص ٤٠٤ ح ١٦٩٠٢ و ١٦٩٠٣ و ١٦٩٠٧ ، وتفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٦٨ وزاد : وقال به من التابعين جماعة . ( ٢ ) راجع الخلاف للشيخ الطوسي : ج ٢ ص ١٥٤ مسألة ١٩٦ . ( ٣ ) رواه أبو هريرة عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) . راجع التبيان : ج ٥ ص ٢٤٣ . ( ٤ ) وهو قول الشيخ الطوسي وابن البراج وابن حمزة وابن إدريس ، وبه قال الأصمعي وأحمد ابن حنبل وأحد قولي الشافعي وأكثر أصحابه وأحمد بن عبيد وحكاه الطحاوي عن الكوفيين . انظر الجمل والعقود للشيخ الطوسي : ص ١٠٣ ، ومختلف الشيعة للعلامة : ج ٣ ص ١٩٨ ، وتفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٦٩ . ( ٥ ) وهو قول الشيخ المفيد وابن الجنيد وسلار ، وبه قال أبو حنيفة ويونس بن حبيب وابن = ( * )
/ صفحة ٧٤ /



---

* ( والمؤلفة قلوبهم ) * أشراف من العرب كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يتألفهم على أن يسلموا فيرضخ ( ١ ) لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة ، و * ( الرقاب ) * المكاتبون يعانون منها في فك رقابهم من الرق ، والعبيد إذا كانوا في شدة يشترون ويعتقون ويكون ولاؤهم لأرباب الزكاة * ( والغرمين ) * وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا إسراف * ( وفي

سبيل الله ) * وهو الجهاد وجميع مصالح المسلمين * ( وابن السبيل ) * وهو المسافر المنقطع به عن ماله فهو فقير حيث هو ، غني حيث ماله * ( فريضة ) * في معنى المصدر المؤكد ، لأن قوله : * ( إنما الصدقت للفقراء ) * معناه : فرض الله الصدقات لهم ، وإنما عدل عن " اللام " إلى " في " في الأربعة الأخيرة ليدل على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات ممن سبق ذكره ، لأن " في " للوعاء . وإنما وقعت الآية في أثناء ذكر المنافقين لتدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة ، على أن أهل النفاق ليسوا من مستحقيها ، وأنهم بعداء من مصارفها ، فما لهم وللتكلم فيها ولمن قاسمها ؟ ! * ( ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين ءامنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ( ٦١ ) يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ( ٦٢ ) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خلدا فيها ذلك الخزى العظيم ( ٦٣ ) ) * الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد ، سمي بالعضو

* ( هامش ) * = السكيت وابن قتيبة والقتبي . انظر المقنعة للشيخ المفيد : ص ٢٤١ ، ومختلف الشيعة للعلامة : ج ٣ ص ١٩٨ عن ابن الجنيد ، وتفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٦٨ . ( ١ ) الرضخ : العطاء ليس بالكثير . ( الصحاح : مادة رضخ ) . ( * )



---

الذي هو آلة السماع ، كأن جملته أذن سامعة كما سموا الربيئة ( ١ ) بالعين ، و * ( أذن خير ) * كقولك : رجل صدق ، تريد الجودة والصلاح ، كأنه سبحانه قال : * ( قل ) * نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ، أو يريد : هو أذن في الخير وفيما يجب سماعه ، وليس بأذن في غير ذلك ، ويدل عليه قراءة حمزة : " ورحمة " ( ٢ ) بالجر عطفا عليه ، أي : هو أذن خير لكم ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله . ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق * ( بالله ) * ويقبل من * ( المؤمنين ) * ويصدقهم فيما يخبرونه به ، ولهذا عدي الأول بالباء والثاني باللام ، كما في قوله : * ( وما أنت بمؤمن لنا ) * ( ٣ ) ، * ( و ) * هو * ( رحمة ) * لمن آمن * ( منكم ) * أي : أظهر الإيمان أيها المنافقون ، حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم ولايفضحكم مراعاة لما رأى الله سبحانه من المصلحة في الإبقاء عليكم ، فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء ، فسلم لهم قولهم فيه ، إلا أنه فسر بما هو مدح له وإن كانوا قصدوا به المذمة ، وأنه من أهل سلامة القلب . وروي : أن جماعة ذموه وبلغه ذلك ، فقال بعضهم : لا عليكم ، فإنما هو أذن سامعة ، يسمع كلام المبلغ ونحن نأتيه فنعتذر إليه فيسمع عذرنا أيضا ( ٤ ) . وقرئ : " أذن خير لكم " ( ٥ ) وهو خبر مبتدأ

محذوف ، و " خير " مثله ، أي : هو أذن ، هو خير لكم ، يعني : إن كان كما تقولون فهو خير لكم ، لأنه يقبل عذركم

* ( هامش ) * ( ١ ) ربأهم ولهم : صار ربيئة لهم أي طليعة ، وطليعة الجيش : من يبعث ليطلع طلع العدو . ( الصحاح : مادة ربأ ) . ( ٢ ) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي : ج ١ ص ٥٠٣ . ( ٣ ) يوسف : ١٧ . ( ٤ ) رواه ابن عباس . راجع تفسيره : ص ١٦٠ . ( ٥ ) قرأه الحسن ومجاهد وزيد بن علي والأعشى عن أبي بكر عن عاصم . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ١٩٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٦٣ . ( * )

/ صفحة ٧٦ /

*(٨٣/٢)*

---

ولا يكافئكم على سوء دخلتكم ( ١ ) . * ( يحلفون بالله لكم ليرضوكم ) * الخطاب للمسلمين ، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويحلفون ليرضوا عنهم ، فقيل لهم : * ( إن ) * كنتم * ( مؤمنين ) * كما تزعمون فأحق من أرضيتم * ( الله ورسوله ) * بالطاعة والموافقة ، وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورسوله ، فهما في حكم مرضى واحد ، أو : والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك . المحادة : مفاعلة من الحد ، أي : المنع * ( فأن له ) * أي : فحق أن له * ( نار جهنم ) * ، ويجوز أن يكون * ( فأن له ) * معطوفا على * ( أنه ) * على أن جواب * ( من ) * محذوف ، والتقدير : * ( ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله ) * يهلك * ( فأن له نار جهنم ) * . * ( يحذر المنفقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ماتحذرون ( ٦٤ ) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وءايته ورسوله كنتم تستهزءون ( ٦٥ ) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمنكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ( ٦٦ ) ) * كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم ، والضمير في * ( عليهم ) * و * ( تنبئهم ) * للمؤمنين ، وفي * ( قلوبهم ) * للمنافقين ، وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ، ويجوز أن يكون الضمير في الكل للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ، والمعنى : أنها تذيع أسرارهم فكأنها تخبرهم بها ، وقيل : معناه ليحذر * ( المنفقون ) * على الأمر ( ٢ ) ، * ( قل استهزءوا ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) داخلة الرجل ودخلته : باطن أمره . ( الصحاح : مادة دخل ) . ( ٢ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٢ ص ٤٥٩ . ( * )

/ صفحة ٧٧ /

وعيد بلفظ الأمر * ( إن الله مخرج ) * أي : مظهر * ( ماتحذرون ) * إظهاره من نفاقكم . وكان النبي ( صلى الله عليه وآله ) يسير منصرفه من غزوة تبوك وبين يديه أربعة نفر يسيرون ويضحكون ويقولون : انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه ، هيهات هيهات ، فأخبره جبرئيل ( عليه السلام ) بذلك ، فقال ( صلى الله عليه وآله ) لعمار : إن هؤلاء يستهزئون بي وبالقرآن * ( ولئن سألتهم ليقولن ) * : * ( كنا ) * نتحدث بحديث الركب ، فاتبعهم عمار وقال لهم : مم تضحكون ؟ قالوا : كنا نتحدث بحديث الركب ، فقال عمار : صدق الله ورسوله احترقتم أحرقكم الله ، فأقبلوا إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يعتذرون ، فنزلت الآيات ( ١ ) . وقيل : نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وقال بعضهم لبعض : إن فطن نقول : * ( إنما كنا نخوض ونلعب ) * ( ٢ ) . * ( لا تعتذروا ) * لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لاتنفعكم بعد ظهور أسراركم * ( قد كفرتم ) * قد أظهرتم كفركم * ( بعد ) * إظهاركم الإيمان * ( إن نعف عن طائفة منكم ) * بإحداثهم الإيمان بعد النفاق * ( نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ) * مصرين على النفاق ، أو : إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ولم يستهزئوا به نعذب طائفة بأنهم كانوا مؤذين لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مستهزئين ، وقرئ : " إن يعف عن طائفة يعذب طائفة " على البناء للفاعل ( ٣ ) وهو الله عزوجل . * ( المنفقون والمنفقت بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنفقين هم



* ( هامش ) * ( ١ ) انظر أسباب النزول للواحدي : ص ٢٠٧ . ( ٢ ) رواه العياشي في تفسيره : ج ٢ ص ٩٥ ح ٨٤ عن الباقر ( عليه السلام ) ، وفي البحر المحيط : ج ٥ ص ٦٦ عن ابن كيسان وفيه : " جماعة " بدل " اثني عشر رجلا " . ( ٣ ) قرأه عاصم الجحدري . راجع إعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ٢٢٦ . ( * )

/ صفحة ٧٨ /

الفسقون ( ٦٧ ) وعد الله المنفقين والمنفقت والكفار نار جهنم خلدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ( ٦٨ ) كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموا لا وأولدا فاستمتعوا بخلقهم فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعملهم

في الدنيا والاخرة وأولئك هم الخسرون ( ٦٩ ) ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحب مدين والمؤتفكت أتتهم رسلهم بالبينت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ( ٧٠ ) * * ( بعضهم من ) * جملة * ( بعض ) * وبعضهم مضاف إلى بعض وهو تكذيب لهم فيما حلفوا : * ( إنهم لمنكم ) * ( ١ ) ، وتحقيق لقوله : * ( وماهم منكم ) * ( ٢ ) ، ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله : * ( يأمرون بالمنكر ) * وهو الكفر والمعاصي * ( وينهون عن المعروف ) * من : الإيمان والطاعات * ( ويقبضون أيديهم ) * شحا بالخيرات والصدقات والإنفاق في سبيل الله * ( نسوا الله ) * أغفلوا ذكره * ( فنسيهم ) * فتركهم عن رحمته وفضله * ( إن المنفقين هم الفسقون ) * هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير . * ( خلدين فيها ) * أي : مقدرا لهم الخلود فيها * ( هي حسبهم ) * دلالة على عظم عذابها ، وأنه لا شئ أبلغ منه ، نعوذ بالله منها * ( ولعنهم الله ) * أبعدهم من خيره وأهانهم * ( ولهم عذاب مقيم ) * سوى الصلي بالنار ، دائم كعذاب النار ، أو : * ( عذاب مقيم ) * معهم في العاجل لا ينفكون منه ، وهو ما يقاسونه من تعب



---

النفاق وما يخافونه أبدا من الفضيحة . ومحل الكاف رفع تقديره : أنتم مثل * ( الذين من قبلكم ) * ، أو نصب تقديره :

* ( هامش ) * ( ١ و ٢ ) الآية ٥٦ المتقدمة . ( * )

/ صفحة ٧٩ /

فعلتم مثل فعل * ( الذين من قبلكم ) * وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ، وقوله : * ( كانوا أشد منكم ) * تفسير لتشبيههم بهم ، وتمثيل لفعلهم بفعلهم ، والخلاق : النصيب ، وهو ما خلق للإنسان أي : قدر ، كما قيل : له قسم ونصيب ، لانه قسم له ونصب أي : أثبت * ( وخضتم ) * أي : دخلتم في الباطل واللهو * ( كالذي خاضوا ) * كالفوج الذي خاضوا ، أو كالخوض الذي خاضوا ، وعن ابن عباس : هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه ( ١ ) . * ( وأصحب مدين ) * قوم شعيب * ( والمؤتفكت ) * مدائن قوم لوط أهلكها الله بالخسف وقلبها عليهم ، من الإفك وهو القلب والصرف * ( فما كان الله ليظلمهم ) * فما صح منه أن يظلمهم ، لأنه حكيم لا يجوز أن يفعل القبيح ويعاقب بغير جرم * ( ولكن ) * ظلموا * ( أنفسهم ) * بالكفر فاستحقوا العقاب . * ( والمؤمنون والمؤمنت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ( ٧١ ) وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت تجري من تحتها

الانهر خلدين فيها ومسكن طيبة في جنت عدن ورضوا ن من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ( ٧٢ ) يأيها النبي جهد الكفار والمنفقين واغلظ عليهم ومأوبهم جهنم وبئس المصير ( ٧٣ ) * * ( بعضهم أولياء بعض ) * في مقابلة قوله : * ( بعضهم من بعض ) * ( ٢ ) أي : يلزم
* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٢٥٥ . ( ٢ ) الآية ٦٧ المتقدمة . ( * )
/ صفحة ٨٠ /



---

كل واحد منهم موالاة بعض ونصرته ، وهم يد واحدة على من سواهم * ( سيرحمهم الله ) * السين تفيد وجود الرحمة لا محالة وتؤكد الوعد ، ونحوه : * ( سيجعل لهم الرحمن ودا ) * ( ١ ) ، و * ( سوف يؤتيهم أجورهم ) * ( ٢ ) ، * ( عزيز ) * غالب على كل شئ قادر عليه ، فهو يقدر على الثواب والعقاب * ( حكيم ) * واضع كل شئ موضعه . * ( ومسكن طيبة ) * يطيب العيش فيها ، بناها الله من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، و * ( عدن ) * علم بدليل قوله : * ( جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ) * ( ٣ ) ، ويدل عليه ما رواه أبو الدرداء ( ٤ ) عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) : " عدن : دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، لا يسكنها غير ثلاثة : النبيون والصديقون والشهداء ، يقول الله عزوجل : طوبى لمن دخلك " ( ٥ ) ، وقيل : هي مدينة في الجنة ( ٦ ) ، * ( ورضوا ن من الله ) * أي : وشئ من رضوان الله * ( أكبر ) * من ذلك كله ، لأن رضاه سبب كل سعادة وموجب كل فوز ، وبه ينال تعظيمه وكرامته ، والكرامة أكبر أصناف الثواب * ( ذلك ) * إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان ، أي : * ( هو الفوز العظيم ) * وحده دون ما يعده الناس فوزا . * ( جهد الكفار ) * بالسيف * ( والمنفقين ) * بالحجة . الصادق ( عليه السلام ) : " جاهد الكفار بالمنافقين " وقال : " هل سمعتم أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قاتل منافقا ؟ إنما كان يتألفهم " ( ٧ ) .
* ( هامش ) * ( ١ ) مريم : ٩٦ . ( ٢ ) النساء : ١٥٢ . ( ٣ ) مريم : ٦١ . ( ٤ ) هو عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، شهد احد ، وكان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وقاضيهم ، مات فيها سنة اثنتين وثلاثين . انظر المعارف لابن قتيبة : ص ٢٦٨ . ( ٥ ) أخرجه الطبري باسناده في تفسيره : ج ٦ ص ٤١٦ ح ١٦٩٥٨ .



---

( ٦ ) قاله الضحاك كما في تفسير الطبري : ج ٦ ص ٤١٨ ح ١٦٩٧٢ . ( ٧ ) التبيان : ج ٥ ص ٢٦٠ وج ١٠ ص ٥٢ وفيه : هي قراءة أهل البيت ( عليهم السلام ) . ( * )

/ صفحة ٨١ /

* ( واغلظ عليهم ) * ولاتحابهم ، وعن الحسن : جهاد المنافقين إقامة الحدود عليهم ( ١ ) . * ( يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلمهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغنيهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والاخرة ومالهم في الارض من ولى ولا نصير ( ٧٤ ) ) * حلفوا * ( بالله ما قالوا ) * ما حكي عنهم * ( ولقد قالوا كلمة الكفر ) * وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام * ( وهموا بما لم ينالوا ) * وهموا بالفتك برسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وذلك عند مرجعه من تبوك ، تواثق اثنا عشر رجلا – وقيل : خمسة عشر – على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل ، فأخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها ، وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينا هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح ، فالتفت فإذا قوم متلثمون ، فقال : إليكم يا أعداء الله ، وضرب وجوه رواحلهم حتى نحاهم ، فلما نزل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال لحذيفة : من عرفت منهم ؟ قال : لم أعرف منهم أحدا ، فقال ( صلى الله عليه وآله ) : إنه فلان وفلان ، حتى عدهم كلهم ، فقال حذيفة : ألا تقتلهم يارسول الله ؟ فقال : أكره أن تقول العرب : لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم ( ٢ ) . وعن الباقر ( عليه السلام ) : " كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب " ( ٣ ) . * ( وما نقموا ) * أي : وما أنكروا وماعابوا * ( إلا أن أغنيهم الله ورسوله من



---

* ( هامش ) * ( ١ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤٢٠ . ( ٢ ) رواها الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٢٩١ ، والرازي في تفسيره : ج ١٦ ص ١٣٦ . ( ٣ ) أورده الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٢٦١ . ( * )

/ صفحة ٨٢ /

فضله ) * والمعنى : أنهم جعلوا موضع شكر النعمة كفرانها ، وكان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر . * ( ومنهم من عهد الله لئن ءاتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصلحين ( ٧٥ ) فلمآ ءاتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ( ٧٦ ) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بمآ أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ( ٧٧ ) ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجوبهم وأن الله علم الغيوب ( ٧٨ ) ) * هو ثعلبة بن حاطب قال : يارسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال : يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، فقال : والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين

كل ذي حق حقه ، فدعا له ، فاتخذ غنما ، فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة ، فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة ، وبعث رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) المصدق ( ١ ) ليأخذ الصدقة فأبى وبخل ، فقال : وما هذه إلا أخت الجزية ، فقال : يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة . * ( فأعقبهم ) * عن الحسن : أن الضمير للبخل ( ٢ ) ، فأورثهم البخل * ( نفاقا ) * متمكنا * ( في قلوبهم ) * لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه ، والظاهر أن الضمير لله عزوجل ، أي : فخذلهم حتى نافقوا وتمكن النفاق في قلوبهم فلا ينفك عنها حتى يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح ، وبكونهم كاذبين ، ومنه جعل خلف الموعد ثلث النفاق . وعن علي ( عليه السلام ) : * ( سرهم ونجوبهم ) * : " ماأسروه من النفاق والعزم على

* ( هامش ) * ( ١ ) المصدق : الذي يأخذ صدقات الغنم . ( الصحاح : مادة صدق ) . ( ٢ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤٢٣ . ( * )



---

/ صفحة ٨٣ / إخلاف ما وعدوه ، وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية " ( ١ ) . * ( الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقت والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ( ٧٩ ) استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفسقين ( ٨٠ ) ) * * ( الذين يلمزون ) * في محل النصب أو الرفع على الذم ، والمطوع : المتبرع ، وأصله : المتطوع ، أي : يعيبون المتطوعين بالصدقة * ( من المؤمنين ) * ويطعنون عليهم * ( في الصدقت و ) * يعيبون * ( الذين لا يجدون إلا ) * طاقتهم فيتصدقون بالقليل * ( فيسخرون منهم ) * ويستهزئون * ( سخر الله منهم ) * هو مثل قوله : * ( الله يستهزئ بهم ) * ( ٢ ) في أنه خبر غير دعاء . وقوله : * ( استغفر لهم ) * أمر في معنى الخبر ، والمعنى : لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، وفيه معنى الشرط ، و " السبعون " جار في كلامهم مجرى المثل للتكثير ( ٣ ) ، قال علي ( عليه السلام ) : لاصبحن العاص وابن العاصي * سبعين ألفا عاقدي النواصي ( ٤ )

* ( هامش ) * ( ١ ) أخرجه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٢٩٣ . ( ٢ ) البقرة : ١٥ . ( ٣ ) قال الشيخ الطوسي ( قدس سره ) : وتعليق الاستغفار بالسبعين مرة ، والمراد به المبالغة لا العدد المخصوص ، ويجري ذلك مجرى قول القائل : لو قلت ألف مرة ما قبلت ، والمراد بذلك أنني لا أقبل منك ، وكذلك الآية المراد بها نفي الغفران جملة . ( التبيان : ج ٥ ص ٢٦٧ – ٢٦٨ ) . ( ٤ ) أنشده ( عليه السلام ) في عمرو بن العاص ، يقول : لاغازين الرجل العاصي عمرا بسبعين

ألفا من الخيل عاقدي نواصيها ، وعقد الناصية من أمارات الشجاعة والاشاحة في القتال . راجع الديوان المنسوب له ( عليه السلام ) : ص ٥٨ وفيه : " لأوردن " بدل " لاصبحن " . ( * ) / صفحة ٨٤ /

(٩١/٢)

---

* ( فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجهدوا بأموا لهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ( ٨١ ) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ( ٨٢ ) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ( ٨٣ ) ) * * ( فرح المخلفون ) * الذين خلفهم النبي ( صلى الله عليه وآله ) ولم يخرجهم معه إلى تبوك ، لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم * ( بمقعدهم ) * بقعودهم عن الغزو ، و * ( خلف رسول الله ) * : خلفه ، يقال : أقام خلاف الحي أي : بعدهم ، وقيل : هو بمعنى المخالفة ، لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض ( ١ ) ، وانتصب بأنه مفعول له أو حال ، أي : قعدوا لمخالفة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أو مخالفين له * ( وكرهوا أن يجهدوا بأموا لهم وأنفسهم ) * هو تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظيمة لوجه الله في بذل أموالهم ونفوسهم * ( وقالوا ) * لهم أو قال بعضهم لبعض : لا تخرجوا إلى الغزو * ( في ) * هذا * ( الحر قل نار جهنم أشد حرا ) * استجهال لهم ، فإن من تصون من مشقة ساعة فوقع بذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل . * ( فليضحكوا قليلا ) * معناه : فسيضحكون قليلا ويبكون * ( كثيرا جزاء ) * إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره . وإنما قال : * ( إلى طائفة منهم ) * لأن منهم من تاب وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح * ( فاستذنوك للخروج ) * إلى غزوة بعد غزوة تبوك * ( أول مرة ) * هي الخرجة إلى غزوة تبوك * ( مع الخلفين ) * مر تفسيره .

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الأخفش في معاني القرآن : ج ٢ ص ٥٥٨ . ( * )

/ صفحة ٨٥ /

(٩٢/٢)

---

* ( ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فسقون ( ٨٤ ) ولا تعجبك أموا لهم وأولدهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كفرون ( 

٨٥ ) ) * * ( مات ) * صفة لـ * ( أحد ) * ، وإنما قيل بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود ، لأنه كائن موجود لا محالة * ( إنهم كفروا ) * تعليل للنهي ، وكان ( صلى الله عليه وآله ) يصلي عليهم ويجريهم على أحكام المسلمين ، وكان إذا صلى على ميت وقف على قبره ساعة ويدعو له ، فنهي عن الأمرين بسبب كفرهم بالله وموتهم على النفاق . وأعيد قوله : * ( ولا تعجبك أموا لهم ) * لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده لاسيما إذا تراخى مابين النزولين ، ويجوز أن يكون النزولان في فريقين من المنافقين . * ( وإذآ أنزلت سورة أن ءامنوا بالله وجهدوا مع رسوله استذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القعدين ( ٨٦ ) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ( ٨٧ ) لكن الرسول والذين ءامنوا معه جهدوا بأموا لهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرا ت وأولئك هم المفلحون ( ٨٨ ) أعد الله لهم جنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها ذلك الفوز العظيم ( ٨٩ ) ) * يجوز أن يراد السورة بتمامها ، وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه * ( أن ءامنوا ) * هي " أن " المفسرة * ( أولوا الطول ) * ذوو الفضل والسعة ، من طال عليه طولا * ( مع القعدين ) * الذين لهم عذر في التخلف . * ( رضوا بأن يكونوا مع الخوا لف ) * وهم النساء والصبيان والمرضى * ( فهم لا يفقهون ) *



---

/ صفحة ٨٦ / ما في الجهاد من السعادة والفوز ، وما في التخلف من الشقاوة . * ( لكن الرسول ) * إن تخلف هؤلاء فقد نهض إلى الغزو مع المؤمنين ، ونحوه : * ( فإن يكفر بها هؤلاء ) * الآية ( ١ ) * ( الخيرا ت ) * الجنة ونعيمها ، وقيل : منافع الدارين ( ٢ ) . * ( وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ( ٩٠ ) ) * * ( المعذرون ) * المقصرون ، من عذر في الأمر : إذا توانى ولم يجد فيه ، وحقيقته : أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولاعذر له ، أو : " المعتذرون " بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ، ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة ، وهم : الذين يعتذرون بالباطل ، وقرئ : " المعذرون " بالتخفيف ( ٣ ) وهو الذي يجتهد في العذر ويبالغ فيه * ( وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ) * في ادعائهم الإيمان ، فلم يجيئوا ولم يعتذروا ، وعن أبي عمرو بن العلاء ( ٤ ) : كلا الفريقين كان مسيئا : جاء فريق فعذروا وجنح آخرون فقعدوا ( ٥ ) * ( سيصيب الذين كفروا منهم ) * من الأعراب * ( عذاب أليم ) * بالقتل في * ( هامش ) * ( ١ ) الأنعام : ٨٩ . ( ٢ ) قاله الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٠٠ . ( ٣ ) وهي قراءة ابن عباس وزيد بن علي والضحاك ومجاهد والأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال

ويعقوب وقتيبة والكسائي في رواية . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ٢٢٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٨٤ . ( ٤ ) هو زبان بن العلاء ، أبو عمرو التميمي المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، وأحد أئمة اللغة والأدب ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة ، سمع أنس ، وقرأ على الحسن البصري والأعرج وأبي العالية ومجاهد وعاصم وابن كثير ، توفي سنة ١٥٥ هـ ، انظر غاية النهاية لابن الجوزي : ج ١ ص ٢٨٨ . ( ٥ ) حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ . ( * )



---

/ صفحة ٨٧ /

الدنيا وبالنار في الآخرة . * ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ( ٩١ ) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ( ٩٢ ) إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ( ٩٣ ) ) * * ( الضعفاء ) * الزمنى ( ١ ) والهرمى ، و * ( الذين لا يجدون ) * الفقراء ، والنصح * ( لله ورسوله ) * : الإيمان والطاعة في السر والعلانية * ( ما على المحسنين ) * أي : المعذورين الناصحين * ( من سبيل ) * ومعنى لاسبيل عليهم : لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم . * ( قلت لا أجد ) * حال من الكاف في * ( أتوك ) * " وقد " مضمر قبله ، والمعنى : ولا على الذين إذا ما أتوك وأنت قائل : لا أجده * ( تولوا وأعينهم تفيض من الدمع ) * ، و * ( من ) * للبيان ، والجار والمجرور في محل النصب على التمييز ، أي : تفيض دمعا ، وهو أبلغ من قولك : يفيض دمعها ، لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض * ( ألا يجدوا ) * أي : لأن لا يجدوا ، ومحله نصب لأنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو * ( حزنا ) * . و * ( رضوا ) * استئناف ، كأنه قيل : ما بالهم استأذنوا * ( وهم أغنياء ) * فقيل : رضوا بالدناءة والانتظام في جملة * ( الخوالف وطبع الله على قلوبهم ) * يعني : أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله إياهم .

* ( هامش ) * ( ١ ) زمن الشخص زمنا وزمانة : إذا مرض مرضا يدوم زمانا طويلا . ( المصباح المنير : مادة زمن ) . ( * )

/ صفحة ٨٨ /

* ( يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون ( ٩٤ ) سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأوبهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ( ٩٥ ) يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفسقين ( ٩٦ ) ) *

* ( لن نؤمن لكم ) * علة للنهي عن الاعتذار ، لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به ، فإذا علم أنه مكذب فينبغي أن يترك الاعتذار ، وقوله : * ( قد نبأنا الله من أخباركم ) * علة لانتفاء تصديقهم ، لأن الله سبحانه إذا أعلم بأخبارهم وأحوالهم وأسرارهم لم يستقم تصديقهم في معاذيرهم * ( وسيرى الله عملكم ) * أتتوبون أم تثبتون على كفركم ؟ * ( ثم تردون ) * إليه وهو * ( علم ) * كل غيب وشهادة وسر وعلن ، فيجازيكم على حسب ذلك . * ( لتعرضوا عنهم ) * لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم * ( فأعرضوا عنهم ) * فأعطوهم طلبتهم * ( إنهم رجس ) * تعليل لترك معاتبتهم ، والمراد : أن العتاب لا ينجع فيهم ولايصلحهم ، إنما يعاتب الأديم ذو البشرة ، ويوبخ المؤمن على الزلة ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة ، وهؤلاء أرجاس لاسبيل إلى تطهيرهم . * ( لترضوا عنهم ) * أي : غرضهم في الحلف طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم ، ولا ينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطا عليهم . * ( الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود مآ أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ( ٩٧ ) ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوآئر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ( ٩٨ )

/ صفحة ٨٩ /

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربت عند الله



وصلوا ت الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ( ٩٩ ) ) * * ( الاعراب ) * أهل البدو * ( أشد كفرا ونفاقا ) * من أهل الحضر لقسوة قلوبهم وجفائهم ، ونشوئهم في بعد من مشاهدة العلماء وسماع التنزيل * ( وأجدر ألا يعلموا حدود مآ أنزل الله ) * من الشرائع والأحكام * ( والله عليم ) * بحال أهل الوبر والمدر * ( حكيم ) * فيما يحكم به عليهم . * ( مغرما ) * أي : غرامة وخسرانا ، فلا ينفق إلا تقية من أهل الإسلام ورئاء ، لا لوجه الله * ( ويتربص بكم ) * دوائر الزمان وحوادث الأيام ، ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة * ( عليهم دائرة السوء ) * دعاء معترض ، وقرئ : " السوء " بالضم ( ١ ) وهو العذاب ، و * ( 

السوء ) * بالفتح ذم للدائرة ، كما يقال : رجل سوء ، ونقيضه رجل صدق ، قال : وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم ( ٢ ) * ( والله سميع ) * لاقوالهم * ( عليم ) * بأحوالهم . * ( قربت ) * مفعول ثان لـ * ( يتخذ ) * والمعنى : أن ما ينفقه سبب لحصول القربات * ( عند الله وصلوا ت الرسول ) * ، لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ، كقوله : " اللهم صل على آل أبي أوفي " ( ٣ ) لما أتاه أبو أوفي بصدقته ، * ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة شبل عن ابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن . راجع التبيان : ج ٥ ص ٢٨٤ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣١٦ . ( ٢ ) قائله الفرزدق ، وهو يذم صاحبا له ويصفه في الجفاء بأنه كذئب السوء . راجع ديوان الفرزدق : ج ٢ ص ٣٦٦ . ( ٣ ) انظر صحيح البخاري : ج ٢ ص ١٥٩ وج ٨ ص ٩٠ و ٩٦ . ( * )



---

فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل : * ( يتخذ ما ينفق قربت . . . وصلوا ت ) * ، * ( ألا إنها قربة لهم ) * هذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقده من كون نفقته قربات وصلوات ، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتحققه ، و * ( سيدخلهم الله ) * كذلك لما في السين من تحقق الوعد ، وقرئ : " قربة " بضم الراء ( ١ ) . * ( والسبقون الاولون من المهجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسن رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنت تجري تحتها الانهر خلدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ( ١٠٠ ) ) * * ( السبقون الاولون من المهجرين ) * هم الذين صلوا إلى القبلتين ، وقيل : الذين شهدوا بدرا ( ٢ ) ، * ( و ) * من * ( الانصار ) * أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا اثني عشر رجلا ، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا ، والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير فعلمهم القرآن ، وقرئ : " الانصار " بالرفع ( ٣ ) عطفا على * ( والسبقون ) * ، وارتفع * ( السبقون ) * بالابتداء وخبره * ( رضى الله عنهم ) * ، وقرأ ابن كثير ( ٤ ) : " من تحتها " ( ٥ ) .



---

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة نافع برواية ورش وإسماعيل والمفضل . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣١٧ . ( ٢ ) قاله عطاء بن أبي رباح كما في تفسير الماوردي : ج ٢

ص ٣٩٥ . ( ٣ ) قرأه عمر بن الخطاب والحسن وقتادة ويعقوب وعيسى الكوفي وسلام وسعيد بن ابي سعيد وطلحة . راجع التبيان : ج ٥ ص ٢٨٧ ، وإعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ٢٣٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٩٢ . ( ٤ ) هو أبو بكر عبد الله بن كثير ، أحد القراء السبعة ، ولد عام ٤٥ هـ في مكة ، وينتسب الى اسرة فارسية هاجرت الى اليمن ، ولقب بالداري أو الداراني لأنه كان يعمل عطارا ، وقد كان قاضي الجماعة بمكة ، توفي بها عام ١٢٠ هـ . انظر دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ص ٢٦٩ . ( ٥ ) حكاها عنه الشيخ في التبيان : ج ٥ ص ٢٨٧ . ( * )



---

* ( وممن حولكم من الاعراب منفقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ( ١٠١ ) وءاخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صلحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ) * ( ١٠٢ ) ومن جملة من حول بلدتكم وهي المدينة * ( من الاعراب ) * الذين يسكنون البدو * ( منفقون ) * وهم جهينة وأسلم وغفار وأشجع ومزينة ، كانوا نازلين حول المدينة * ( ومن أهل المدينة ) * عطف على خبر المبتدأ الذي هو * ( ممن حولكم ) * ، ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت : ومن أهل المدينة قوم * ( مردوا على النفاق ) * على أن يكون * ( مردوا ) * صفة موصوف محذوف كقوله : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ( ١ ) أي : ابن رجل وضح أمره ، و * ( مردوا على النفاق ) * تمهروا فيه ، من قولهم : مرد فلان على عمله ، ومرد عليه : إذا درب به حتى لان عليه ومهر فيه ، ودل على مهارتهم فيه بقوله : * ( لا تعلمهم ) * أي : يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم ( ٢ ) في تحامي ( ٣ ) ما يشكك في أمرهم ، ثم قال : * ( نحن نعلمهم ) * أي : لايعلمهم إلا الله المطلع على البواطن ، لأنهم يبطنون الكفر في ضمائرهم ويظهرون لك الإيمان وظاهر الإخلاص الذي لا تشك معه في أمرهم * ( سنعذبهم مرتين ) * هما : ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم ، وعذاب القبر

* ( هامش ) * ( ١ ) وعجزه : متى أضع العمامة تعرفونني . والبيت منسوب تارة لسحيم بن وثيل الرياحي وكان عبدا حبشيا ، وتارة للمثقب العبدي ، واخرى للعرجي . وهو من باب المفاخرة بالشجاعة والبطولة في الصولات في ميدان القتال ، وفيه استعارة على سبيل التصريح . راجع شرح شواهد الكشاف للأفندي : ص ٧٦ . ( ٢ ) تنوق في الأمر : تجود وبالغ فيه . ( القاموس المحيط : مادة نوق ) . ( ٣ ) تحاماه الناس : أي توقوه واجتنبوه . ( الصحاح : مادة حمى ) . ( * )

/ صفحة ٩٢ /

* ( ثم يردون إلى عذاب عظيم ) * في النار . * ( وءاخرون اعترفوا بذنوبهم ) * ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ، وهم ثلاثة نفر من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر ، وأوس بن حذام ، وثعلبة بن وديعة ( ١ ) * ( خلطوا عملا صلحا وءاخر سيئا ) * فيه دلالة على بطلان القول بالإحباط لأنه لو كان أحد العملين محبطا لم يكن لقوله : * ( خلطوا ) * معنى ، لأن الخلط يستعمل في الجمع مع الامتزاج كخلط الماء واللبن ، وبغير امتزاج كخلط الدنانير والدراهم * ( وءاخر ) * أي : وعملا آخر . * ( خذ من أموا لهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوا تك سكن لهم والله سميع عليم ( ١٠٣ ) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقت وأن الله هو التواب الرحيم ( ١٠٤ ) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون ( ١٠٥ ) ) * * ( تطهرهم ) * صفة لـ * ( صدقة ) * ، والتاء فيه للخطاب أو للتأنيث ، أي : * ( صدقة تطهرهم ) * أنت * ( وتزكيهم بها ) * فيكون كلا الفعلين مسندا إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، أو * ( صدقة تطهرهم ) * تلك الصدقة * ( وتزكيهم ) * أنت * ( بها ) * أي : تنسبهم إلى الزكاة ، والتزكية : مبالغة في التطهير وزيادة فيه ، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال * ( وصل عليهم ) * أي : وترحم عليهم بالدعاء لهم بقبول صدقاتهم * ( إن صلوتك سكن لهم ) * إن دعواتك يسكنون إليها وتطمئن قلوبهم بها * ( والله سميع ) * يسمع



* ( هامش ) * ( ١ ) قال الشيخ الطوسي : روي عن ابن عباس أنه قال : نزلت هذه الآية في عشرة أنفس تخلفوا عن غزوة تبوك فيهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم الى سواري المسجد الى أن قبلت توبتهم ، وقيل : كانوا سبعة منهم أبو لبابة ، وقال أبو جعفر ( عليه السلام ) : نزلت في أبي لبابة ، ولم يذكر غيره ، وبه قال مجاهد والزهري وأكثر المفسرين . انظر التبيان : ج ٥ ص ٢٩٠ . ( * )

/ صفحة ٩٣ /

دعاءك لهم * ( عليم ) * يعلم ما يكون منهم ، وقرئ : * ( صلوتك ) * على التوحيد هنا وفي هود ( ١ ) . * ( ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة ) * إذا صحت * ( و ) * يقبل * ( الصدقت )

* إذا صدرت عن خلوص النية ، و * ( هو ) * للتخصيص والتأكيد ، و * ( أن الله ) * من شأنه قبول توبة التائبين . * ( وقل ) * لهؤلاء التائبين : * ( اعملوا ) * فإن * ( عملكم ) * لا يخفي على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين ، خيرا كان أو شرا . وروى أصحابنا : أن أعمال الأمة تعرض على النبي ( صلى الله عليه وآله ) في كل اثنين وخميس فيعرفها ، وكذلك تعرض على الأئمة القائمين مقامه وهم المعنيون بقوله : * ( والمؤمنون ) * ( ٢ ) . * ( وستردون ) * سترجعون * ( إلى ) * الله الذي يعلم السر والعلانية * ( فينبئكم ) * بأعمالكم ويجازيكم عليها . * ( وءاخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ( ١٠٦ ) ) * قرئ : * ( مرجون ) * و " مرجؤون " ( ٣ ) من أرجيته وأرجأته : إذا أخرته ، أي : * ( وءاخرون ) * من المتخلفين موقوف أمرهم : * ( إما ) * أن * ( يعذبهم ) * الله إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا ، * ( وإما ) * أن * ( يتوب عليهم ) * إن تابوا ، وهم ثلاثة : كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، أمر رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أصحابه أن



---

* ( هامش ) * ( ١ ) الآية : ٨٧ ويظهر أن القراءة المعتمدة لدى المصنف هنا على الجمع تبعا للزمخشري . ( ٢ ) راجع بصائر الدرجات للصفار : ص ٤٢٤ باب ٤ و ٥ و ٦ ، والكافي : ج ١ ص ٢١٩ باب عرض الأعمال على النبي ( صلى الله عليه وآله ) والأئمة ( عليهم السلام ) . ( ٣ ) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم . راجع الكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٥٠٦ . ( * )

/ صفحة ٩٤ /

لايكلموهم ففعلوا ذلك ، ثم تاب الله عليهم بعد خمسين يوما ، وتصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته . * ( والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين

وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكذبون ( ١٠٧ ) لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ( ١٠٨ ) أفمن أسس بنينه على تقوى من الله ورضوا ن خير أم من أسس بنينه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظلمين ( ١٠٩ ) لا يزال بنينهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ( ١١٠ ) ) * قرأ أهل المدينة والشام : " الذين اتخذوا " بغير واو ( ١ ) ، وكذلك هو في مصاحفهم ( ٢ ) لأنها قصة برأسها . روي : أن بني عمرو بن عوف ( ٣ ) لما بنوا مسجد قباء وصلى فيه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف ( ٤ ) وقالوا : نبني مسجدا نصلي فيه ولانحضر

جماعة محمد ، فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء ، وقالوا لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وهو يتجهز إلى تبوك : إنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال ( صلى الله عليه وآله ) : " إني على جناح سفر " ، ولما انصرف من تبوك نزلت ( ٥ ) ، فأرسل من هدم المسجد وأحرقه ، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ( ٦ ) .



---

* ( هامش ) * ( ١ ) انظر التبيان : ج ٥ ص ٢٩٧ . ( ٢ ) انظر الكشاف : ج ٢ ص ٣٠٩ . ( ٣ ) هم بطن من الأوس من الأزد ، من القحطانية . ( انظر معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٨٣٤ ) . ( ٤ ) وهم بطن من الخزرج من الأزد ، من القحطانية . ( انظر المصدر السابق : ج ٣ ص ٨٩٤ ) . ( ٥ ) أي نزلت هذه الآية . ( ٦ ) رواها ابن كثير في تفسيره : ج ٢ ص ٣٧١ . ( * )

/ صفحة ٩٥ /

* ( ضرارا ) * مضارة لإخوانهم : أصحاب مسجد قباء ، معازة ( ١ ) * ( وكفرا ) * وتقوية للنفاق * ( وتفريقا بين المؤمنين ) * لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم * ( وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ) * أي : وإعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب ( ٢ ) ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، فلما قدم النبي المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ، ثم هرب بعد فتح مكة وخرج إلى الروم وتنصر ، وهو أبو " حنظلة " غسيل الملائكة ( ٣ ) ، قتل يوم أحد وكان جنبا فغسلته الملائكة ، وكان هؤلاء يتوقعون رجوع أبي عامر إليهم ، وأعدوا هذا المسجد له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ويتعلق * ( من قبل ) * بـ * ( اتخذوا ) * أي : اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف ، أو يتعلق بـ * ( حارب ) * أي : لأجل من حارب الله ورسوله من قبل أن يتخذوا المسجد * ( وليحلفن ) * يعني هؤلاء المنافقين : ما * ( أردنا إلا ) * الفعلة * ( الحسنى ) * أو الإرادة الحسنى وهي : الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين . * ( لا تقم فيه أبدا ) * أي : لا تصل فيه أبدا ، يقال : فلان يقوم بالليل أي : يصلي * ( لمسجد أسس على التقوى ) * هو مسجد قباء أسسه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وصلى فيه أيام مقامه بقباء ، وقيل : هو مسجد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بالمدينة ( ٤ ) * ( من أول يوم ) * من أيام وجوده * ( أحق أن تقوم فيه ) * أي

: أولى بأن تصلي فيه * ( فيه رجال يحبون

* ( هامش ) * ( ١ ) عازه معازة : إذا عارضه في العزة . ( لسان العرب : مادة عزز ) . ( ٢ ) هو أبو عامر عمرو بن صيفي الراهب الذي كان منافقا ومخالفا لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وكان رأس المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا النبي ( صلى الله عليه وآله ) من الثنية في غزوة تبوك ، وله بني مسجد ضرار ، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة . انظر الاستيعاب : ج ١ ص ٣٨٠ . ( ٣ ) هو حنظلة بن أبي عامر المعروف بغسيل الملائكة ، قتل يوم احد شهيدا ، قتله أبو سفيان بن حرب وقال : حنظلة بحنظلة ، يعني بابنه حنظلة المقتول ببدر . انظر الاستيعاب : ج ١ ص ٣٨١ . ( ٤ ) قاله ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري كما في تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٠٢ . ( * )

/ صفحة ٩٦ /

*(١٠٥/٢)*

أن يتطهروا ) * روي : أن النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال لهم : إن الله عزوجل قد أثنى عليكم فماذا تفعلون في طهوركم ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط ، فقال : أنزل الله فيكم : * ( والله يحب المطهرين ) * ( ١ ) أي : المتطهرين ، ومحبتهم للتطهر : أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه ، ومحبة الله إياهم : أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه . وقرئ : * ( أسس بنينه ) * و " أسس بنيانه " ( ٢ ) ، وفي الشواذ : " أسس بنيانه " على الإضافة ( ٣ ) ، وهو جمع أساس ، والمعنى : أفمن أسس بنيان دينه * ( على ) * قاعدة محكمة وهي الحق الذي هو * ( تقوى . . . الله ) * ورضوانه * ( خير أم من ) * أسسه * ( على ) * قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل * ( شفا جرف هار ) * في قلة الثبات ، والشفا : الشفير ، وجرف الوادي : جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول ، والهار : الهائر الذي أشفي على السقوط والتهدم ، ووزنه " فعل " قصر عن هائر كخلف عن خالف ، ونظيره : شاك وصات من شائك وصائت ، وألفه ليست بألف فاعل ، وأصله هور وشوك وصوت ، ولما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل : * ( فانهار به في نار جهنم ) * والمعنى : فهوى به الباطل في نار جهنم ، فكأن المبطل أسس بنيانا على شفير جهنم فطاح به إلى قعرها . * ( ريبة ) * أي : شكا في الدين ونفاقا ، والمعنى : * ( لا يزال ) * هدم * ( بنينهم الذي ) * بنوه سبب شك ونفاق * ( في قلوبهم ) * لا يضمحل أثره * ( إلا أن تقطع ) * أي : تتقطع * ( قلوبهم ) * قطعا وتتفرق أجزاء

، فحينئذ يسلون عنه ، والريبة باقية فيها مادامت سالمة ، وقرئ : * ( تقطع ) * بالتخفيف ( ٤ ) والتشديد ، ويجوز أن يراد حقيقة



---

* ( هامش ) * ( ١ ) التبيان للطوسي : ج ٥ ص ٣٠٠ ، مستدرك الحاكم : ج ١ ص ١٥٥ . ( ٢ ) وهي قراءة نافع وابن عامر . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣١٨ . ( ٣ ) قرأه نصر بن عاصم . راجع شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٥٩ . ( ٤ ) قرأها جابر ونصر على ما حكاه عنهما ابن خالويه في شواذ القرآن : ص ٦٠ . ( * )

/ صفحة ٩٧ /

تقطيعها بقتلهم أو في النار ، وقرئ : " إلى أن " ( ١ ) ، وروي ذلك عن الصادق ( عليه السلام ) ( ٢ ) ، وفي قراءة عبد الله : " ولو قطعت قلوبهم " ( ٣ ) ، وقيل : معناه : إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما على تفريطهم ( ٤ ) . * ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموا لهم بأن لهم الجنة يقتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرءان ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ( ١١١ ) التئبون العبدون الحمدون السئحون الرا كعون السجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحفظون لحدود الله وبشر المؤمنين ( ١١٢ ) ) * عبر سبحانه عن إثابتهم بالجنة على بذلهم * ( أنفسهم وأموا لهم ) * في سبيله : بالاشتراء ، وجعل الثواب ثمنا وأعمالهم الحسنة مثمنا تمثيلا ، وروي : أنه تاجرهم فأغلى لهم الثمن ( ٥ ) . وعن الصادق ( عليه السلام ) : " ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها " ( ٦ ) . وعن الحسن : أنفسا هو خلقها ، وأموالا هو رزقها ( ٧ ) . وروي : أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة ( ٨ ) : اشترط



---

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب وأبو حاتم . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٠٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٠١ . ( ٢ ) رواها البرقي عنه ( عليه السلام ) كما في مجمع البيان : ج ٥ - ٦ ص ٧٠ . ( ٣ ) حكاها عنه الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٣١٣ . ( ٤ ) قاله سفيان كما حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٠٥ . ( ٥ ) رواه ابن عباس والحسن وقتادة . راجع تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤٢٩ ، وتفسير ابن كثير : ج ٢

ص ٣٧٤ ، وتفسير الطبري : ج ٦ ص ٤٨٢ . ( ٦ ) تحف العقول : ٣٧٩ . ( ٧ ) تفسير الحسن البصري : ج ١ ص ٤٢٩ . ( ٨ ) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا محمد ، = ( * )
/ صفحة ٩٨ /

*(١٠٨/٢)*

---

لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ، قال : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : لكم الجنة ، قالوا : ربح البيع لانقيل ولانستقيل ( ١ ) . * ( يقتلون ) * فيه معنى الأمر ، كقوله : * ( تجهدون في سبيل الله ) * ( ٢ ) ، ثم قال : * ( يغفر لكم ذنوبكم ) * ( ٣ ) ، وقرئ : * ( فيقتلون ويقتلون ) * وعلى العكس ( ٤ ) * ( وعدا عليه حقا ) * مصدر مؤكد ، يعني : أن الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته * ( في التوربه والانجيل ) * كما أثبته في * ( القرءان ومن أوفي بعهده من الله ) * أي : لا أحد أوفي بعهده من الله ، لأن الخلف قبيح لا يقدم عليه الكريم ( ٥ ) من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم ، فكيف بالكريم الغني الذي لا يجوز عليه فعل القبيح * ( فاستبشروا ) * أي : فافرحوا بهذه المبايعة إذ بعتم فانيا بباق وزائلا بدائم * ( وذلك هو الفوز ) * والظفر * ( العظيم ) * ولاترغيب في الجهاد أحسن وأبلغ منه . * ( التئبون ) * رفع على المدح ، أي : هم التائبون ، يعني : المؤمنين المذكورين ، ويدل عليه قراءة أبي ( ٦ ) و عبد الله والباقر والصادق ( عليهما السلام ) : " التائبين " بالياء ( ٧ )
* ( هامش ) * = أحد النقباء ، شهد العقبة وبدرا واحدا والحديبية ، استشهد يوم مؤتة وقد كان أحد الامراء في الوقعة ، وكان أحد الشعراء الذين كانوا يردون الأذي عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) . انظر الاستيعاب : ج ٣ ص ٨٩٨ .

*(١٠٩/٢)*

---

( ١ ) رواها الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٤٨٢ . ( ٢ و ٣ ) الصف : ١١ و ١٢ . ( ٤ ) وهي قراءة النخعي ويحيى بن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٠٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٠٢ . ( ٥ ) في نسخة : الكرام . ( ٦ ) هو ابي بن كعب بن قيس النجار ، شهد العقبة الثانية وبايع النبي ( صلى الله عليه وآله ) فيها ، ثم شهد بدرا ، وكان

أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم ، توفي في خلافة عمر . انظر الاستيعاب : ج ١ ص ٦٥ . ( ٧ ) انظر الكافي : ج ٨ ص ٣٧٧ – ٣٧٨ ح ٥٦٩ ، والكشاف : ج ٢ ص ٣١٤ . ( * )
/ صفحة ٩٩ /

(١١٠/٢)

---

إلى قوله : " والحافظين " نصبا على المدح ، أو جرا على الصفة لـ * ( المؤمنين ) * ، ويجوز أن يكون * ( التئبون ) * مبتدأ وخبره * ( العبدون ) * ، وما بعده خبر بعد خبر ، أي : التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال ، و * ( العبدون ) * هم الذين أخلصوا في عبادة الله ، و * ( السئحون ) * : الصائمون ، شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم ، وقيل : هم طلاب العلم يسيحون في الأرض يطلبونه من مظانه ( ١ ) ، * ( والحفظون لحدود الله ) * القائمون بأوامره ، والمجتنبون لنواهيه . * ( ما كان للنبى والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحب الجحيم ( ١١٣ ) وما كان استغفار إبراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لاوا ه حليم ( ١١٤ ) ) * عن الحسن : أن المسلمين قالوا : ألا نستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية ؟ فنزلت ( ٢ ) ، أي : لا ينبغي لنبي ولا مؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له ، ولا يصح ذلك في حكمة الله * ( ولو كانوا ) * قرابتهم * ( من بعد ما تبين لهم أنهم ) * ماتوا على الشرك . * ( إلا عن موعدة وعدها إياه ) * أي : وعدها إبراهيم أباه وهو قوله : * ( لاستغفرن لك ) * ( ٣ ) ، ويدل عليه قراءة الحسن : " وعدها أباه " ( ٤ ) ، * ( فلما تبين له ) * من جهة الوحي * ( أنه ) * لن يؤمن ويموت كافرا ، وانقطع رجاؤه عن إيمانه * ( تبرأ منه ) * ، والأواه : فعال من أوه ، وهو الذي يكثر التأوه والبكاء والدعاء ،

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله عكرمة . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٠٧ . ( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣١٥ . ( ٣ ) الممتحنة : ٤ . ( ٤ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣١٥ . ( * )
/ صفحة ١٠٠ /

(١١١/٢)

---

ويكثر ذكر الله عز اسمه . * ( وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هدبهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شئ عليم ( ١١٥ ) إن الله له ملك السموات والارض يحى ى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير ( ١١٦ ) ) * أي : لا يؤاخذ * ( الله ) * عباده الذين * ( هدبهم ) * للإسلام ، ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم بارتكاب المحظورات إلا بعد أن * ( يبين لهم ) * حظرها عليهم ، ويعلمهم أنها واجبة الاتقاء والاجتناب ، فأما قبل البيان فلا سبيل عليهم ، والمراد بـ * ( ما يتقون ) * : ما يجب اتقاؤه للنهي ، فأما ما يعلم بالعقل من القبائح فغير موقوف على التوقيف . * ( لقد تاب الله على النبي والمهجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم ( ١١٧ ) وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ( ١١٨ ) يأ يها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصدقين ( ١١٩ ) ) * إنما ذكر النبي ( صلى الله عليه وآله ) استفتاحا باسمه ولأنه سبب توبتهم ، وإلا فمن المعلوم أنه لم يكن منه ما أوجب التوبة ، وروي عن الرضا ( عليه السلام ) : أنه قرأ : " لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين " ( ١ ) وهو بعث للمؤمنين على التوبة ، وأنه مامن مؤمن إلا وهو محتاج إلى الاستغفار والتوبة * ( في ساعة العسرة ) * في وقتها ، وقد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق كما يستعمل الغداة والعشية واليوم ، نحو قوله :

* ( هامش ) * ( ١ ) أوردها في الاحتجاج : ج ١ ص ٧٦ . ( * )



---

عشية قارعنا جذام وحميرا ( ١ ) [ وقوله : ] غداة طفت علماء بكر بن وائل ( ٢ ) أي : على الماء ، و * ( العسرة ) * : حالهم في غزوة تبوك ، كان يعتقب العشرة على بعير واحد ، وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والإهالة ( ٣ ) السنخة ( ٤ ) ، وبلغت الشدة بهم أن اقتسم التمرة اثنان ، وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ، وكانوا في حمارة القيظ ( ٥ ) وفي الضيقة الشديدة من القحط وقلة الماء " كاد تزيغ قلوب فريق منهم " عن الثبات على الإيمان ، أو عن اتباع الرسول ( صلى الله عليه وآله ) في تلك الغزوة ، وفي * ( كاد ) * ضمير الأمر والشأن ، وشبهه سيبويه بقولهم : " ليس خلق الله مثله " ( ٦ ) ، وقرئ : * ( يزيغ ) * بالياء ( ٧ ) ، قيل : إن قوما منهم هموا بالانصراف من غزاتهم بغير استئذان ، فعصمهم الله تعالى حتى مضوا ( ٨ ) ، * ( ثم تاب عليهم ) * من بعد ذلك الزيغ * ( إنه بهم رءوف رحيم ) * تداركهم

* ( هامش ) * ( ١ ) قائله : زفر بن الحارث الكلابي ، وصدره : وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة . قاله يوم مرج راهط ، وهو موضع كانت فيه وقعة بالشام وفيها قتل الضحاك بن قيس . أراد أنه حينما قابلنا القبيلتين علمنا أنهما ليسوا كما توهمنا في شأنهم ضعفاء بل هم أقوياء وغير منخذلين . انظر شرح شواهد المغني : ص ٩٣٠ . ( ٢ ) وعجزه : وعاجت صدور الخيل شطر تميم . ذكره في شرح شواهد الكشاف ولم يذكر قائله . أراد انهم علوا في المنزلة والعز بحيث لايعلوهم أحد كما أن الشئ يطفو وجه الماء وغيره يرسب . انظر شرح شواهد الكشاف : ص ٥٢٥ . ( ٣ ) الإهالة : الودك ، أي دسم اللحم . ( الصحاح : مادة أهل ) . ( ٤ ) سنخ الدهن : إذا فسد وتغيرت ريحه . ( الصحاح : مادة سنخ ) . ( ٥ ) حمارة القيظ : أي شدة حر الصيف . ( لسان العرب : مادة قيظ ) . ( ٦ ) انظر كتاب سيبويه : ج ١ ص ٦٩ – ٧٠ . ( ٧ ) فان المصنف لم يعتمد إلا على القراءة بالتاء تبعا للزمخشري . ( ٨ ) قاله ابن عباس في تفسيره : ص ١٦٧ . ( * )
/ صفحة ١٠٢ /



برأفته ورحمته . * ( وعلى الثلثة الذين خلفوا ) * وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ، خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم ، وقيل : خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا ( ١ ) ، وقراءة أهل البيت ( عليهم السلام ) وأبي عبد الرحمن السلمي ( ٢ ) : " خالفوا " ( ٣ ) ، * ( بما رحبت ) * أي : برحبها ، والمعنى : مع سعتها ، وهو مثل لحيرتهم في أمرهم ، كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار * ( وضاقت عليهم أنفسهم ) * أي : قلوبهم من فرط الوحشة والغم * ( وظنوا ) * وعلموا * ( أن لا ملجأ من ) * سخط * ( الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ) * ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا ، أو ليتوبوا أيضا في المستقبل إن فرطت منهم خطيئة ، علما منهم بـ * ( ان الله ) * تواب على من تاب ولو عاد في اليوم سبعين مرة . * ( مع الصدقين ) * الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا ، وعن الباقر ( عليه السلام ) : " كونوا مع آل محمد " ( ٤ ) . وقرأ ابن عباس : " من الصادقين " ( ٥ ) ، وروي أيضا ذلك عن الصادق ( عليه السلام ) ( ٦ ) .
* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الحسن وقتادة . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٠٩ . ( ٢ ) هو عبد الله بن حبيب الكوفي ، من أصحاب أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، كان مقرئا وفقيها

، فقد أقرأ القرآن في المسجد لمدة أربعين سنة ، شهد مع أمير المؤمنين علي ( عليه السلام ) في صفين ثم صار عنه بعدها ، توفي في زمن عبد الملك بن مروان عام ( ٧٢ هـ ) . راجع رجال السيد الخوئي : ج ١٠ ص ١٥٥ . ( ٣ ) انظر شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٦٠ . ( ٤ ) المناقب لابن شهرآشوب : ج ٣ ص ٩٢ - ٩٣ . ( ٥ ) حكاها عنه أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط : ج ٥ ص ١١٠ . ( ٦ ) رواها عنه ( عليه السلام ) في البحر المحيط : ج ٥ ص ١١١ . ( * ) / صفحة ١٠٣ /

*(١١٥/٢)*

---

* ( ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صلح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ( ١٢٠ ) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ( ١٢١ ) ) * ظاهره خبر ومعناه نهي ، مثل قوله : * ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) * ( ١ ) ، * ( ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ) * أمروا بصحبة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) على البأساء والضراء ، وبأن يكابدوا معه الشدائد برغبة ونشاط * ( ذلك ) * إشارة إلى مادل عليه قوله : " ما كان لهم أن يتخلفوا " من وجوب مشايعته ، أي * ( ذلك ) * الوجوب * ( بـ ) * سبب * ( أنهم لا يصيبهم ) * شئ من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ، ولا يضعون أقدامهم ولا يدوسون بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم موضعا * ( يغيظ الكفار ) * وطأهم إياه ، ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يضيق صدورهم * ( ولا ينالون من عدو نيلا ) * ولا يرزؤونهم شيئا بقتل أو أسر أو أمر يغمهم * ( إلا كتب لهم به عمل صلح ) * واستوجبوا الثواب عند الله ، والموطئ : إما مصدر كالمورد وإما مكان ، والنيل : يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ، وهو عام في كل مايسوؤهم ويضرهم . * ( ولا يقطعون واديا ) * أي : أرضا في ذهابهم ومجيئهم ، والوادي : كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل ، وهو في الأصل فاعل من ودى : إذا سال ، ومنه الودي ( ٢ ) * ( إلا كتب لهم ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) الأحزاب : ٥٣ . ( ٢ ) الودي : مايخرج بعد البول . ( الصحاح : مادة ودي ) . ( * )

/ صفحة ١٠٤ /

*(١١٦/٢)*

ذلك الإنفاق وقطع الوادي ، وتعلق * ( ليجزيهم ) * بـ * ( - كتب ) * أي : أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء . * ( وما كان المؤمنون لينفروا كآفة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ( ١٢٢ ) يأ يها الذين ءامنوا قتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ( ١٢٣ ) وإذا مآأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمنا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمنا وهم يستبشرون ( ١٢٤ ) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كفرون ( ١٢٥ ) ) * * ( لينفروا ) * اللام لتأكيد النفي ، والمعنى : أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب الفقه ( ١ ) والعلم غير صحيح ولا ممكن ، وفيه : أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب على الكافة ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم * ( فلولا نفر ) * فحين لم يمكن نفير الكافة فهلا نفر * ( من كل فرقة ) * أي : جماعة كثيرة * ( طائفة ) * أي : جماعة قليلة " منهم " : * ( ليتفقهوا في الدين ) * ليتكلفوا الفقاهة فيه ، ويتجشموا المشاق في تحصيلها * ( ولينذروا قومهم ) * وليجعلوا غرضهم بالتفقه إنذار قومهم وإرشادهم * ( لعلهم يحذرون ) * عقاب الله ويطيعونه . * ( قتلوا الذين يلونكم من الكفار ) * أي : يقربون منكم ، فإن القتال واجب مع جميع الكفار ، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ، ونظيره : * ( وأنذر عشيرتك الاقربين ) * ( ٢ ) ، وقد حارب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قومه ثم غيرهم من العرب ، وقيل :

* ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : التفقه . ( ٢ ) الشعراء : ٢١٤ . ( * )

/ صفحة ١٠٥ /



هم قريظة والنضير ( ١ ) وفدك ( ٢ ) وخيبر ( ٣ ) ، والأول أصح ، لأن السورة نزلت في سنة تسع ، وقد فرغ النبي من أولئك * ( وليجدوا فيكم غلظة ) * أي : شدة وصبرا على جهادهم ، ونحوه : * ( واغلظ عليهم ) * ( ٤ ) . * ( فمنهم من يقول ) * فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض : * ( أيكم زادته هذه ) * السورة * ( إيمنا ) * استهزاء باعتقاد المؤمنين زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي * ( فزادتهم إيمنا ) * أي : تصديقا ويقينا وثلجا لصدورهم . وقوله : * ( فزادتهم رجسا إلى رجسهم ) * أي : كفرا مضموما إلى كفرهم ، لأنهم بتجديد الوحي جددوا كفرا ونفاقا فازداد كفرهم عنده واستحكم . * ( أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم

لايتوبون ولاهم يذكرون ( ١٢٦ ) وإذا مآ أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يربكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم

(١١٨/٢)

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قريظة والنضير : قبيلتان من يهود خيبر ، وقد دخلوا في العرب على نسبهم الى هارون أخي موسى ( عليه السلام ) ، منهم محمد بن كعب القرظي . انظر الصحاح : مادة نضر . ( ٢ ) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله ( صلى الله عليه وآله ) سنة سبع صلحا فكانت خالصة له ، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة ، وهي التي قالت فاطمة ( عليها السلام ) : إن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) نحلنيها فقال أبو بكر : اريد لذلك شهودا ، وبقيت كذلك حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب الى عامله بالمدينة يأمره برد فدك الى ولد فاطمة ، فكانت في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك فقبضها ، فلم تزل في أيدي بني امية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها الى الحسن بن الحسن بن علي ( عليه السلام ) فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب ، فلما ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم ، فلما ولي المهدي أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى الهادي ومن بعده الى أيام المأمون فأمر أن يسجل لهم بها فكتب لهم ، وفيها يقول دعبل : أصبح وجه الزمان قد ضحكا * برد مأمون هاشم فدكا انظر معجم البلدان للحموي : ج ٣ ص ٨٥٦ . ( ٣ ) قاله ابن عباس في تفسيره : ص ١٦٨ . ( ٤ ) الآية ٧٣ . ( * )

/ صفحة ١٠٦ /

(١١٩/٢)

---

لا يفقهون ( ١٢٧ ) لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ( ١٢٨ ) فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ( ١٢٩ ) ) * قرئ : " أو لاترون " بالتاء ( ١ ) أيضا * ( يفتنون ) * أي : يبتلون ويمتحنون بالمرض والقحط وغيرهما من البلايا * ( ثم ) * لا ينتهون و * ( لايتوبون ) * من نفاقهم * ( ولاهم يذكرون ) * لا يعتبرون ، أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من النصرة والتأييد ، أو يفتنهم الشيطان فينقضون عهودهم مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فيقتلهم وينكل بهم ثم لاينزجرون .

* ( نظر بعضهم إلى بعض ) * أي : تغامزوا بعيونهم إنكارا للوحي قائلين : * ( هل يريكم من أحد ) * من المسلمين لننصرف فإنا لانصبر على استماعه ، أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال * ( ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ) * دعاء عليهم بالخذلان ، أو بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح * ( بـ ) * سبب * ( أنهم قوم لا يفقهون ) * لا يتدبرون حتى يفقهوا ويعلموا . * ( من أنفسكم ) * من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ، شديد * ( عليه ) * – لكونه بعضا منكم – عنتكم ولقاؤكم المكروه ، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب * ( حريص عليكم ) * حتى لا يخرج أحد منكم عن الاستسعاد به وبدينه الذي جاء به * ( بالمؤمنين ) * منكم ومن غيركم * ( رءوف رحيم ) * ، وقرئ : " من أنفسكم " ( ٢ ) أي : من أشرفكم وأفضلكم ، وقيل :

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة حمزة ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٢٦ . ( ٢ ) قرأه ابن عباس والزهري وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو و عبد الله بن قسيط المكي ويعقوب من بعض طرقه . راجع تفسير القرطبي : ج ٨ ص ٣٠١ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١١٨ . ( * )





---

هي قراءة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وفاطمة ( عليها السلام ) ( ١ ) . * ( فإن تولوا ) * عن الإيمان بك فاستعن بالله وفوض إليه ، فإنه يكفيك أمرهم وينصرك عليهم . وقيل : هي آخر آية نزلت من السماء ( ٢ ) ، وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت ( ٣ ) . سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : سألته عن سورة التوبة ؟ فقال : تلك الفاضحة ، ما زال ينزل منهم ومنهم ، حتى خشينا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر ( ٤ ) .

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله ابن خالويه في شواذه : ص ٦٠ ، وأبو حيان في بحره : ج ٥ ص ١١٨ . ( ٢ ) وهو قول ابي وسعيد بن جبير والحسن وقتادة . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٣٠ ، وتفسير القرطبي : ج ٦ ص ٥٢٤ . ( ٣ ) قاله البراء بن عازب . راجع تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٣١٧ ، وفي التبيان : ج ٥ ص ١٦٧ : قال مجاهد وقتادة وعثمان : هي آخر ما نزلت على النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالمدينة . ( ٤ ) ذكره الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ١٦٧ . ( * )



سورة يونس مكية ( ١ ) ، وهي مائة وتسع آيات . وفي حديث أبي : " من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات ، بعدد من صدق بيونس وكذب به ، وبعدد من غرق مع فرعون " ( ٢ ) . وعن

الصادق ( عليه السلام ) : " من قرأها في كل شهرين لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين ، وكان يوم القيامة من المقربين " ( ٣ ) . بسم الله الرحمن الرحيم * ( الر تلك ءايت الكتب الحكيم ( ١ ) أكان للناس عجبا أن أوحينا



---

* ( هامش ) * ( ١ ) قال الماوردي : هي مكية كلها عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس : إلا ثلاث آيات من قوله تعالى : * ( فإن كنت في شك ) * الى آخرهن . راجع تفسيره : ج ٢ ص ٤٢٠ . وزاد القرطبي في تفسيره : ج ٨ ص ٣٠٤ : وقال مقاتل : إلا آيتين وهي قوله : * ( فإن كنت في شك ) * نزلت بالمدينة ، وقال الكلبي : مكية إلا قوله : * ( ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ) * نزلت بالمدينة في اليهود ، وقالت فرقة : نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة ، انتهى . وقال الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٢٦ : مكية ، إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية ، وهي مائة وتسع آيات ، نزلت بعد الاسراء . ( ٢ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٧٦ مرسلا . ( ٣ ) ثواب الأعمال للصدوق : ص ١٣٢ . ( * )

/ صفحة ١١٠ /



---

إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكفرون إن هذا لسحر مبين ( ٢ ) ) * * ( تلك ) * إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات * ( الكتب الحكيم ) * اللوح المحفوظ ، أو القرآن ذي الحكمة لاشتماله عليها ، أو نطقه بها . * ( أكان للناس عجبا ) * الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه ، و * ( أن أوحينا ) * اسم * ( كان ) * ، و * ( عجبا ) * خبره ، ومعنى اللام في * ( للناس ) * : أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ، والذي تعجبوا منه : أن يوحى * ( إلى ) * بشر يكون رجلا من جنس رجالهم دون أن يكون عظيما من عظمائهم ، وهذا ليس بعجب ، لأن الله إنما يختار من يستقل بما اختير له من أعباء الرسالة ( ١ ) * ( أن أنذر الناس ) * : * ( أن ) * هي المفسرة ، لأن * ( أوحينا ) * فيه معنى القول ، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة ، وأصله : أنه أنذر الناس ، على معنى : أن الشأن قولنا : أنذر الناس * ( أن لهم ) * أي : بأن لهم ، فحذف الباء * ( قدم صدق ) * أي : سابقة وفضلا * ( عند ربهم )

* ، ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما ، كما سميت النعمة يدا وباعا ( ٢ ) لأنها تعطى باليد وصاحبها يبوع بها ، وإضافته إلى * ( صدق ) * دلالة على زيادة فضل ، وأنه من السوابق العظيمة * ( إن هذا ) * الكتاب " لسحر " ( ٣ ) ، وقرئ : * ( لسحر ) * فعلى هذه القراءة يكون * ( هذا ) * إشارة إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وهو دليل عجزهم واعترافهم بذلك وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا . * ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذا لكم الله * ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : النبوة . ( ٢ ) الباع : قدر مد اليدين . ( الصحاح : مادة بوع ) . ( ٣ ) الظاهر أن المصنف اعتمد هنا على هذه القراءة بحذف الألف متبعا للزمخشري . ( * )



---



ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ( ٣ ) إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصلحت بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ) * ( ٤ ) * ( يدبر الامر ) * يقضيه ويقدره ويرتبه في مراتبه على أحكام عواقبه ، كما يفعل الناظر في أدبار الأمور ، والامر : أمر الخلق كله ، وقد دل سبحانه بالجملة قبلها على عظمة ملكوته بخلق * ( السموات والارض في ) * وقت يسير مع بسطتها واتساعها ، وبالاستواء * ( على العرش ) * ، ثم أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة في أنه لا يخرج شئ من قضائه وتقديره ، وكذا قوله : * ( مامن شفيع إلا من بعد إذنه ) * دليل على العزة والكبرياء * ( ذا لكم ) * إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة ، أي : ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو * ( الله ) * الذي يستحق العبادة منكم ، وهو * ( ربكم فاعبدوه ) * وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع * ( أفلا تذكرون ) * وأصله " تتذكرون " يعني : أن أدنى تذكر ينبه على الخطاء فيما أنتم عليه . * ( إليه مرجعكم جميعا ) * أي : إليه رجوعكم جميعا في العاقبة فاستعدوا للقائه * ( وعد الله ) * مصدر مؤكد لقوله : * ( إليه مرجعكم ) * ، و * ( حقا ) * مصدر مؤكد لقوله : * ( وعد الله ) * ، * ( إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ) * استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه ، وهو : أن الغرض بابتداء الخلق وإعادته جزاء المكلفين على أعمالهم ، وقرئ : " أنه " بالفتح ( ١ ) ، بمعنى : لأنه ، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب * ( وعد الله ) * أي : وعد الله وعدا إبداء الخلق ثم إعادته ، والمعنى : إعادة الخلق

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه عبد الله بن مسعود ويزيد بن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب . راجع

إعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ٢٤٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٢٤ . ( * ) / صفحة ١١٢ /

(١٢٤/٢)

---

بعد إبدائه * ( بالقسط ) * أي : بالعدل ، وهو متعلق بـ " يجزي " والمعنى : ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم ، أو بقسطهم وعدلهم حين * ( ءامنوا وعملوا الصلحت ) * لأن الشرك ظلم ، ويؤيد هذا الوجه أنه يقابل قوله : * ( بما كانوا يكفرون ) * . * ( هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الايت لقوم يعلمون ( ٥ ) إن في اختلف اليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايت لقوم يتقون ( ٦ ) ) * الياء في * ( ضياء ) * منقلبة عن واو ( ١ ) لكسرة ما قبلها ، والضياء أقوى من النور * ( وقدره ) * أي : قدر * ( القمر ) * ، * ( منازل ) * أي : ذا منازل ، أو قدر مسيره منازل ، كقوله : * ( والقمر قدرنه منازل ) * ( ٢ ) ، * ( والحساب ) * حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي * ( ذلك ) * إشارة إلى المذكور ، أي : * ( ما خلق ) * - هـ * ( إلا ) * ملتبسا * ( بالحق ) * الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا . وخص " المتقين " لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم ذلك إلى التأمل والنظر . * ( إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوا ة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن ءايتنا غفلون ( ٧ ) أولئك مأوبهم النار بما كانوا يكسبون ( ٨ ) إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت يهديهم ربهم بإيمنهم تجري من تحتهم الانهر في جنت النعيم ( ٩ ) دعوبهم فيها سبحنك اللهم وتحيتهم فيهاسلم وءاخر دعويهم أن الحمدلله رب العلمين ( ١٠ ) ) * أي : لا يأملون حسن * ( لقاءنا ) * كما يأمله السعداء ، أو : لا يخافون سوء لقائنا * ( ورضوا بالحيوا ة الدنيا ) * قنعوا بها من الآخرة ، واختاروا القليل الفاني على

* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة زيادة : ضوء . ( ٢ ) يس : ٣٩ . ( * ) / صفحة ١١٣ /

(١٢٥/٢)

---

الكثير الباقي * ( واطمأنوا بها ) * وسكنوا إليها سكون من لا يزعج عنها * ( والذين هم عن ءايتنا غفلون ) * ذاهبون عن تأملها ، ذاهلون عن النظر فيها . * ( يهديهم ربهم بإيمنهم ) * يوفقهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق الموصل إلى الثواب ، ولذلك جعل قوله : * ( تجري

من تحتهم الانهر ) * بيانا له وتفسيرا ، لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ، أو : * ( يهديهم ) * في الآخرة بنور إيمانهم إلى سبيل الجنة ، نحو قوله : * ( يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم ) * ( ١ ) . * ( دعوبهم ) * أي : دعاؤهم * ( فيها سبحنك اللهم ) * ، ومعناه : اللهم إنا نسبحك ، كما ورد في دعاء القنوت : " اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد " ( ٢ ) ، ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة على معنى : أنه لا تكليف في الجنة ولا عبادة ، وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه ، وينطقون بذلك تلذذا من غير كلفة * ( وءاخر دعويهم ) * وخاتمة دعائهم * ( أن ) * يقولوا : * ( الحمد لله رب العلمين ) * ، وقوله : * ( وتحيتهم فيها سلم ) * معناه : أن بعضهم يحيي بعضا بالسلام ، وقيل : هي تحية الملائكة إياهم ( ٣ ) ، فيكون المصدر مضافا إلى المفعول ، وقيل : هي تحية الله لهم ( ٤ ) ، و " أن " هي المخففة من الثقيلة ، وأصله : أنه الحمد لله . * ( ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغينهم يعمهون ( ١١ ) وإذا مس الانسن الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ( ١٢ ) ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) الحديد : ١٢ . ( ٢ ) المزار للمشهدي : ص ١٣٩ . ( ٣ ) قاله الضحاك كما في تفسير السمرقندي : ج ٢ ص ٩٠ . ( ٤ ) حكاه الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٨ . ( * )



---

وضع * ( استعجالهم بالخير ) * موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل له ، والمراد قول من قال : * ( فأمطر علينا حجارة من السماء ) * ( ١ ) ، والمعنى : * ( ولو ) * عجلنا لهم * ( الشر ) * الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه * ( لقضى إليهم أجلهم ) * لأميتوا وأهلكوا ، وقرئ : " لقضى إليهم أجلهم " ( ٢ ) وتنصره قراءة عبد الله : " لقضينا إليهم أجلهم " ( ٣ ) ، * ( فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ) * معناه : فلا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم ، فنذرهم * ( في طغينهم ) * أي : فنمهلهم ونملي لهم إلزاما للحجة عليهم . وقوله : * ( لجنبه ) * في موضع الحال أي : مضطجعا ، والمعنى : أنه لا يزال داعيا لا يفتر في الدعاء حتى يزول عنه * ( الضر ) * فهو يدعو في حالاته كلها ليستدفع البلاء ، و * ( الانسن ) * للجنس * ( فلما كشفنا ) * أي : أزلنا * ( عنه ضره مر ) * أي : مضى على طريقته الأولى قبل أن مسه الضر ، أو مر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به * ( كأن ) * تخفيف " كأن " وحذف ضمير الشأن منه ، كقوله : كأن ظبية تعطو إلى

وارق السلم ( ٤ ) * ( كذلك ) * أي : مثل ذلك التزيين * ( زين للمسرفين ) * زين الشيطان بوسوسته لهم ترك الدعاء عند الرخاء واتباع الشهوات والأماني الباطلة .
* ( هامش ) * ( ١ ) الأنفال : ٣٢ . ( ٢ ) وهي قراءة ابن عامر ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٤٤ . ( ٣ ) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٣٢ . ( ٤ ) البيت منسوب لباعث بن صريم اليشكري عن سيبويه والنحاس ، وقيل : لأرقم بن علباء اليشكري عن القالي ، وقيل : لراشد بن شهاب اليشكري عن أبي عبيد البكري ، وقيل لغيرهم . وصدره : ويوما توافينا بوجه مقسم . راجع خزانة الأدب للبغدادي : ج ١٠ ص ٤١١ . ( * )
/ صفحة ١١٥ /

(١٢٧/٢)

---

* ( ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينت وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ( ١٣ ) ثم جعلنكم خلئف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ( ١٤ ) ) * * ( لما ) * ظرف لـ * ( أهلكنا ) * ، والواو في * ( وجاءتهم ) * للحال ، أي : * ( ظلموا ) * بالتكذيب وقد * ( جاءتهم رسلهم ) * بالمعجزات والدلالات * ( وما كانوا ليؤمنوا ) * اللام لتأكيد النفي ، أي : وما كانوا يؤمنون حقا ، والمعنى : أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل ، وعلم الله إصرارهم على الكفر ، وأنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزمتهم الحجة بإرسال الرسل * ( كذلك ) * أي : مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك * ( نجزى ) * المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا ، وهو وعيد لأهل مكة . * ( ثم جعلنكم خلئف ) * أي : استخلفناكم * ( في الارض من بعد ) * القرون التي أهلكناها * ( لننظر ) * أتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم ، و * ( كيف ) * في محل نصب بـ * ( تعملون ) * : إما حالا وإما مصدرا ، والنظر هنا مستعار بمعنى العلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجودا ، شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه . * ( وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينت قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرءان غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقآءى نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ( ١٥ ) قل لو شآء الله ما تلوته عليكم ولا أدربكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ( ١٦ ) فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بايته إنه لا يفلح المجرمون ( ١٧ ) ) * أي : قالوا : * ( ائت بقرءان ) * آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم عبادة الأوثان
/ صفحة ١١٦ /

(١٢٨/٢)

والوعيد لعابديها * ( أو بدله ) * بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة ، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها ، فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت مقدور الإنسان ، فأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان * ( ما يكون لى ) * ما ينبغي لي * ( أن أبدله من تلقآءى نفسي ) * من قبل نفسي ، من غير أن يأمرني بذلك ربي * ( إن أتبع إلا ما يوحى إلى ) * لا آتي ولا أذر شيئا من نحو ذلك إلا متبعا لوحي الله ، إن نسخت آية أو بدلت مكان أخرى تبعت ذلك ، وليس إلي تبديل ولا نسخ * ( إنى أخاف إن عصيت ربى ) * في التبديل والنسخ من عند نفسي * ( عذاب يوم عظيم ) * . * ( قل لو شآء الله ما تلوته عليكم ) * يعني : أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارقا للعادة ، وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه العلماء فيقرأ عليكم كتابا بهر بفصاحته كل كلام فصيح ، مشحونا بعلوم الأصول والفروع والإخبار بما كان ويكون لا يعلمها إلا الله ، وقد نشأ فيكم لم تسمعوا منه حرفا من ذلك منذ أربعين سنة * ( ولا أدربكم به ) * أي : ولا أعلمكم به على لساني ، وقرئ : " ولادربكم به " ( ١ ) على إثبات الإدراء ، واللام لام الابتداء ، والمعنى : لو شاء الله ماتلوته أنا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه خصني بهذه الكرامة * ( فقد لبثت فيكم عمرا ) * أي : فقد أقمت فيما بينكم ناشئا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه فتتهموني باختراعه * ( أفلا تعقلون ) * فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله تعالى . * ( ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة ابن كثير إلا عن البزي وأبي ربيعة وقنبل إلا المالكي والعطار . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٥١ ، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٥ ص ١٣٢ . ( * )

/ صفحة ١١٧ /



شفعاؤنا عند الله قل أتنبون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحنه وتعلى عما يشركون ( ١٨ ) وما كان الناس إلا أمة وا حدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ( ١٩ ) ) * كان أهل الطائف * ( يعبدون ) * اللات ( ١ ) ، وأهل مكة العزى ( ٢ ) ومناة ( ٣ ) وهبل ( ٤ ) ،

* ( هامش ) * ( ١ ) قال هشام بن السائب الكلبي في كتابه الأصنام : ص ٣١ - ٣٣ : واللات بالطائف ، وكانت صخرة مربعة ، وكان يهودي يلت عندها السويق ، وسدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك ، وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، وكانت في موضع منارة

مسجد الطائف اليسرى اليوم ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) من هدمها وحرقها بالنار ، وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجشمي : لا تنصروا اللات إن الله مهلكها * وكيف نصركم من ليس ينتصر إن التي حرقت بالنار فاشتعلت * ولم تقاتل لدي أحجارها هدر ( ٢ ) وقال : وكان الذي اتخذ العزى ظالم بن اسعد ، وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض ، فبنى عليها بيتا ، وكانوا يسمعون فيه الصوت ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ، وسدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم ، ولم تزل كذلك حتى بعث الله نبيه ( صلى الله عليه وآله ) فعابها وغيرها ونهاهم عن عبادتها ، فلما كان عام الفتح دعا النبي ( صلى الله عليه وآله ) الى هدمها فهدمت . المصدر السابق : ص ٣٣ – ٤٢ . ( ٣ ) وقال : وكانت أقدمها كلها ، وكانت منصوبة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعا تعظمها وتذبح لها ويهدون لها ، ولم يكن أحد أشد إعظاما لها من الأوس والخزرج ، فلم تزل ذلك حتى خرج رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) من المدينة سنة ( ٨ ) هجرية وهو عام فتح الله عليه ، فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس



---

بعث عليا ( عليه السلام ) إليها فهدمها وأخذ ما كان لها ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان أهداهما لها ، فوهبهما النبي ( صلى الله عليه وآله ) لعلي ( عليه السلام ) . المصدر نفسه : ص ٢٨ – ٣١ . ( ٤ ) وقال : وكان أعظمها عندهم ، وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة ، وكان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقداح مكتوب في أولها صريح والآخر ملصق ، فإذا شكوا في نسب مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج صريح ألحقوه ، وإن كان ملصقا دفعوه ، وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، فإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه . فلما ظفر = ( * )

/ صفحة ١١٨ /

وإساقا ونائلة ( ١ ) ، وكانوا يقولون : * ( هؤلاء شفعؤنا عند الله قل أتنبون الله ) * أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إخبار * ( بما ) * ليس بمعلوم لله ، وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا ، لأن الشئ ما يصح أن يعلم وقد أخبرتم بما لا يدخل تحت الصحة ، وقوله : * ( في السموات ولا في الارض ) * تأكيد لنفيه ، لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف معدوم * ( عما يشركون ) * " ما " موصولة أو مصدرية ، أي : عن الشركاء الذين

يشركونهم به ، أو عن إشراكهم ، وقرئ : " تشركون " بالتاء ( ٢ ) أيضا . * ( وما كان الناس إلا أمة وا حدة ) * متفقين على ملة واحدة ودين واحد من غير أن يختلفوا بينهم ، وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل ، وقيل : بعد الطوفان ( ٣ ) * ( ولولا كلمة سبقت من ربك ) * وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم



---

* ( هامش ) * = رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يوم فتح مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة ، فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول : * ( جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ) * ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم اخرجت وحرقت ، وفيه يقول راشد بن عبد الله السلمي : قالت : هلم الى الحديث فقلت : لا * يأبى الإله عليك والإسلام أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح حين تكسر الاصنام لرأيت نور الله أضحى ساطعا * والشرك يغشى وجهه الإظلام راجع المصدر السابق : ص ٤٣ – ٤٧ . ( ١ ) وقال الكلبي : وكان لهم إساف ونائلة ، وهما رجل وامرأة من جرهم من أرض اليمن ، وكان أساف يتعشقها ، فاقبلوا حجاجا الى الكعبة فدخلا الكعبة فوجدا خلوة ففجر بها فمسخا حجرين ووضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها ، وكان أحدهما بلصق الكعبة الى الآخر ، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما . المصدر نفسه : ص ٤٤ – ٤٥ . ( ٢ ) قرأه حمزة والكسائي . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٤٨ . ( ٣ ) قاله الضحاك والكلبي ، وروي عن الباقر ( عليه السلام ) . راجع تفسير العياشي : ج ١ ص ١٠٤ ح ٣٠٨ ، وتفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٢٨ . ( * )

/ صفحة ١١٩ /



---

القيامة * ( لقضى بينهم فيما ) * اختلفوا * ( فيه ) * ويميز المحق من المبطل ، ولكن الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار للتكليف وتلك للثواب والعقاب . * ( ويقولون لولا أنزل عليه ءاية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ( ٢٠ ) وإذآ أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في ءاياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ( ٢١ ) ) * أرادوا * ( ءاية ) * من الآيات التي كانوا يقترحونها * ( فقل إنما الغيب لله ) * هو المختص به ،

والصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو * ( فانتظروا ) * نزول ما اقترحتموه * ( إنى معكم من المنتظرين ) * لما يفعل الله بكم لعنادكم وتماديكم في جحود الآيات الباهرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها ، ومن جملتها القرآن المعجز الباقي على وجه الدهر . * ( إذا ) * الأولى للشرط والأخيرة جوابها ، وهي ظرف مكان ، والمكر : إخفاء المكيدة وطيها ، من الجارية الممكورة : المطوية الخلق ، و * ( مستهم ) * خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ، وهو أنه سبحانه سلط على أهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ، ثم لما رحمهم بالحيا ( ١ ) صاروا يطعنون في آيات الله ويعادون رسوله ويكيدونه ، فلذلك وصفهم بسرعة المكر حتى أتى بكلمة المفاجأة ، فكأنه قال : فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه * ( قل الله أسرع مكرا ) * يدبر عقابكم ويوقعه بكم قبل أن تدبروا في إطفاء نور الإسلام * ( إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ) * إعلام بأن ما يظنونه خافيا غير خاف عند الله تعالى . * ( هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين

* ( هامش ) * ( ١ ) أحيا القوم : إذا صاروا في الحيا وهو الخصب ، وأيضا : المطر . ( الصحاح : مادة حيا ) . ( * )

/ صفحة ١٢٠ /

*(١٣٣/٢)*

---

بهم بريح طيبة وفرحوا بها جآءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين ( ٢٢ ) فلمآ أنجيهم إذا هم يبغون في الارض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متع الحيواة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ( ٢٣ ) ) * قرئ : " ينشركم " ( ١ ) من النشر ، ومثله : * ( ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ) * ( ٢ ) والمعنى : * ( هو الذي ) * يمكنكم من السير بما هيأ لكم من أسباب السير * ( في البر ) * بخلق الدواب وتسخيرها لكم * ( و ) * في * ( البحر ) * بإرسال الرياح التي تجري السفن في الجهات المختلفة * ( حتى إذا كنتم في الفلك ) * خص الخطاب براكبي البحر ، أي : إذا كنتم في السفن * ( وجرين بهم ) * عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، أي : وجرت الفلك أي : السفن بالناس * ( بريح طيبة ) * لينة يستطيبونها ، وجواب * ( إذا ) * قوله : * ( جآءتها ريح عاصف ) * أي : شديدة الهبوب هائلة * ( وجاءهم الموج من كل مكان ) * من أمكنة الموج * ( وظنوا أنهم أحيط بهم ) * وهو مثل في الهلاك * ( دعوا الله ) * هو بدل من * ( ظنوا ) * لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك ، وهو ملتبس به ، والجملة الشرطية الواقعة بعد * ( حتى ) * بما في حيزها غاية للتسيير ، فكأنه قال :

هو الذي يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء ، وقال : * ( مخلصين له الدين ) * لأنهم
* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة زيد بن ثابت وابن عامر وأبي جعفر يزيد بن القعقاع والحسن وأبي العالية وزيد ابن علي و عبد الله بن جبير وأبي عبد الرحمن وشيبة . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٥٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٣٧ . ( ٢ ) الروم : ٢٠ . ( * )
/ صفحة ١٢١ /

(١٣٤/٢)

---

لا يدعون حينئذ غيره معه * ( لئن أنجيتنا ) * على إرادة القول ، أو لأن * ( دعوا ) * من جملة القول . * ( يبغون في الارض ) * يفسدون فيها ويعيثون ممعنين في ذلك ، وقرئ : * ( متع الحيواة الدنيا ) * بالنصب ، والفرق بين القراءتين ( ١ ) أنك إذا رفعت كان " المتاع " خبر المبتدأ الذي هو * ( بغيكم ) * ، و * ( على أنفسكم ) * صلته كقوله : * ( فبغى عليهم ) * ( ٢ ) ، ومعناه : إنما بغيكم على أمثالكم ، أي : بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها ، وإذا نصبت فالخبر * ( على أنفسكم ) * والمعنى : إنما بغيكم وبال على أنفسكم ، و * ( متع ) * مصدر مؤكد . وفي الحديث : " لا تمكر ولا تعن ماكرا ، ولا تبغ ولا تعن باغيا ، ولا تنكث ولا تعن ناكثا " وكان يتلوها ( ٣ ) . وروي : " ثنتان يعجلهما الله في الدنيا : البغي ، وعقوق الوالدين " ( ٤ ) . * ( إنما مثل الحيواة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعم حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتيهآ أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايت لقوم يتفكرون ( ٢٤ ) والله يدعوا إلى دار السلم ويهدي من يشآء إلى صرا ط مستقيم ( ٢٥ ) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون ( ٢٦ ) ) *
* ( هامش ) * ( ١ ) يظهر أن المصنف ( قدس سره ) اعتمد على القراءة الأخرى أي بالرفع كما هو واضح من عبارته . ( ٢ ) القصص : ٧٦ . ( ٣ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٣٩ . ( ٤ ) رواه البخاري في تاريخه الكبير : ج ١ ص ١٦٦ . ( * )
/ صفحة ١٢٢ /

(١٣٥/٢)

---

شبه حال * ( الدنيا ) * في سرعة انقضائها بحال * ( نبات الارض ) * في جفافه بعد خضرته ونضرته * ( فاختلط به ) * فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا * ( أخذت الارض زخرفها وازينت ) * مثل الأرض بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون ، فاكتستها وتزينت بغيرها من أنواع الزين ، وأصل * ( ازينت ) * : تزينت * ( قدرون عليها ) * متمكنون منها محصلون لمنفعتها * ( أتيهآ أمرنا ) * وهو ضرب زروعها ببعض العاهات والآفات بعد أمنهم وإيقانهم أنه قد سلم * ( فجعلنها ) * أي : فجعلنا زرعها * ( حصيدا ) * شبيها بما يحصد من الزرع من قطعه واستئصاله * ( كأن لم تغن ) * أي : كأن لم تغن زرعها ، فحذف المضاف ، أي : لم ينبت ، ولابد من حذف المضاف الذي هو الزرع في هذه المواضع وإلا لم يستقم المعنى . وعن الحسن : " كأن لم يغن " بالياء ( ١ ) ، على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع ، و " الأمس " : مثل في الوقت القريب ، كأنه قيل : كأن لم يوجد من قبل . * ( دار السلم ) * الجنة ، أضافها إلى اسمه ، وقيل : السلام : السلامة ( ٢ ) ، لأن أهلها سالمون من كل مكروه ، وقيل : لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم ( ٣ ) * ( ويهدي ) * ويوفق * ( من يشآء ) * وهم الذين لهم في المعلوم لطف يجدي عليهم . و * ( الحسنى ) * : المثوبة الحسنى * ( وزيادة ) * وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ، ويدل عليه قوله : * ( ويزيدهم من فضله ) * ( ٤ ) ، وعن علي ( عليه السلام ) : " الزيادة : غرفة من لؤلؤة واحدة " ( ٥ ) ، وعن ابن عباس : الزيادة : عشر

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٤١ . ( ٢ ) وهو قول الزجاج والجبائي . راجع معاني القرآن : ج ٣ ص ١٥ ، والتبيان : ج ٥ ص ٣٦٤ . ( ٣ ) حكاه الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٣٤١ . ( ٤ ) النساء : ١٧٣ ، والشورى : ٢٦ . ( ٥ ) أخرجه الطبري من طرقه في تفسيره : ج ٦ ص ٥٥٢ ح ١٧٦٤٩ و ١٧٦٥٠ و ١٧٦٥١ . ( * )



---



أمثالها ( ١ ) ، وعن مجاهد ( ٢ ) : الزيادة : مغفرة من الله ورضوان ( ٣ ) * ( ولا يرهق وجوههم ) * ولا يغشاها * ( قتر ) * غبرة فيها سواد * ( ولا ذلة ) * ولا أثر هوان ، والمعنى : لا يرهقهم ما يرهق أهل النار ، كقوله : * ( ترهقها قترة ) * ( ٤ ) ، و * ( ترهقهم ذلة ) * . * ( والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنمآ أغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما أولئك أصحب النار هم فيها خلدون ( ٢٧ ) ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ( ٢٨ ) فكفي بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغفلين ( ٢٩ ) هنالك تبلوا كل نفس مآ أسلفت وردوا إلى

الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ( ٣٠ ) * * ( والذين كسبوا ) * إما أن يكون معطوفا على قوله : * ( للذين أحسنوا ) * كأنه قيل : * ( و ) * لـ * ( الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها ) * ، وإما أن يكون تقديره : * ( و ) * جزاء * ( الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها ) * ، والمعنى : جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بمثلها لا يزاد عليها ، وهذا أوجه لأن في الأول



---

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٣٣ . ( ٢ ) هو مجاهد بن جبر ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر من أهل مكة ، قال الذهبي : أخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات . تنقل في الأسفار واستقر في الكوفة ، أما كتابه في التفسير فيتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب ، يعني اليهود والنصارى ، مات بمكة سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . انظر ميزان الاعتدال للذهبي : ج ٣ ص ٩ . ( ٣ ) حكاه عنه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٥٥٢ ح ١٧٦٥٥ ، والسيوطي في الدر المنثور : ج ٤ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم ، وأبو حيان في البحر المحيط : ج ٥ ص ١٤٦ . ( ٤ ) عبس : ٤١ . ( * ) / صفحة ١٢٤ /



---

عطفا على عاملين ، وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة : الفضل * ( ما لهم من الله من عاصم ) * أي : لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ، أو مالهم من جهة الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين * ( مظلما ) * حال من الليل ، ومن قرأ : " قطعا " بالسكون ( ١ ) جعله صفة له * ( مكانكم ) * الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم ، و * ( أنتم ) * تأكيد للضمير في * ( مكانكم ) * ، لأنه سد مسد " الزموا " * ( وشركاؤكم ) * عطف عليه * ( فزيلنا بينهم ) * ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا * ( ما كنتم إيانا تعبدون ) * إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم . * ( إن كنا ) * هي المخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة ، وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل ، وقيل : هم الأصنام ينطقها الله عزوجل بذلك مكان الشفاعة التي رجوها منهم ( ٢ ) . * ( هنالك ) * أي :

في ذلك المقام ، أو في ذلك الوقت على الاستعارة * ( تبلوا ) * أي : تختبر وتذوق * ( كل نفس مآ أسلفت ) * من العمل فتعرف كيف هو ، أنافع أم ضار ؟ أو مقبول أو مردود ؟ ومنه * ( يوم تبلى السرائر ) * ( ٣ ) ، وقرئ : " تتلوا " ( ٤ ) أي : تتبع ما أسلفت ، لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار ، أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر * ( مواليهم الحق ) * ربهم الصادق ربوبيته ، أو الذي يتولى حسابهم العدل الذي لا يجور * ( وضل عنهم ما كانوا يفترون ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة ابن كثير والكسائي ويعقوب . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٢٥ . ( ٢ ) قاله مجاهد وابن زيد وابن عطية راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٥٥٦ . ( ٣ ) الطارق : ٩ . ( ٤ ) قرأه حمزة والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٢٥ . ( *





---

وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله . * ( قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصر ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ( ٣١ ) فذا لكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلل فأنى تصرفون ( ٣٢ ) كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ( ٣٣ ) ) * أي : * ( من يرزقكم ) * منهما جميعا ؟ لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته * ( أمن يملك السمع والابصر ) * من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي هما عليه من الفطرة العجيبة ؟ أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات ؟ * ( ومن يدبر الامر ) * ومن يلي تدبير أمر العالم كله ؟ * ( أفلا تتقون ) * عقابه في عبادة غيره . * ( فذا لكم ) * إشارة إلى من هذه صفته وأفعاله * ( الله ربكم الحق ) * الثابت ربوبيته وإلهيته ثباتا لاريب فيه لمن نظر * ( فماذا بعد الحق إلا الضلل ) * لأن الحق والضلال لا واسطة بينهما ، فمن تعدى الحق وقع في الضلال * ( فأنى تصرفون ) * عن الحق ؟ * ( كذلك ) * أي : مثل ذلك الحق * ( حقت كلمت ربك ) * أي : كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال فكذلك حقت كلمة ربك * ( على الذين ) * تمردوا في الكفر وخرجوا إلى الغاية القصوى فيه * ( أنهم لا يؤمنون ) * بدل من " الكلمة " ، أي : حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله ذلك منهم ، أو أراد بالكلمة : العذاب ، و * ( أنهم لا يؤمنون ) * تعليل ، بمعنى : لأنهم لا يؤمنون . * ( قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق

ثم يعيده فأنى تؤفكون ( ٣٤ ) قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ( ٣٥ ) وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيا إن الله عليم بما يفعلون ( ٣٦ ) ) * وضع سبحانه إعادة الخلق موضع ما يكون دافعه مكابرا ، لظهور برهانه ، ثم قال لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) : * ( قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ) * أمره أن ينوب عنهم في الجواب ، إذ لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق ، هداه للحق وإلى الحق : لغتان ، فجمع سبحانه بين اللغتين ، ويقال : هدى بنفسه ، بمعنى : اهتدى ، كما يقال : شرى بمعنى : اشترى ، ومنه قراءة من قرأ : " أمن لا يهدي " ( ١ ) ، وقرئ : " لا يهدي " بفتح الهاء ( ٢ ) وبكسرها ، وبكسر الهاء والياء ( ٣ ) ، وأصله : " يهتدي " ، فأدغم وفتحت الهاء لحركة التاء ، أو كسرت لالتقاء الساكنين ، وكسرت الياء لاتباع ما بعدها ، ومعناه : أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول ومكنهم من النظر في الأدلة ووقفهم ( ٤ ) على الشرائع ، ف * ( هل من شركائكم ) * الذين جعلتموهم لله أندادا أحد * ( يهدي إلى الحق ) * مثل هداية الله ؟ ثم قال : * ( أفمن يهدي إلى الحق ) * هذه الهداية * ( أحق ) * بالاتباع أم الذي * ( لا يهدي ) * أي : لا يهتدي بنفسه ، أو لا يهدي غيره * ( إلا أن ) * يهديه الله ،



* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف والمفضل ويحيى بن وثاب والأعمش . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٢٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٥٦ . ( ٢ ) قرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وورش وابن محيصن . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٧٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٥٦ . ( ٣ ) وهي قراءة عاصم برواية أبي بكر كما في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٢٦ ، وفي التبيان : ج ٥ ص ٣٧٥ : هي قراءة أبي بكر إلا الأعشى والبرجمي . ( ٤ ) في بعض النسخ : وفقهم ، وفي بعض الآخر زيادة : وأعلمهم . ( * )

/ صفحة ١٢٧ /

أو لا يهتدي إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه ؟ ! * ( فما لكم كيف تحكمون ) * بالباطل ؟ ! * ( وما يتبع أكثرهم ) * في إقرارهم بالله * ( إلا ظنا ) * لأنه قول لا يسند إلى دليل * ( إن الظن ) * في معرفة الله * ( لا يغنى من الحق ) * وهو العلم * ( شيا إن الله عليم بما يفعلون ) * وعيد . * ( وما كان هذا القرءان أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتب لاريب فيه من رب العلمين ( ٣٧ ) أم يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ( ٣٨ ) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عقبة الظلمين ( ٣٩ ) ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ( ٤٠ ) ) * أي : * ( وما كان هذا القرءان ) * افتراء * ( من دون الله ولكن ) * كان * ( تصديق الذي بين يديه ) * وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة ، لأنه معجز دونها ، وهو عيار عليها وشاهد بصحتها ، ومعنى * ( وما كان . . . أن يفترى ) * : وما صح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله في إعجازه وعلو شأنه مفترى * ( وتفصيل الكتب ) * وتبيين ما شرع وفرض من الأحكام من قوله : * ( كتب الله عليكم ) * ( ١ ) ، * ( ولكن ) * كان القرآن تصديقا للكتب السماوية وتفصيلا للأحكام الشرعية ، منتفيا عنه الريب كائنا * ( من رب العلمين ) * . * ( أم يقولون افتريه ) * بل أيقولون : اختلقه ؟ ! والهمزة : إما تقرير لإلزام الحجة عليهم ، أو استبعاد لقولهم وإنكار ، والمعنيان متقاربان * ( قل ) * إن افتريته كما

* ( هامش ) * ( ١ ) النساء : ٢٤ . ( * )

/ صفحة ١٢٨ /



زعمتم * ( فأتوا ) * أنتم * ( بسورة ) * مفتراة * ( مثله ) * في البلاغة وحسن النظم ، كما أنتم مثلي في العربية والفصاحة * ( وادعوا من استطعتم ) * للاستعانة به على الإتيان بمثله * ( من دون الله ) * يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ، فاستعينوا بكل من دونه على ذلك * ( إن كنتم صدقين ) * أنه

افتراه . * ( بل كذبوا ) * بالقرآن قبل أن يعلموا كنه أمره ، ويقفوا على * ( تأويله ) * ومعانيه ، لنفورهم عما يخالف ما ألفوه من دين آبائهم ، وقيل : * ( ولما يأتهم تأويله ) * أي : ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب – أي عاقبته – حتى تبين لهم أهو كذب أم صدق ( ١ ) ، يعني : أنه كتاب معجز من جهتين : إعجاز نظمه ، وما فيه من الإخبار بالغائبات ، فسارعوا إلى

التكذيب قبل أن ينظروا في بلوغه حد الإعجاز ، وقبل أن يختبروا إخباره بالمغيبات . * ( ومنهم من يؤمن به ) * في نفسه ويعلم أنه حق ، ولكنه يعاند * ( ومنهم من لا ) * يصدق * ( به ) * ، أو : ومنهم من سيؤمن به في المستقبل ، ومنهم من يصر على الكفر * ( وربك أعلم بالمفسدين ) * بالمعاندين ، أو المصرين . * ( وإن كذبوك فقل لى عملي ولكم عملكم أنتم بريون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون ( ٤١ ) ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ( ٤٢ ) ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون ( ٤٣ ) إن الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ( ٤٤ ) ) * * ( وإن ) * يئست من إجابتهم وأصروا على تكذيبك فتبرأ منهم وخلهم ، فقد

* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه الشيخ في التبيان : ج ٥ ص ٣٨٠ . ( * )

/ صفحة ١٢٩ /



---

أعذرت إليهم ، ومثله : * ( فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون ) * ( ١ ) ، * ( قل يأيها الكفرون ) * إلى آخر السورة ( ٢ ) ، وقيل : هي منسوخة بآية القتال ( ٣ ) . * ( ومنهم من يستمعون إليك ) * أي : ناس يستمعون إذا قرأت القرآن وعلمت الأحكام ولكنهم لا يقبلون ولا يعون ، وناس ينظرون إليك ويعاينون دلالاتك وأعلام نبوتك ولكنهم لا يصدقون ، ثم قال : أتقدر على إسماع * ( الصم ) * ولو انضم إلى صممهم عدم العقل ؟ ! لأن الأصم العاقل ربما استدل وعلم ، و : أتطمع أن تقدر على هداية * ( العمى ) * ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة ؟ ! يعني : أنهم في اليأس من قبولهم وتصديقهم كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر . * ( إن الله لا يظلم الناس شيا ) * لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم ، أو لا يظلمهم في تعذيبهم يوم القيامة ، بل العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق . * ( ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ( ٤٥ ) وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ( ٤٦ ) ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ( ٤٧ ) ) * يستقربون أيام لبثهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بها ، وقيل : في القبور لهول ما يرون ( ٤ ) * ( يتعارفون بينهم ) * يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا ( ٥ ) إلا قليلا ، وذلك عند خروجهم من القبور ، ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم ، قوله : * ( كأن لم يلبثوا ) * حال من " هم " أي : نحشرهم مشابهة أحوالهم أحوال من لم

* ( هامش ) * ( ١ ) الشعراء : ٢١٦ . ( ٢ ) سورة " الكافرون " . ( ٣ ) قاله ابن زيد والكلبي ومقاتل . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٨١ ، وتفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٥٥ . ( ٤ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ١٧٤ ، وتفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٥٥ ، واختاره الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٢٢ . ( ٥ ) في بعض النسخ : يتعارفوا . ( * )

/ صفحة ١٣٠ /

يلبث * ( إلا ساعة ) * ، و * ( يتعارفون ) * جملة مبينة لقوله : * ( كأن لم يلبثوا إلا ساعة ) * ، لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد ويصير تناكرا ، أو يتعلق بالظرف * ( قد خسر ) * على إرادة القول ، أي : يتعارفون بينهم قائلين ذلك ، أو هو شهادة من الله على خسرانهم ، والمعنى : قد خسروا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر * ( وما كانوا مهتدين ) * للتجارة عارفين بها ، وهو استئناف فيه معنى التعجب ، كأنه قال : ما أخسرهم ! * ( فإلينا مرجعهم ) * جواب * ( نتوفينك ) * ، وجواب * ( نرينك ) * محذوف كأنه قال : وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك ، أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة * ( ثم الله شهيد ) * ذكر الشهادة والمراد مقتضى الشهادة وهو العقاب ، فكأنه قال : ثم الله معاقب * ( على ما يفعلون ) * . * ( ولكل أمة رسول ) * يبعث إليهم * ( فإذا جاء رسولهم ) * بالمعجزات فكذبوه * ( قضى بينهم ) * أي : بين النبي ومن كذبه * ( بالقسط ) * بالعدل ، فأنجي الرسول وعذب المكذبون ، وقيل : * ( ولكل أمة ) * يوم القيامة * ( رسول ) * تنسب إليه * ( فإذا جاء رسولهم ) * الموقف فيشهد عليهم بالكفر والإيمان * ( قضى بينهم ) * ( ١ ) . * ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صدقين ( ٤٨ ) قل لا أملك لنفسي ضرا ولانفعا إلا ما شآء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستخرون ساعة ولا يستقدمون ( ٤٩ ) قل أرءيتم إن أتيكم عذابه بيتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ( ٥٠ ) أثم إذا ما وقع ءامنتم به ءآلن وقد كنتم به



تستعجلون ( ٥١ ) ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ( ٥٢ ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله مجاهد ومقاتل . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٨٧ ، وتفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٥٦ . ( * )

/ صفحة ١٣١ /

* ( متى هذا الوعد ) * استعجال لما وعدوا من العذاب على سبيل التكذيب والاستبعاد * ( قل لا أملك لنفسي ضرا ) * من فقر أو مرض * ( ولا نفعا ) * من غنى أو صحة * ( إلا ما شآء الله ) * استثناء منقطع ، أي : ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر ؟ ! * ( لكل أمة أجل ) * في عذابهم وحد محدود من الزمان * ( إذا جاء ) * ذلك الوقت أنجز وعدكم فلا تستعجلوه . * ( إن أتيكم عذابه بيتا ) * ظرف ، أي : وقت بيات فبيتكم وأنتم نائمون * ( أو نهارا ) * أي : أو في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب معاشكم ، والبيات بمعنى التبييت ، كالسلام بمعنى التسليم * ( ماذا يستعجل منه المجرمون ) * أي : أي شئ يستعجلون من العذاب وليس شئ منه يوجب الاستعجال ؟ ويجوز أن يكون معناه التعجب ، كأنه قال : أي هول شديد يستعجلون منه ؟ ! وقيل : الضمير في * ( منه ) * لله تعالى وتعلق الاستفهام بـ * ( أرءيتم ) * ( ١ ) ، والمعنى : أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون ؟ وجواب الشرط محذوف وهو " تندموا على الاستعجال " أو " تعرفوا الخطأ فيه " ، ويجوز أن يكون * ( ماذا يستعجل منه المجرمون ) * جوابا للشرط ، كقولك : إن أتيتك ماذا تطعمني ؟ ثم تتعلق الجملة بـ * ( أرءيتم ) * ، وأن يكون * ( أثم إذا ما وقع ءامنتم به ) * جواب الشرط ، و * ( ماذا يستعجل منه المجرمون ) * اعتراضا ، والمعنى : إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان به ؟ ودخول حرف الاستفهام على " ثم " كدخوله على الواو والفاء في قوله : * ( أفأمن ) * ( ٢ ) * ( أو أمن أهل القرى ) * ( ٣ ) ، * ( ءآلن ) * على إرادة القول ، أي : قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب : الآن آمنتم به وقد



---

كنتم تكذبون به ؟ لأن استعجالهم كان

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٤٦٧ . ( ٢ و ٣ ) الأعراف : ٩٧ و ٩٨ . ( * )

/ صفحة ١٣٢ /

للتكذيب . * ( ثم قيل للذين ظلموا ) * عطف على " قيل " المضمر قبل * ( ءآلن ) * . * ( ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين ( ٥٣ ) ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ( ٥٤ ) ألا إن لله ما في السموات والارض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ( ٥٥ ) هو يحى ى ويميت وإليه ترجعون ( ٥٦ ) ) * أي : ويستخبرونك فيقولون : * ( أحق هو ) * ، وهو استفهام على وجه الإنكار والاستهزاء * ( قل إى ) * ومعناه : " نعم " في القسم ، كما كان " هل " بمعنى " قد " في الاستفهام خاصة * ( وما أنتم بمعجزين ) * بفائتين العذاب ، وهو لاحق بكم لا محالة . *

( ظلمت ) * صفة * ( نفس ) * أي : * ( ولو أن لكل نفس ) * ظالمة * ( ما في ) * الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها على كثرتها * ( لافتدت به ) * لجعلته فدية لها ، يقال : فداه فافتدى * ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ) * لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ، عاينوا من تفاقم الأمر ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى إسرار الندامة في القلوب ، وقيل : أسروا الرؤساء منهم الندامة من أتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ( ١ ) ، وقيل : * ( أسروا الندامة ) * أخلصوها ، لأن سر الشئ خالصه ( ٢ ) ، وقيل : معناه : أظهروها ( ٣ ) * ( وقضى بينهم ) * بين الظالمين والمظلومين . ثم ذكر سبحانه : أن له الملك كله ، وأنه المثيب والمعاقب ، وأن ما وعده * ( حق ) * ، وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره ، وإلى حسابه وجزائه

(١٤٨/٢)

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الفراء في معاني القرآن : ج ١ ص ٤٦٩ ، والزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٢٥ . ( ٢ ) ذكره الشيخ في التبيان : ج ٥ ص ٣٩٢ . ( ٣ ) وهو قول أبي عبيدة كما حكاه عنه الشيخ في التبيان : ج ٥ ص ٣٩٣ . ( * )

/ صفحة ١٣٣ /

المرجع ، ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى . * ( يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ( ٥٧ ) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ( ٥٨ ) قل أرءيتم مآ أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون ( ٥٩ ) وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ( ٦٠ ) ) * أي : قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من : * ( موعظة ) * وتنبيه على التوحيد * ( وشفاء ) * أي : دواء * ( لما في الصدور ) * من العقائد الفاسدة * ( وهدى ) * أي : دلالة

(١٤٩/٢)

---

تؤدي إلى الحق * ( ورحمة ) * لمن آمن به وعمل بما فيه . الأصل : * ( قل بفضل الله وبرحمته ) * فليفرحوا * ( فبذلك فليفرحوا ) * ( ١ ) ، والتكرير للتأكيد والتقرير ، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا ، وأحد الفعلين حذف لدلالة الآخر عليه ، ودخلت الفاء لمعنى الشرط ، أي : إن فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ، وقرئ :

" فلتفرحوا " بالتاء ( ٢ ) على الأصل والقياس ، وقيل : فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن ( ٣ ) . * ( هامش ) * ( ١ ) ليس في بعض النسخ : " فبذلك فليفرحوا " . ( ٢ ) قرأه ابي وعثمان والسلمي وأنس يزيد بن القعقاع وابن عامر والحسن ورويس وهلال بن يساف والأعمش وعمرو بن قائد والعباس بن الفضل الأنصاري وقتادة وأبو رجاء وابن هرمز وابن سيرين وأجازها الفراء ونسبها الى زيد بن ثابت ، وروي عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٩٥ ، والفريد في إعراب القرآن للهمداني : ج ٢ ص ٥٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٧٢ . ( ٣ ) وهو قول ابن عباس وأبي سعيد الخدري والحسن وقتادة ومجاهد . راجع تفسير الحسن البصري : ج ٢ ص ٧ ، والتبيان : ج ٥ ص ٣٩٧ . ( * )
/ صفحة ١٣٤ /

*(١٥٠/٢)*

---

وعن الباقر ( عليه السلام ) : " فضل الله : رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ورحمته : علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) " ( ١ ) . * ( أرأيتم ) * أخبروني ، و * ( مآ أنزل الله ) * : * ( مآ ) * منصوب بـ * ( أنزل ) * أو بـ * ( أرأيتم ) * في معنى : أخبرونيه * ( فجعلتم منه حراما وحللا ) * أي : أنزله الله رزقا حلالا كله ، فجعلتم بعضه حلالا وبعضه حراما ، كقولهم : * ( هذه أنعم وحرث حجر ) * ( ٢ ) ، * ( قل ءالله أذن لكم ) * : * ( قل ) * تكرير ، و * ( ءالله أذن لكم ) * تعلق بـ * ( أرأيتم ) * ، أي أخبروني : أالله أذن لكم في التحريم والتحليل * ( أم ) * تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ؟ ويجوز أن يكون * ( أم ) * منقطعة ، بمعنى : بل أتفترون على الله ؟ تقريرا للافتراء . وكفي بهذه الآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل عنه من أحكام الشرع ، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه ، وأن لا يقال : جائز وغير جائز إلا بعد الإيقان والإتقان ، حتى لا يكون مفتريا على الله . * ( وما ظن الذين يفترون ) * أي : وأي شئ ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه ؟ وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة ، وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره * ( إن الله لذو فضل على الناس ) * بما فعل بهم من ضروب الإنعام * ( ولكن أكثرهم لا يشكرون ) * نعمه . * ( وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرءان ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين ( ٦١ ) ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ( ٦٢ ) الذين
* ( هامش ) * ( ١ ) تفسير القمي : ج ١ ص ٣١٣ . ( ٢ ) الأنعام : ١٣٨ . ( * )
/ صفحة ١٣٥ /

ءامنوا وكانوا يتقون ( ٦٣ ) لهم البشرى في الحيواة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمت الله ذلك هو الفوز العظيم ( ٦٤ ) ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ( ٦٥ ) * * ( ما ) * نافية ، والخطاب لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، والشأن : الأمر ، وهو من شأنت شأنه ، ومعناه : قصدت قصده ، والضمير في * ( منه ) * للشأن ، لأن تلاوة القرآن شأن من معظم شأن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، أو للتنزيل ، أي : * ( وما تتلوا ) * من التنزيل * ( من قرءان ) * ، وهو إضمار قبل الذكر للتفخيم * ( ولا تعملون ) * أنتم جميعا * ( من عمل إلا كنا عليكم ) * شاهدين ، به عالمين * ( إذ تفيضون فيه ) * من أفاض في العمل : إذا اندفع فيه * ( وما يعزب ) * قرئ بالضم والكسر ( ١ ) ، أي وما يغيب وما يبعد * ( عن ) * علم * ( ربك ) * ، * ( من مثقال ذرة ) * في موضع رفع * ( ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ) * قرئ بالنصب والرفع ( ٢ ) ، فالرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه ، والنصب على نفي الجنس ، فأما العطف على موضع * ( من مثقال ذرة ) * في الرفع ، والعطف على لفظ * ( مثقال ) * في النصب ، إذا جعلته فتحا في موضع الجر ، فليسا بالوجه ، لأن قولك : لا يعزب عنه شئ إلا في كتاب لا وجه له . * ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) * وهم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالحفظ والكرامة ، وقد أبان عنهم بقوله : * ( الذين ءامنوا وكانوا يتقون ) * . وعن سعيد بن جبير ، قال : سئل النبي ( صلى الله عليه وآله ) عن أولياء الله ، فقال : " هم الذين

* ( هامش ) * ( ١ ) وبالكسر هي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وابن مصرف والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٢٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٧٤ .

( ٢ ) قرأه حمزة وخلف ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٣٩٩ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٥١ . ( * )



/ صفحة ١٣٦ /

يذكر الله برؤيتهم " ( ١ ) ، يعني : في السمت ( ٢ ) والهيئة ، وقيل : هم المتحابون في الله ( ٣ ) . * ( الذين ءامنوا ) * نصب أو رفع على المدح أو الابتداء ، والخبر : * ( لهم البشرى ) * ، والبشرى * ( في . . . الدنيا ) * : ما بشر الله المتقين في غير موضع من كتابه . وعن النبي ( 

صلى الله عليه وآله ) : " هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له ، وفي الآخرة الجنة " ( ٤ ) . وعنه ( عليه السلام ) : " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات " ( ٥ ) . وعن عطاء ( ٦ ) : لهم البشرى عند الموت يأتيهم الملائكة بالرحمة ، قال الله تعالى : * ( تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ) * ( ٧ ) ، وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وغير ذلك من البشارات ، نحو إعطاء الصحف بأيمانهم وما يرون من بياض وجوههم * ( لا تبديل لكلمت الله ) * لا تغيير لأقواله ، ولا إخلاف لمواعيده * ( ذلك ) * إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين ، وكلتا الجملتين اعتراض . * ( ولا يحزنك قولهم ) * تكذيبهم وتدبيرهم في إبطال أمرك وسائر ما يتكلمون



---

* ( هامش ) * ( ١ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٥٥ . ( ٢ ) السمت : هيئة أهل الخير ، يقال : ما أحسن سمته ، أي سيرته . ( الصحاح : مادة سمت ) . ( ٣ ) أخرجه الطبري في تفسيره : ج ٦ ص ٥٧٥ – ٥٧٦ باسناده الى أبي هريرة وعمر بن الخطاب وأبي مالك الأشعري كلهم عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) . ( ٤ ) مسند أحمد : ج ٦ ص ٤٥٢ ، مستدرك الحاكم : ج ٢ ص ٣٤٠ . ( ٥ ) مسند أحمد : ج ٦ ص ٣٨١ ، سنن الدارمي : ج ٢ ص ١٢٣ . ( ٦ ) هو عطاء بن أبي رباح أسلم ، أبو محمد ، تابعي ، من الفقهاء ، كان عبدا أسود ولد في جند باليمن ، ونشأ بمكة ، فكان مفتي أهلها ومحدثهم ، مات سنة خمس عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة بعدما عمي . راجع المعارف لابن قتيبة : ص ٣٢٠ . ( ٧ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٥٦ . ( * )





---

به في شأنك * ( إن العزة لله ) * استئناف فيه تعليل ، كأنه قال : مالي لا أحزن ؟ فأجيب : * ( إن العزة لله جميعا ) * أي : إن الغلبة والقهر جميعا لله وفي ملكته ، لا يملك أحد شيئا منهما ، لا هم ولا غيرهم ، فهو يغلبهم وينصرك عليهم ، إنا لننصر رسلنا * ( هو السميع ) * لما يقولون * ( العليم ) * بما يعزمون عليه ، فيكافئهم بذلك . * ( ألا إن لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ( ٦٦ ) هو الذي

جعل لكم اليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لايت لقوم يسمعون ( ٦٧ ) قالوا اتخذ الله ولدا سبحنه هو الغنى له ما في السموات وما في الارض إن عندكم من سلطن بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ( ٦٨ ) قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ( ٦٩ ) متع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ( ٧٠ ) * * ( من في السموات ومن في الارض ) * هم العقلاء المميزون من الملائكة والجن والإنس ، وإنما خصهم ليبين أنهم إذا كانوا عبيده وفي ملكته ولا يصلح أحد منهم للإلهية فما وراءهم مما لا يعقل ولا يميز أحق أن لا يكون شريكا له ؟ ! ومعنى * ( وما ) * يتبعون * ( شركاء ) * : وما يتبعون حقيقة الشركاء ، لأن شركة الله في الإلهية محال * ( إن يتبعون إلا ) * ظنهم أنهم شركاء * ( وإن هم إلا يخرصون ) * يقدرون تقديرا باطلا ، ويجوز أن يكون * ( وما يتبع ) * استفهاما ، أي : وأي شئ يتبعون ؟ وعلى هذا فيكون * ( شركاء ) * نصبا بـ * ( يدعون ) * ، وعلى الأول بـ * ( يتبع ) * ، وكان حقه : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء ، فاقتصر على أحدهما للدلالة ، ويجوز أن يكون * ( ما ) * موصولة عطفا على * ( من ) * ، بمعنى :



---

ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء ، أي : وله شركاؤهم . ثم نبه على عظيم نعمته بأنه * ( جعل . . . اليل ) * مظلما * ( والنهار ) * مضيئا * ( مبصرا ) * ليسكنوا في الليل ، ويبصروا في النهار مطالب أرزاقهم . * ( سبحنه ) * تنزيه له عن اتخاذ الولد * ( هو الغنى ) * علة لنفي الولد ، لأن ما يطلب به الولد من يلد ، وما يطلبه له ، السبب في كله الحاجة ، وإذا كانت عنه منتفية كان الولد عنه منتفيا * ( له ما في السموات وما في الارض ) * فهو مستغن عن اتخاذ أحد منهم ولدا * ( إن عندكم من سلطن ) * أي : ما عندكم من حجة * ( بهذا ) * القول ، ولما نفي عنهم الحجة جعلهم غير عالمين ، فدل بذلك على أن كل قول ليس عليه برهان فهو جهل وليس بعلم . * ( إن الذين يفترون على الله الكذب ) * بإضافة الولد إليه . * ( متع في الدنيا ) * أي : افتراؤهم هذا متاع قليل ومنفعة يسيرة في الدنيا * ( ثم ) * يلقون الشقاء المؤبد بعده . * ( واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايت الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ( ٧١ ) فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ( ٧٢ ) فكذبوه فنجينه ومن معه في الفلك وجعلنهم خلئف وأغرقنا الذين كذبوا بايتنا فانظر كيف كان عقبة المنذرين ( ٧٣ ) ) * * ( إن كان كبر عليكم ) * أي : شق وثقل عليكم مكاني و * ( مقامي ) * يعني : نفسه ، كما

يقال : فعلت كذا لمكان فلان ، ومنه * ( ولمن خاف مقام ربه ) * ( ١ ) يعني : خاف
* ( هامش ) * ( ١ ) الرحمن : ٤٦ . ( * )
/ صفحة ١٣٩ /

(١٥٦/٢)

---

ربه ، أو يريد : قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ، أو مقامي ( ١ ) * ( وتذكيري ) * لأنهم كانوا إذا وعظوا قاموا على أرجلهم ليكون كلامهم مسموعا * ( فأجمعوا أمركم ) * من أجمع على الأمر وأجمع الأمر وأزمعه : إذا عزم عليه ، والواو بمعنى " مع " ، أي : فأجمعوا أمركم مع * ( شركاءكم ) * واحتشدوا ( ٢ ) فيما تريدون من إهلاكي ، وابذلوا وسعكم فيه * ( ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ) * أي : ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننني به ، والغمة : السترة ، من غمه : إذا ستره ، ومنه الحديث " لا غمة في فرائض الله " ( ٣ ) أي : لا تستروا ، ولكن تجاهروا بها ، ويجوز أن يكون المعنى : ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غمة ، أي : غما وهما ، والغمة والغم بمعنى كالكربة والكرب * ( ثم اقضوا إلى ) * ذلك الأمر الذي تريدون بي ، أي : أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم ، من إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه * ( ولا تنظرون ) * ي ولا تمهلوني . * ( فإن توليتم ) * فإن أعرضتم عن نصيحتي وعن اتباع الحق * ( فما سألتكم من أجر ) * فما كان عندي ما ينفركم عني من طمع في أموالكم ، وطلب أجر على موعظتكم * ( إن أجرى إلا على الله ) * وهو الثواب الذي يثيبني في الآخرة * ( وأمرت أن أكون من المسلمين ) * المستسلمين لأمر الله ، أو الذين لا يطلبون على تعليم الدين أجرا ولا يأخذون به دنيا ، يريدون : أن ذلك مقتضى الإسلام . * ( فكذبوه ) * أي : فتموا على تكذيبه ، وكان تكذيبهم له في آخر المدة الطويلة كتكذيبهم في أولها * ( فنجينه ومن معه في ) * السفينة * ( وجعلنهم خلئف ) * خلفاء لمن هلك بالغرق * ( فانظر كيف كان عقبة المنذرين ) * هذا تعظيم لما جرى عليهم ،
* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة : قيامي . ( ٢ ) احتشد : إذا اجتمع . ( الصحاح : مادة حشد ) . ( ٣ ) رواه الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٣٦٠ . ( * )
/ صفحة ١٤٠ /

(١٥٧/٢)

---

وتحذير لمكذبي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عن مثله . * ( ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينت فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ( ٧٤ ) ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملايه بايتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ( ٧٥ ) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين ( ٧٦ ) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح السحرون ( ٧٧ ) قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه ءابآءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين ( ٧٨ ) ) * أي : * ( بعثنا من ) * بعد نوح * ( رسلا ) * يعني : هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا * ( فجاءوهم ) * بالمعجزات والحجج المبينة ( ١ ) لدعواهم * ( فما كانوا ليؤمنوا ) * أي : فما كان إيمانهم إلا ممتنعا لتصميمهم على الكفر * ( بما كذبوا به من قبل ) * يريد : أنهم كانوا أهل جاهلية قبل بعثة الرسل ، فلم يكن بين حالتيهم فرق : قبل البعثة وبعدها * ( كذلك ) * أي : مثل ذلك الطبع * ( نطبع على قلوب المعتدين ) * كأن الطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ، لأن الخذلان يتبعه ، ألا ترى أنه وصفهم بالاعتداء وأسنده إليهم . * ( من بعدهم ) * أي : من بعد الرسل * ( فاستكبروا ) * عن قبول الآيات بعد تبينها * ( وكانوا قوما مجرمين ) * كفارا ذوي آثام عظام ، فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها . * ( فلما ) * عرفوا أنه هو * ( الحق ) * وأنه * ( من ) * عند الله * ( قالوا إن هذا السحر مبين ) * .

* ( هامش ) * ( ١ ) في نسخة : المثبتة . ( * )

/ صفحة ١٤١ /

(١٥٨/٢)

---

* ( أتقولون للحق ) * أي : أتعيبونه وتطعنون فيه ؟ ونحوه : * ( سمعنا فتى يذكرهم ) * ( ١ ) أي : يعيبهم * ( أسحر هذا ) * إنكار لما قالوه في عيبه والطعن عليه ، ويجوز أن يكون مفعول * ( أتقولون ) * محذوفا ، وهو مادل عليه قولهم : * ( إن هذا لسحر مبين ) * ، ثم قال : * ( أسحر هذا ) * . * ( لتلفتنا ) * لتصرفنا ، واللفت والفتل مثلان ، مطاوعهما : الالتفات والانفتال * ( عما وجدنا عليه ءابآءنا ) * يريدون عبادة الأصنام

* ( وتكون لكما الكبرياء ) * أي : الملك ، لأن الملوك موصوفون بالكبر ، وقرئ : " ويكون " بالياء ( ٢ ) . * ( وقال فرعون ائتونى بكل سحر عليم ( ٧٩ ) فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا مآ أنتم ملقون ( ٨٠ ) فلمآ ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ( ٨١ ) ويحق الله الحق بكلمته ولو كره المجرمون ( ٨٢ ) فما ءامن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الارض وإنه لمن

المسرفين ( ٨٣ ) ) * * ( ما جئتم به ) * : * ( ما ) * موصولة ، و * ( السحر ) * خبر المبتدأ ، أي : الذي جئتم به هو السحر ، لا الذي سميتموه سحرا من المعجزات ، وقرئ : " السحر " على الاستفهام ( ٣ ) ، وعلى هذه القراءة تكون * ( ما ) * استفهامية ، بمعنى : أي شئ جئتم به ؟ أهو السحر ؟ * ( إن الله سيبطله ) * سيظهر بطلانه * ( لا يصلح عمل المفسدين ) * * ( هامش ) * ( ١ ) الأنبياء : ٦٠ . ( ٢ ) قرأه ابن مسعود والحسن وإسماعيل وابن أبي ليلى وأبو عمرو وعاصم بخلاف عنهما . راجع إعراب القرآن للنحاس : ج ٢ ص ٢٦٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٨٢ . ( ٣ ) وهي قراءة أبي عمرو ومجاهد وأصحابه ويزيد بن القعقاع . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٨٢ . ( * )





---

لا يثبته ولا يديمه ، بل يدمر عليه . * ( ويحق الله الحق ) * ويثبته * ( بكلمته ) * بقضاياه ووعده النصر . * ( فما ءامن لموسى ) * في أول أمره * ( إلا ذرية من قومه ) * أي : طائفة من ذراري بني إسرائيل ، كأنه قال : إلا أولاد من أولاد قومه ، وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا * ( من فرعون ) * وقيل : هم بنو إسرائيل ، وكانوا ستمائة ألف ، وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين ، وإنما سماهم ذرية على وجه التصغير لقلتهم بالإضافة إلى قوم فرعون ( ١ ) ، وقيل : الضمير في * ( قومه ) * لفرعون ، و " الذرية " : مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطة امرأته ( ٢ ) ، والضمير في * ( وملإيهم ) * يرجع إلى فرعون ، والمعنى : حزب آل فرعون كما يقال : ربيعة ومضر ، ويجوز أن يرجع إلى " الذرية " ، أي : على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل ، لأنهم كانوا يمنعونهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ، ويدل عليه قوله : * ( أن يفتنهم ) * أي : يعذبهم * ( وإن فرعون لعال ) * أي : قاهر * ( في الارض ) * ، * ( وإنه لمن المسرفين ) * في الظلم والفساد ، وفي الكبر والعتو . * ( وقال موسى يقوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ( ٨٤ ) فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظلمين ( ٨٥ ) ونجنا برحمتك من القوم الكفرين ( ٨٦ ) ) * * ( فعليه توكلوا ) * أي : إليه أسندوا أموركم في العصمة من فرعون ، ثم شرط في التوكل الإسلام ، وهو أن يسلموا نفوسهم لله ، أي : يجعلوها له سالمة خالصة

* ( هامش ) * ( ١ ) وهو قول ابن عباس على ما حكاه عنه السمرقندي في تفسيره : ج ٢ ص ١٠٧ . ( ٢ ) حكاه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٦٤ ونسبه الى ابن عباس . ( * )

لاحظ للشيطان فيها . * ( فقالوا على الله توكلنا ) * لا جرم قبل الله توكلهم ، وأجاب دعاءهم ، ونجاهم وأهلك أعداءهم ، وجعلهم خلفاء في أرضه * ( لا تجعلنا فتنة ) * أي : موضع فتنة لهم ، أي : عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا ، أو فتنة لهم يفتتنون بنا ، يقولون : لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا . * ( ونجنا برحمتك من ) * قوم فرعون واستعبادهم إيانا . * ( وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوا ة وبشر المؤمنين ( ٨٧ ) وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملاه زينة وأموا لا في الحيواة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموا لهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ( ٨٨ ) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعآن سبيل الذين لا يعلمون ( ٨٩ ) ) * تبوأ المكان : اتخذه مباءة ، نحو توطنه : اتخذه موطنا ( ١ ) ، والمعنى : اجعلا * ( بمصر بيوتا ) * من بيوته مباءة * ( لقومكما ) * ومرجعا يرجعون إليه * ( واجعلوا بيوتكم ) * تلك * ( قبلة ) * أي : مساجد يذكر فيها اسم الله ، وقيل : اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا ( ٢ ) * ( وأقيموا الصلوا ة ) * داوموا على فعلها * ( وبشر المؤمنين ) * خطاب لموسى ، وقيل : لمحمد ( صلى الله عليه وآله ) ( ٣ ) . والزينة : ما يتزين به من لباس أو حلي أو فراش أو غير ذلك * ( ليضلوا عن * ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : وطنا . ( ٢ ) قاله سعيد بن جبير على ما حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٤٧ . ( ٣ ) قاله ابن جرير الطبري ومكي . راجع تفسير الطبري : ج ٦ ص ٥٩٨ ، وتفسير الثعالبي : ج ٢ ص ١٠٩ . ( * )





سبيلك ) * قيل : هو دعاء بلفظ الأمر ( ١ ) كقوله : * ( ربنا اطمس . . . واشدد ) * لما لم يبق له طمع في إيمانهم اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره ، ليشهد عليهم أنهم لا يستحقون إلا الخذلان ، وأن يخلي بينهم وبين ضلالهم ، ومعنى الطمس على الأموال : تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها ، قيل : صارت جميع أموالهم حجارة ( ٢ ) ، والشد على القلوب : عبارة عن الخذلان والطبع * ( فلا يؤمنوا ) * جواب للدعاء ، وقيل : إن اللام في * ( ليضلوا ) * للتعليل ( ٣ ) على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أعطوها ليضلوا ، وقوله : * ( فلا يؤمنوا ) * عطف على * ( ليضلوا ) * ، وقوله : * ( ربنا اطمس على أموا لهم

واشدد على قلوبهم ) * دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه ، وكان موسى يدعو وهارون يؤمن فسماهما داعيين ( ٤ ) . * ( فاستقيما ) * فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة . الصادق ( عليه السلام ) : " مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة " ( ٥ ) . * ( ولاتتبعآن سبيل الذين لا يعلمون ) * أي : لاتتبعا طريق الجهلة ولا تعجلا ، وقرئ : " ولاتتبعان " بنون الخفيفة وكسرها ( ٦ ) لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية .

(١٦٢/٢)

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الحسن والكسائي وأبو عبيدة والفراء . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٢٣ ، ومجاز القرآن : ج ١ ص ٢٨١ ، ومعاني القرآن : ج ١ ص ٤٧٧ ، والبحر المحيط : ج ٥ ص ١٨٦ . ( ٢ ) وهو قول ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك وأبي صالح والسدي ومحمد بن سليمان المقدسي . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ١٨٧ . ( ٣ ) وهو قول الخليل وسيبويه على ما حكاه عنهما القرطبي في تفسيره : ج ٨ ص ٣٧٤ . ( ٤ ) وهو قول ابن عباس ومحمد بن كعب والربيع وابن زيد وعكرمة وأبي العالية . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٢٤ ، والبحر المحيط : ج ٥ ص ١٨٧ . ( ٥ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ١٢٧ ح ٤٠ . ( ٦ ) وهي قراءة ابن ذكوان وابن عامر إلا الداحوني عن هشام . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٢٥ . ( * )
/ صفحة ١٤٥ /

(١٦٣/٢)

---

* ( وجوزنا ببنى إسرا ءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسرا ءيل وأنا من المسلمين ( ٩٠ ) ءآلن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ( ٩١ ) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وإن كثيرا من الناس عن ءايتنا لغفلون ( ٩٢ ) ) * أي : عبرنا بهم * ( البحر ) * حتى جاوزوه سالمين * ( فأتبعهم ) * لحقهم * ( فرعون وجنوده ) * يقال : تبعته حتى أتبعته ، قرئ : * ( أنه ) * بالفتح على حذف الباء ، و " إنه " بالكسر ( ١ ) على الاستئناف ، بدلا من * ( ءامنت ) * كرر المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء ، وكانت المرة الواحدة كافية وقت الاختيار وبقاء التكليف . * ( ءآلن ) * أي : أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق ؟ ويحكى : أنه حين قال : * ( ءامنت ) * أخذ

جبرئيل من حال ( ٢ ) البحر فدسه في فيه ( ٣ ) * ( وكنت من المفسدين ) * أي : الضالين المضلين عن الإيمان . قرئ : * ( ننجيك ) * بالتشديد والتخفيف ( ٤ ) ، أي : نبعدك مما وقع فيه قومك ، وقيل : نلقيك بنجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ( ٥ ) * ( ببدنك ) * في موضع الحال ، أي : في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن ، أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير ، أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها * ( لمن

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه حمزة والكسائي . راجع الكشف عن وجوه القراءات للقيسي : ج ١ ص ٥٢٢ . ( ٢ ) الحال : الطين الأسود . ( الصحاح : مادة حول ) . ( ٣ ) حكاها الطبري في تاريخه : ج ١ ص ٢٩٢ ، وأخرجها الترمذي في سننه : ج ٥ ص ٢٦٨ . ( ٤ ) وبالتخفيف قرأه قتيبة ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٢٨ . ( ٥ ) قاله ابن عباس . راجع تفسيره : ص ١٧٩ . ( * )



---

خلفك ءاية ) * لمن وراءك من الناس علامة ، وهم بنو إسرائيل ، وكان في أنفسهم أن فرعون أجل شأنا من أن يغرق فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه ، ومعنى كونه آية : أن يظهر للناس عبوديته ومهانته ، وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال ، وأن يكون عبرة يعتبر بها الأمم بعده فلا يجترئوا على ما اجترأ عليه . * ( ولقد بوأنا بنى إسرا ءيل مبوأ صدق ورزقنهم من الطيبت فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ( ٩٣ ) فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ( ٩٤ ) ولا تكونن من الذين كذبوا بايت الله فتكون من الخسرين ( ٩٥ ) إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ( ٩٦ ) ولو جاءتهم كل ءاية حتى يروا العذاب الاليم ( ٩٧ ) ) *

* ( مبوأ صدق ) * منزلا صالحا مرضيا وهو بيت المقدس والشام * ( ورزقنهم من الطيبت ) * وهي الأشياء اللذيذة * ( فما اختلفوا ) * في دينهم ، وما تشعبوا فيه شعبا * ( حتى جاءهم العلم ) * بدين الحق ولزمهم الثبات عليه ، وقيل : العلم بمحمد ( صلى الله عليه وآله ) ونعته ( ١ ) ، واختلافهم فيه : أنه هو أم ليس به . * ( فإن كنت في شك ) * أي : فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا * ( فسل ) * علماء أهل * ( الكتب ) * فإنهم محيطون علما بصحة ما أنزل إليك ، وعن الصادق ( عليه السلام ) : " لم يشك ولم يسأل " ( ٢ ) ، * ( لقد جاءك الحق من ربك ) * أي : ثبت عندك بالآيات والبراهين أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية * ( فلا تكونن من

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله ابن بحر على ما حكاه عنه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٥٠ . (

٢ ) تفسير القمي : ج ١ ص ٣١٧ . ( * )
/ صفحة ١٤٧ /

(١٦٥/٢)

---

الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايت الله ) * أي : فاثبت على ما أنت عليه من انتفاء المرية والتكذيب بآيات الله عنك ، وقيل : خوطب رسول الله والمراد أمته ( ١ ) ، والمعنى : فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم ، كقوله : * ( وأنزلنا إليكم نورا مبينا ) * ( ٢ ) ، وقيل : الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك ( ٣ ) ، كقول العرب : " إذا عز أخوك فهن " ( ٤ ) . وقيل : * ( إن ) * للنفي ( ٥ ) ، أي : فما كنت في شك . . . فسأل ، والمعنى : لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا ، كما ازداد إبراهيم بمعاينة إحياء الموتى * ( حقت عليهم كلمت ربك ) * ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا ، فلا يكون غيره ، وتلك كتابة علم لا كتابة إرادة ، تعالى الله عن ذلك . * ( فلولا كانت قرية ءامنت فنفعهآ إيمنهآ إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحيواة الدنيا ومتعنهم إلى حين ( ٩٨ ) ولو شآء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ( ٩٩ ) ) *
* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٣٢ . ( ٢ ) النساء : ١٧٤ . ( ٣ ) حكاه السمرقندي في تفسيره : ج ٢ ص ١١١ ونسبه الى القتبي . ( ٤ ) أول من قال ذلك الهذيل بن هبيرة أخو بني ثعلبة التغلبي ، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالغنائم ، فقال له أصحابه : أقسمها بيننا ، فقال : إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب ، فأبوا ، فعندها قال : إذا عز أخوك فهن ، ثم نزل فقسم بينهم الغنائم . ويضرب لمن لا يخاف استدلاله وهوانه ، أي إذا غلبك ولم تقاومه فلن له . راجع مجمع الأمثال للميداني : ج ١ ص ٢٤ . ( ٥ ) ذكره الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٧١ . ( * )
/ صفحة ١٤٨ /

(١٦٦/٢)

---

فهلا * ( كانت قرية ) * واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر ، و * ( ءامنت ) * وقت بقاء التكليف قبل معاينة البأس ، ولم تؤخر التوبة كما أخرها فرعون إلى أن أدركه الغرق * ( فنفعهآ إيمنهآ ) * بأن يقبله الله منها * ( إلا قوم يونس ) * استثناء من القرى ، لأن المراد أهاليها ، وهو

استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس ، ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي ، كأنه قيل : ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس ، وكان قد بعث إلى نينوى ( ١ ) من أرض الموصل ( ٢ ) ، فكذبوه ، فذهب عنهم مغاضبا ، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب ، فلبسوا المسوح وعجوا وبكوا ، فصرف الله * ( عنهم ) * العذاب وكان قد نزل وقرب منهم ، وعن الفضيل بن عياض : أنهم قالوا : اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله ( ٣ ) . * ( ولو شآء ربك ) * مشيئة الإلجاء * ( لامن من في الارض كلهم ) * على وجه الإحاطة والعموم * ( جميعا ) * مجتمعين على الإيمان ، يدل عليه قوله : * ( أفأنت تكره الناس ) * يعني : إنما يقدر الله على إكراههم لا أنت ، لأنه هو يقدر أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان ، وليس ذلك في مقدور القدر ، ولا يستطيعه البشر .

*(١٦٧/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قرية قديمة لا تزال آثارها باقية قبالة مدينة الموصل في العراق ، وهي مدينة يونس ابن متى النبي ( عليه السلام ) . راجع معجم البلدان للحموي : ج ٤ ص ٨٧٠ . ( ٢ ) الموصل : وهي مدينة قديمة مشهورة ، اختطها هرثمة بن عرفجة البارقي ، وكان قبل ذلك حصنا فيه بيع ومنازل للنصارى واليهود ، فانزل هرثمة المسلمين منازلهم ، ومصر المدينة لهم ، قالوا : وسميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات ، وفي وسطها قبر جرجيس النبي ( عليه السلام ) . راجع فتوح البلدان للبلاذري : ج ٢ ص ٣٣١ – ٣٣٣ . ( ٣ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٧٢ . ( * )
/ صفحة ١٤٩ /

*(١٦٨/٢)*

---

* ( وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ( ١٠٠ ) قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الايت والنذر عن قوم لا يؤمنون ( ١٠١ ) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ( ١٠٢ ) ثم ننجي رسلنا والذين ءامنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ( ١٠٣ ) ) * * ( وما كان لنفس ) * من النفوس التي علم الله أنها تؤمن * ( أن تؤمن إلا بإذن الله ) * أي : بتسهيله وتوفيقه له وتمكينه منه ودعائه إليه * (

ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ) * قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان ، والنفس المعلوم إيمانها بـ * ( الذين لا يعقلون ) * وهم المصرون على الكفر ، كقوله : * ( صم بكم عمى فهم لا يعقلون ) * ( ١ ) ، وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه . * ( ماذا في السموات والارض ) * من العبر والآيات * ( وما تغنى الايت والنذر ) * الرسل المنذرون أو الإنذارات * ( عن قوم لا يؤمنون ) * أي : لا يتوقع إيمانهم ، و * ( ما ) * نافية أو استفهامية . و * ( أيام الذين خلوا من قبلهم ) * وقائع الله فيهم ، كما يقال : أيام العرب ، لوقائعها . * ( ثم ننجي رسلنا ) * عطف على كلام محذوف يدل عليه ما قبله ، كأنه قال : نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ، على حكاية الأحوال الماضية * ( والذين ءامنوا ) * معهم ، و * ( كذلك . . . ننج المؤمنين ) * أي : مثل ذلك الإنجاء ننج المؤمنين منكم ونهلك المشركين ، و * ( حقا علينا ) * اعتراض ، يعني : حق ذلك علينا حقا ، وقرئ : " ننجي " بالتشديد ( ٢ ) .

* ( هامش ) * ( ١ ) البقرة : ١٧١ . ( ٢ ) وهي قراءة الجمهور غير الكسائي وحفص عن عاصم . راجع كتاب السبعة في القراءات : ص ٣٣٠ . ( * )



---

* ( قل يأيها الناس إن كنتم في شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفيكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ( ١٠٤ ) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ( ١٠٥ ) ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظلمين ( ١٠٦ ) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله يصيب به من يشآء من عباده وهو الغفور الرحيم ( ١٠٧ ) قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ( ١٠٨ ) واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحكمين ( ١٠٩ ) ) * * ( إن كنتم في شك من ) * صحة * ( دينى ف ) * هذا ديني وهو : أني * ( لاأعبد ) * الحجارة التي * ( تعبدون ) * - ها * ( من دون ) * من هو ربكم وإلهكم * ( ولكن أعبد الله الذي يتوفيكم ) * فهو الحقيق بأن يخاف ويرجى ويعبد * ( وأمرت أن أكون من ) * المصدقين بالتوحيد . * ( وأن أقم ) * والباء مراد فحذف ، أي : بأن أكون وبأن أقم ، فإن " أن " قد توصل بالأمر والنهي ، وشبه ذلك بقولهم : " أنت الذي تفعل " على الخطاب ، لأن الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر ، والأمر والنهي يدلان على المصدر كما يدل غيرهما من الأفعال . * ( أقم وجهك ) * استقم إليه فلا تلتفت يمينا ولا شمالا ، و * ( حنيفا ) * حال من * ( الدين ) * أو من الوجه . * ( فإن فعلت ) * أي : فإن دعوت * (

من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ) * فكنى عنه بالفعل إيجازا * ( فإنك إذا من الظلمين ) * : * ( إذا ) * جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر ، كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة غير الله ، فأعلم أن الشرك من أعظم الظلم .

/ صفحة ١٥١ /

(١٧٠/٢)

---

ثم عقب النهي عن عبادة مالا ينفع ولا يضر بأن الله هو الضار والنافع الذي إن أصابك * ( بضر ) * لم يقدر على كشفه * ( إلا هو وإن ) * أرادك * ( بخير ) * لم يرد أحد ما يريد بك من * ( فضله ) * فهو الحقيق بأن يعبد دون الأوثان . * ( قد جاءكم الحق ) * فلم يبق لكم عذر ، ولا لكم على الله حجة * ( فمن ) * اختار الهدى واتباع الحق لم ينفع إلا نفسه * ( ومن ) * اختار الضلال لم يضر إلا نفسه ، واللام و " على " دليلان على معنى النفع والضرر * ( وما أنا عليكم بوكيل ) * بحفيظ موكل إلي أمركم وحملكم على ما أريد ، إنما أنا بشير ونذير . * ( واصبر ) * على دعوتهم واحتمال أذاهم * ( حتى يحكم الله ) * لك بالنصر عليهم والغلبة * ( وهو خير الحكمين ) * لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل .

/ صفحة ١٥٣ /

سورة هود مكية ( ١ ) ، مائة وإحدى وعشرون آية بصري ، ثلاث كوفي ، عد الكوفي : * ( برئ مما تشركون ) * ( ٢ ) ، * ( في قوم لوط ) * ( ٣ ) . في حديث أبي : " ومن قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى ، وكان يوم القيامة من السعداء " ( ٤ ) . الباقر ( عليه السلام ) : " من قرأها في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين ، وحوسب حسابا يسيرا ، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة " ( ٥ ) .

(١٧١/٢)

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قال الشيخ الطوسي في التبيان : ج ٥ ص ٤٤٥ : مكية في قراءة قتادة ومجاهد وغيرهما ، وهي مائة وثلاث وعشرون آية في الكوفي ، واثنتان في المدني ، وواحدة في البصري وعند إسماعيل . وقال الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٥٥ : مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية وهي قوله : * ( وأقم الصلوة طرفي النهار

وزلفا من اليل ) * . ونحوه القرطبي في تفسيره : ج ٩ ص ١ . وعن الكشاف : ج ٢ ص ٣٧٧ : مكية إلا الآيات : ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية ، وهي مائة وثلاث وعشرون آية ، نزلت بعد سورة يونس . ( ٢ ) الآية : ٥٤ . ( ٣ ) الآية : ٧٤ . ( ٤ ) رواه الزمخشري في كشافه : ج ٢ ص ٤٣٩ مرسلا . ( ٥ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ١٣٩ ح ١ . ( * )

/ صفحة ١٥٤ /



---

بسم الله الرحمن الرحيم * ( الر كتب أحكمت ءايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ( ١ ) ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير ( ٢ ) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ( ٣ ) إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ( ٤ ) ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ( ٥ ) ) * * ( أحكمت ءايته ) * نظمت محكما لا نقص ( ١ ) فيه ولا خلل كالبناء المحكم ، أو جعلت آياته حكيمة ، من حكم : إذا صار حكيما ، كقوله : * ( ءايت الكتب الحكيم ) * ( ٢ ) ، أو منعت من الفساد ، من أحكم الدابة : وضع عليها الحكمة ( ٣ ) لتمنعها من الجماح ، قال جرير : أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * إني أخاف عليكم أن أغضبا ( ٤ ) * ( ثم فصلت ) * كما تفصل القلائد ، بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام والقصص ، أو جعلت فصولا : آية آية وسورة سورة ، أو فرقت في التنزيل فلم تنزل جملة واحدة ، ومعنى * ( ثم ) * : التراخي في الحال لا في الوقت ، كما تقول : هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل ، و * ( كتب ) * : خبر مبتدأ

* ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : " نقض " . ( ٢ ) يونس : ١ . ( ٣ ) حكمة اللجام : ما أحاط بحنكي الدابة ، وفيها العذاران ، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد ، مشتق من ذلك ، وجمعه حكم . ( لسان العرب : مادة حكم ) . ( ٤ ) البيت واضح المعنى ، ففيه ضرب من التهديد ، راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة : ص ٣٧٤ . ( * )

/ صفحة ١٥٥ /



---

محذوف * ( من لدن حكيم ) * أحكمها ، و * ( خبير ) * : عالم فصلها ، أي : بينها وشرحها . * ( ألا تعبدوا ) * مفعول له ، أي : لأن لا تعبدوا ، أو يكون " أن " مفسرة ، لأن في تفصيل الآيات معنى القول ، كأنه قيل : قال : لا تعبدوا إلا الله ، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله ، أي : أمركم بالتوحيد . * ( وأن استغفروا ) * أي : وأمركم بالاستغفار ، والضمير في * ( منه ) * لله ، أي : * ( إنني لكم . . . نذير وبشير ) * من جهته ، كقوله : * ( رسول من الله ) * ( ١ ) ، أو هي صلة لـ * ( نذير ) * أي : أنذركم * ( منه ) * ومن عذابه إن كفرتم ، وأبشركم بثوابه إن آمنتم * ( ثم توبوا إليه ) * يعني : استغفروا من الشرك ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله : * ( ثم استقموا ) * ( ٢ ) ، * ( يمتعكم ) * في الدنيا بالنعم السابغة والمنافع المتتابعة * ( إلى أجل مسمى ) * إلى أن يتوفاكم * ( ويؤت كل ذي فضل فضله ) * أي : ويعط في الآخرة كل ذي فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس ، أو فضله في الثواب والدرجات * ( وإن تولوا ) * أي : تتولوا ، فحذف إحدى التاءين * ( عذاب يوم كبير ) * يوم القيامة ، وبين العذاب بأن مرجعهم إلى القادر على ما يريده من عذابهم . * ( يثنون صدورهم ) * أي : يزورون عن الحق وينحرفون عنه ، لأن من أقبل على الشئ استقبله بصدره ، ومن انحرف عنه ثنى عنه صدره * ( ليستخفوا منه ) * أي : يريدون ليستخفوا من الله ، فلا يطلع ( ٣ ) رسوله والمؤمنين على ازورارهم * ( ألا حين يستغشون ثيابهم ) * معناه : يتغطون بثيابهم كراهة لاستماع كلام الله ، كقوله : * ( جعلوا أصبعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم ) * ( ٤ ) ، ثم قال : * ( يعلم ما يسرون وما يعلنون ) * يعني : أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم .

* ( هامش ) * ( ١ ) البينة : ٢ . ( ٢ ) الأحقاف : ١٣ . ( ٣ ) في بعض النسخ : " يطلع " بالتشديد . ( ٤ ) نوح : ٧ . ( * )



---

/ صفحة ١٥٦ /

وفي قراءة أهل البيت ( عليهم السلام ) : " يثنوني صدورهم " ( ١ ) على يفعوعل ، من الثني وهو بناء مبالغة ، وقرئ بالتاء ( ٢ ) والياء ( ٣ ) . * ( وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتب مبين ( ٦ ) وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ( ٧ ) ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم ( ٧ ) ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ( ٨ ) ) * * ( على الله رزقها ) * لما ضمن

سبحانه أن يتفضل بالرزق عليهم وتكفل به صار التفضل واجبا ، فلذلك جاء بلفظ الوجوب كالنذور الواجبة على العباد * ( ويعلم مستقرها ) * موضع قرارها ومسكنها * ( ومستودعها ) * حيث كانت مودعة فيه قبل الاستقرار من : أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، أو البيض * ( كل ) * أي : كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها * ( في كتب ) * في اللوح المحفوظ ، يعني : أن ذكرها مكتوب فيه ظاهر . * ( وكان عرشه على الماء ) * أي : ماكان تحته خلق إلا الماء ، قبل خلق السماوات والأرض وارتفاعه فوقها ، وفيه دلالة على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السماوات والأرض ( ٤ ) * ( ليبلوكم ) * يتعلق بـ * ( خلق ) * أي :

* ( هامش ) * ( ١ ) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٢٠٢ . ( ٢ ) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد ونصر بن عاصم على ما حكاه عنهم ابن خالويه في شواذ القرآن : ص ٦٤ . ( ٣ ) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد أيضا وابن يعمر وابن أبي اسحاق . راجع البحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٢٠٢ . ( ٤ ) قال العلامة الطباطبائي ( قدس سره ) : وكون العرش على الماء يومئذ كناية عن أن ملكه تعالى كان = ( * )

/ صفحة ١٥٧ /

*(١٧٥/٢)*

---

خلقهن لحكمة بالغة ، وهي أن يجعلها مساكن لعباده ، وينعم عليهم فيها بفنون النعم ، ويكلفهم ويعرضهم لثواب الآخرة ، ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال : * ( ليبلوكم ) * أي : ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون * ( أيكم أحسن عملا ) * تعليق ، لأن في الاختبار معنى العلم ، وهو طريق إليه ، والذين هم أحسن عملا : هم المتقون ، فخصهم بالذكر تشريفا لهم وترغيبا في حيازة فضلهم * ( ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ) * فتوقعوه لقالوا : * ( إن هذا إلا سحر مبين ) * أي : أمر باطل ، وأشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث ، فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره ، وقرئ : " إلا ساحر " ( ١ ) يريدون الرسول . و * ( العذاب ) * عذاب الآخرة ، وقيل : عذاب يوم بدر ( ٢ ) * ( إلى أمة ) * أي : حين ، والمعنى : إلى جماعة من الأوقات * ( ليقولن ما يحبسه ) * أي : ما يمنعه من النزول استعجالا له ، و * ( يوم يأتيهم ) * منصوب بخبر * ( ليس ) * ، وفيه دليل ( ٣ ) على جواز تقديم خبر " ليس " على " ليس " ، لأن المعمول لا يقع إلا حيث يجوز وقوع العامل فيه ، ووضع * ( يستهزءون ) * موضع يستعجلون ، لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء * ( وحاق ) * في معنى : " يحيق " إلا أنه جاء على عادة الله في إخباره . * ( ولئن أذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنه ليوس كفور ( ٩ ) ولئن أذقنه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عنى إنه لفرح

---

* ( هامش ) * = مستقرا يومئذ على هذا الماء الذي هو مادة الحياة ، فعرش الملك مظهر ملكه ، واستقراره على محل هو استقرار ملكه عليه كما أن استواءه على العرش احتواؤه على الملك واخذه في تدبيره ، وقول بعضهم : ان المراد بالعرش البناء بعيد عن الفهم . انظر الميزان : ج ١٠ ص ١٥١ . ( ١ ) قرأه حمزة والكسائي . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٣٩١ . ( ٢ ) قاله ابن عباس في تفسيره : ص ١٨٢ . ( ٣ ) في نسخة : دلالة . ( * )
/ صفحة ١٥٨ /



---

فخور ( ١٠ ) إلا الذين صبروا وعملوا الصلحت أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ( ١١ ) ) * * ( الانسن ) * للجنس * ( رحمة ) * أي : نعمة من صحة أو ثروة أو نحو ذلك * ( ثم نزعنها ) * أي : سلبناها منه * ( إنه ليوس ) * شديد اليأس ، قنوط من أن تعود إليه تلك النعمة المنزوعة ، قاطع رجاءه من سعة فضل الله * ( كفور ) * عظيم الكفران لنعمه . * ( ذهب السيات عنى ) * أي : المصائب التي ساءتني وحزنتني * ( إنه لفرح ) * أي : أشر بطر * ( فخور ) * على الناس بما أنعم الله عليه ، قد شغله الفرح والفخر عن الشكر . * ( إلا الذين صبروا ) * أي : قابلوا الشدة بالصبر ، والنعمة بالشكر . * ( فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل ( ١٢ ) أم يقولون افتربه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريت وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ( ١٣ ) فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ( ١٤ ) ) * كانوا يقترحون عليه أشياء تعنتا ، فقالوا : * ( لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ) * ، وكان يضيق صدره صلوات الله عليه وآله بما يقولونه * ( أن يقولوا ) * كراهة أن يقولوا : هلا * ( أنزل عليه ) * ما اقترحناه من الكنوز والملائكة ؟ ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه ؟ * ( إنما أنت نذير ) * أي : ليس عليك إلا إنذارهم بما أوحي إليك * ( والله على كل شئ وكيل ) * يحفظ ما يقولون ثم يفعل بهم ما يجب أن يفعل ، فكل أمرك إليه ، وعليك بتبليغ الوحي غير مبال بمقالهم ولا ملتفت إلى فعالهم من : استكبارهم واستهزائهم . * ( أم ) * منقطعة ، والضمير في * ( افتربه ) * لـ * ( ما يوحى إليك ) * ، تحداهم * ( بعشر
/ صفحة ١٥٩ /

سور ) * ثم تحداهم بسورة واحدة لما استبان عجزهم عن الإتيان بالعشر * ( مثله ) * بمعنى : أمثاله ، لأنه أراد مماثلة كل واحدة منها له * ( مفتريت ) * صفة لـ " عشر سور " ، والمعنى : هبوا أني افتريته من عند نفسي كما زعمتم * ( فأتوا ) * أنتم بكلام * ( مثله ) * في حسن النظم والفصاحة مفترى مختلق من عند أنفسكم ، فأنتم فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام . * ( فإلم يستجيبوا لكم ) * أي : لك وللمؤمنين * ( فاعلموا ) * أيها المؤمنون ، أي : اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا * ( أنما أنزل بعلم الله ) * أي : أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز لجميع الخلق وإخبار بغيوب لاسبيل لهم إليه * ( و ) * اعلموا عند ذلك : * ( أن لا إله إلا ) * الله وحده ، وأن توحيده هو الحق ، والشرك به هو الظلم الصريح * ( فهل أنتم مسلمون ) * مخلصون موقنون بعد قيام الحجة القاطعة ؟ ويجوز أن يكون الخطاب للكفار ، فيكون المعنى : فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى معارضته فقد قامت عليكم الحجة ، * ( فهل أنتم مسلمون ) * متابعون بالإسلام معتقدون للتوحيد . * ( من كان يريد الحيواة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعملهم فيها وهم فيها لا يبخسون ( ١٥ ) أولئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون ( ١٦ ) أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ( ١٧ ) ) * * ( نوف إليهم ) * نوصل إليهم ونوفر عليهم أجور * ( أعملهم ) * من غير بخس





في الدنيا ، وهو مايرزقون * ( فيها ) * من الصحة والرزق ، وقيل : هم أهل الرياء ( ١ ) . * ( وحبط ما صنعوا ) * أي : ماصنعوه ، أو صنيعهم * ( فيها ) * في الآخرة ، يعني : لم يكن لصنيعهم ثواب ، لأنهم لم يريدوا به الآخرة ، وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا * ( وبطل ما كانوا يعملون ) * أي : كان عملهم في نفسه باطلا ، لأنه لم يعمل للوجه الصحيح الذي هو ابتغاء وجه الله ، فلا ثواب يستحق عليه ولا أجر . والتقدير : * ( أفمن كان على بينة من ربه ) * كمن كان يريد الحياة الدنيا على برهان من الله وبيان وحجة على أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل ، والمعنى : أنهم لا يقاربونهم في المنزلة ، وبين الفريقين تفاوت شديد وبون بعيد * ( ويتلوه )

* ويتبع ذلك البرهان * ( شاهد ) * يشهد بصحته وهو القرآن * ( منه ) * من الله ، وقيل : البينة : القرآن ، والشاهد : جبرئيل يتلو القرآن ( ٢ ) ، وقيل : أفمن كان على بينة هو النبي ، والشاهد منه : علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) يشهد له وهو منه ، وهو المروي عنهم ( عليهم السلام ) ( ٣ ) * ( ومن قبله ) * من قبل القرآن * ( كتب موسى ) * وهو التوراة يتلوه أيضا في التصديق * ( إماما ) * مؤتما به في الدين قدوة فيه * ( ورحمة ) * ونعمة عظيمة على المنزل عليهم * ( أولئك ) * يعني : من كان على بينة * ( يؤمنون به ) * أي : بالقرآن * ( ومن يكفر به من الأحزاب ) * يعني : أهل مكة ومن وافقهم وضامهم من المتحزبين على رسول الله * ( فالنار موعده فلاتك في مرية ) * أي : شك من القرآن ، أو من الموعد .

*(١٨٠/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله مجاهد على ما حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٧٧ . ( ٢ ) قاله ابن عباس و عبد الرحمن بن زيد والنخعي وعكرمة والضحاك . راجع تفسير ابن عباس : ص ١٨٣ ، وتفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٦١ . ( ٣ ) تفسير القمي : ج ١ ص ٣٢٤ ، وفي التبيان : ج ٥ ص ٤٦٠ : روي ذلك عن أبي جعفر ( عليه السلام ) ، وفي تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٦١ عن علي بن الحسين ، وذكره الطبري في تفسيره : ج ٧ ص ١٧ باسناده عن جابر عن علي ( عليه السلام ) . ( * )

/ صفحة ١٦١ /

*(١٨١/٢)*

---

* ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظلمين ( ١٨ ) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كفرون ( ١٩ ) أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ( ٢٠ ) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ( ٢١ ) لاجرم أنهم في الاخرة هم الاخسرون ( ٢٢ ) ) * * ( يعرضون على ربهم ) * أي : يحبسون ويوقفون موقفا يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا * ( و ) * يشهد عليهم * ( الاشهد ) * من : الملائكة الحفظة والأنبياء بأنهم الكاذبون * ( على ) * الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ، وأنهم أضافوا إليه ما لم ينزله ، ويقولون : * ( ألا لعنة الله على الظلمين الذين

يصدون عن سبيل الله ) * أي : يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله * ( ويبغونها عوجا ) * أي : يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة ، أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد و * ( هم ) * الثانية : فصل أكد به كفرهم بالآخرة . * ( أولئك لم يكونوا معجزين ) * أي : فائتين الله * ( في ) * الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم * ( وما كان لهم ) * من يتولاهم فينصرهم ويمنعهم منه ، ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم ، وهو من كلام * ( الاشهد ) * ، وقرئ : " يضعف " ( ١ ) ، * ( ما كانوا يستطيعون السمع ) * المعنى : أنهم لفرط تصاممهم عن استماع الحق كأنهم لا يستطيعون السمع . * ( خسروا أنفسهم ) * بأن اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله * ( وضل عنهم ) * أي : وضاع عنهم مااشتروه ،

* ( هامش ) * ( ١ ) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب . راجع تفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٧٨ . ( * )

/ صفحة ١٦٢ /

*(١٨٢/٢)*

---

وهو : * ( ما كانوا يفترون ) * من شفاعة آلهتهم لهم . * ( لاجرم أنهم في الاخرة هم الاخسرون ) * أي : لا ينفعهم ذلك ، كسب ذلك الفعل لهم الخسران ، وقيل : معناه : حقا لهم أنهم أخسر الناس في الآخرة ( ١ ) . * ( إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون ( ٢٣ ) مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ( ٢٤ ) ) * * ( أخبتوا إلى ربهم ) * اطمأنوا إليه وخشعوا له وانقطعوا إلى عبادته وذكره ، من الخبت وهو الأرض المستوية . شبه فريق الكفار بـ * ( الاعمى والاصم ) * وفريق المؤمنين بـ * ( البصير والسميع ) * وهو من اللف والطباق ، وفيه معنيان : أن يشبه الفريق بشيئين ، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب في قوله : كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي ( ٢ ) وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم ، وبالذي جمع بين السمع والبصر ، على أن يكون الواو في * ( والاصم ) * وفي * ( والسميع ) * لعطف الصفة على الصفة * ( هل يستويان ) * الفريقان * ( مثلا ) * تشبيها ؟ * ( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين ( ٢٥ ) أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ( ٢٦ ) فقال الملا الذين كفروا من قومه مانربك إلا بشرا مثلنا وما نربك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كذبين ( ٢٧ ) قال يقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتينى رحمة من عنده فعميت

* ( هامش ) * ( ١ ) ذكره الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٤٥ . ( ٢ ) البيت من قصيدة

يصف فيها مغامراته وصيده العقبان . راجع ديوان امرئ القيس : ص ١٤٥ . ( * )
/ صفحة ١٦٣ /

(١٨٣/٢)

---

عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كرهون ( ٢٨ ) ) * قرئ : * ( إنى ) * بالفتح ( ١ ) والكسر ، فالفتح على * ( أرسلنا ) * هـ بـ " أني لكم نذير " ، والمعنى : * ( أرسلنا نوحا ) * ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله : * ( إنى لكم نذير ) * بالكسر ، فلما اتصل به الجار فتح كما فتح " كأن " وأصله الكسر في قولك : إن زيدا كالأسد ، وأما كسر " إن " فعلى إرادة القول . * ( أن لا تعبدوا ) * بدل من * ( إنى لكم ) * أي : أرسلنا بأن لا تعبدوا * ( إلا الله ) * أو تكون * ( أن ) * مفسرة متعلقة بـ * ( أرسلنا ) * أو بـ * ( نذير ) * ، * ( أليم ) * مجاز في صفة * ( يوم ) * أو * ( عذاب ) * ، لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ، ونظيره قولهم : نهاره صائم وليله قائم . * ( الملا ) * الأشراف ، لأنهم يملؤون القلوب هيبة * ( مانريك إلا بشرا مثلنا ) * ظنوا أن الرسول ينبغي أن يكون من غير جنس المرسل إليه ، والـ " أراذل " : جمع الأرذل ، و * ( بادي الرأى ) * قرئ بالهمزة ( ٢ ) وغير الهمزة ، بمعنى : اتبعوك أول الرأي ، أو ظاهر الرأي ، وإنما انتصب على الظرف ، وأصله : وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف ، وأريد : أن اتباعهم لك إنما كان بديهة من غير روية ونظر ، وإنما استرذلوهم لفقرهم وقلة ذات يدهم * ( وما نرى لكم علينا من فضل ) * أي : زيادة شرف تؤهلكم للنبوة . * ( أرءيتم ) * أخبروني * ( إن كنت على ) * برهان * ( من ربى ) * وشاهد يشهد بصحة نبوتي * ( وءاتينى رحمة من عنده ) * بإيتاء البينة ، على أن البينة هي الرحمة
* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٢ . ( ٢ ) وهي قراءة أبي عمرو ونصير . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٢ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٥٧ . ( * )
/ صفحة ١٦٤ /

(١٨٤/٢)

---

بعينها ، ويجوز أن يريد بالبينة : المعجزة وبالرحمة : النبوة ( ١ ) " فعميت عليكم " ( ٢ ) أي : خفيت بعد البينة ( ٣ ) ، وقرئ : * ( فعميت ) * أي : أخفيت عليكم * ( أنلزمكموها وأنتم لها

كرهون ) * أنكرهكم على قبولها ، ونجبركم على الاهتداء بها * ( وأنتم ) * تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين ؟ * ( ويقوم لاأسلكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملقوا ربهم ولكني أربكم قوما تجهلون ( ٢٩ ) ويقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ( ٣٠ ) ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إنى إذا لمن الظلمين ( ٣١ ) ) * الضمير في * ( عليه ) * يرجع إلى قوله : * ( إنى لكم نذير مبين ) * ، * ( إنهم ملقوا ربهم ) * معناه : إنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم ، أو يلاقونه فيجازيهم على ما يعتقدونه من الإخلاص في الإيمان كما ظهر لي منهم ، أو على ما تقرفونهم ( ٤ ) به من خلاف ذلك * ( تجهلون ) * الحق وأهله ، أو تسفهون على المؤمنين ، أو تجهلون لقاء ربكم . * ( من ينصرني من الله ) * من يمنعني من انتقام الله وعذابه * ( إن طردتهم ) * ؟ وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا ، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء . * ( ولا أقول لكم عندي خزائن الله ) * فأدعي فضلا عليكم في الدنيا حتى * ( هامش ) * ( ١ ) حكاه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٨٩ . ( ٢ و ٣ ) الظاهر أن القراءة المعتمدة لدى المصنف هنا على التخفيف . ( ٤ ) في بعض النسخ : تعرفونهم . ( * ) / صفحة ١٦٥ /



---

تجحدوا فضلي بقولي : * ( وما نرى لكم علينا من فضل ) * ، * ( ولا ) * أدعي أني * ( أعلم الغيب ) * حتى أطلع على نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم * ( ولا أقول إنى ملك ) * حتى تقولوا لي : ما أنت إلا بشر مثلنا ، ولا أحكم على من تسترذلونه لفقرهم : أن الله * ( لن يؤتيهم . . . خيرا ) * كما تقولون ، لهوانهم عليه * ( إنى إذا لمن الظلمين ) * إن قلت شيئا من ذلك ، والازدراء : افتعال من زرى عليه : إذا عابه . * ( قالوا ينوح قد جدلتنا فأكثرت جدا لنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصدقين ( ٣٢ ) قال إنما يأتيكم به الله إن شآء وما أنتم بمعجزين ( ٣٣ ) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ( ٣٤ ) أم يقولون افتربه قل إن افتريته فعلى إجرامي وأنا برئ مما تجرمون ( ٣٥ ) ) * أي : حاججتنا وزدت في مجادلتنا على قدر الكفاية * ( فأتنا بما تعدنا ) * من العذاب فإنا لا نؤمن بك . * ( قال إنما يأتيكم به الله ) * وليس الإتيان به إلي * ( إن شآء ) * تعجيله لكم . وقوله : * ( إن كان الله يريد أن يغويكم ) * شرط جزاؤه مادل عليه قوله : * ( لا ينفعكم نصحي ) * ، وهذا الدال في حكم مادل عليه ، فوصل بشرط كما يوصل الجزاء بالشرط في قولهم : إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني . وأما المعني في قوله : * ( إن كان الله يريد أن يغويكم ) * فهو أن الكافر إذا علم الله منه الإصرار على الكفر

فخلاه وشأنه ولم يقسره على الإيمان سمي ذلك إغواء وإضلالا ، كما أنه إذا عرف منه الإرعواء ( ١ ) إلى الإيمان فلطف به سمي إرشادا وهداية .

* ( هامش ) * ( ١ ) الإرعواء : الكف عن الأمر ، وقد ارعوى عن القبيح أي : ارتدع ، والاسم : الرعيا والرعوى . ( مجمع البحرين : مادة رعا ) . ( * )

/ صفحة ١٦٦ /

(١٨٦/٢)

---

* ( فعلى إجرامي ) * معناه : إن صح وثبت أني * ( افتريته ) * فعلي عقوبة إجرامي أي : افترائي ، وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني * ( وأنا برى ء ) * أي : ولم يثبت ذلك وأنا برئ منه ، ومعنى * ( مما تجرمون ) * : من إجرامكم في إسناد الافتراء علي ، فلا وجه لإعراضكم عني .

* ( وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ( ٣٦ ) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولاتخطبنى في الذين ظلموا إنهم مغرقون ( ٣٧ ) ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ( ٣٨ ) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ( ٣٩ ) ) * أقنطه الله سبحانه من إيمانهم * ( إلا من قد ءامن ) * إلا من وجد منه ماكان يتوقع من الإيمان ، و * ( قد ) * للتوقع * ( فلا تبتئس ) * أي : فلا تحزن حزن بائس مسكين ، قال : ما يقسم الله فاقبل غير مبتئس * منه واقعد كريما ناعم البال ( ١ ) أي : فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ، فقد حان وقت الانتقام لك منهم وإنجائك . * ( بأعيننا ) * في موضع الحال ، أي : * ( اصنع الفلك ) * ملتبسا * ( بأعيننا ) * ، كأن لله سبحانه معه أعينا تكلؤه ( ٢ ) أن يزيغ في صنعته عن الصواب * ( ووحينا ) * وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع ؟ وعن ابن عباس : لم يعلم كيف صنعة الفلك ،

* ( هامش ) * ( ١ ) وقائله حسان بن ثابت ، ومعناه واضح . راجع ديوان حسان : ص ١٢١ . ( ٢ ) كلأه : أي حرسه . ( القاموس المحيط : مادة كلأ ) . ( * )

/ صفحة ١٦٧ /

(١٨٧/٢)

---

فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ( ١ ) ( ٢ ) . * ( ولاتخطبنى في الذين ظلموا ) * ولاتدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك * ( إنهم ) * محكوم عليهم بالإغراق ،

وقد وجب ذلك فلا سبيل إلى كفه . * ( ويصنع الفلك ) * حكاية حال ماضية * ( سخروا منه ) * ومن عمله السفينة ، وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء ، فكانوا يتضاحكون ويقولون : يا نوح ، صرت نجارا بعدما كنت نبيا ! * ( فإنا نسخر منكم ) * في المستقبل * ( كما تسخرون ) * منا الساعة إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة . * ( من يأتيه ) * في محل النصب بـ * ( تعلمون ) * ، أي : * ( فسوف تعلمون ) * الذي * ( يأتيه عذاب يخزيه ) * وهو عذاب الدنيا * ( ويحل عليه ) * حلول الدين والحق اللازم * ( عذاب مقيم ) * وهو عذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون * ( من ) * استفهامية ويكون تعليقا . * ( حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل ( ٤٠ ) وقال اركبوا فيها بسم الله مجربها ومرسهآ إن ربى لغفور رحيم ( ٤١ ) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يبنى اركب معنا ولا تكن مع الكفرين ( ٤٢ ) قال ساوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ( ٤٣ ) ) * * ( حتى ) * هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام ، دخلت على الجملة من : الشرط

* ( هامش ) * ( ١ ) جؤجؤ الطائر والسفينة : صدرهما ، والجمع الجآجئ . ( الصحاح : مادة جأجأ ) . ( ٢ ) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٣٩٢ . ( * )



---

والجزاء * ( وفار التنور ) * بالماء ، أي : ارتفع الماء بشدة اندفاع ، وهو تنور الخابزة ، وكان في ناحية الكوفة ، وقيل : التنور : وجه الأرض ( ١ ) ، * ( وأهلك ) * عطف على * ( اثنين ) * ، وكذلك * ( ومن ءامن ) * ، يعني : ف * ( احمل ) * أهلك والمؤمنين من غيرهم ، و * ( اثنين ) * مفعول * ( احمل ) * ، والمراد بـ * ( كل زوجين ) * : الشياع ، وقرئ : * ( من كل ) * بالتنوين ( ٢ ) وحذف المضاف إليه من * ( كل ) * ، والمراد : من كل شئ زوجين ، فعلى هذا يكون انتصاب الـ * ( اثنين ) * على أنه صفة لـ * ( زوجين ) * ، واستثني من أهله * ( من سبق عليه القول ) * أنه من أهل النار للعلم بأنه يختار الكفر ، * ( وما ءامن معه إلا قليل ) * قيل : كانوا ثمانية ( ٣ ) ، وقيل : كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة ( ٤ ) . * ( وقال ) * نوح لمن معه : * ( اركبوا فيها ) * ، وقرئ : * ( مجربها ) * بضم الميم ( ٥ ) وفتحه ، واتفقوا على ضم الميم في * ( مرسيهآ ) * إلا ماروي عن ابن محيصن : أنه فتح الميم فيهما ( ٦ ) ، من جرى ورسا : إما مصدرين ، أو وقتين ، أو مكانين ، والمعنى : اركبوا فيها مسمين الله ، أو قائلين : * ( بسم الله

) * وقت إجرائها ووقت إرسائها ، أو وقت جريها ووقت رسوها ، على القراءة الأخرى ، ويجوز أن يكونا مصدرين حذف منهما الوقت المضاف ، كقولهم : خفوق النجم ومقدم الحاج ، ويجوز أن يكونا



---

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله ابن عباس وعكرمة والزهري ، راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٧٢ ، وتفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٨٣ . ( ٢ ) الظاهر من العبارة أن المصنف اعتمد هنا على قراءة الاضافة وحذف التنوين تبعا للزمخشري . ( ٣ ) وهو قول قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي . راجع تفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٨٤ . ( ٤ ) قاله مقاتل على ما حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٨٤ . ( ٥ ) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وابن عامر . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٣ . ( ٦ ) حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ١ ص ٣٨٥ . ( * )

/ صفحة ١٦٩ /

مكاني الإجراء والإرساء ، وانتصابهما بما في * ( بسم الله ) * من معنى الفعل ، أو بما فيه من إرادة القول ، وروي : أن نوحا كان يقول إذا أراد أن تجري : " بسم الله " وإذا أراد أن ترسو : " بسم الله " ( ١ ) ، ويجوز أن يراد : بالله إجراؤها وإرساؤها ، أي : بأمره ومشيئته ، والاسم مقحم ( ٢ ) . * ( وهي تجري بهم ) * معناه : أن السفينة تجري بنوح ومن معه على الماء * ( في ) * أمواج * ( كالجبال ) * في عظمها وارتفاعها . وقرأ علي ( عليه السلام ) : " ونادى نوح ابنه " بفتح الهاء ( ٣ ) ، اكتفي بالفتحة عن الألف ، وروي أيضا : " ابنها " ( ٤ ) والضمير لامرأته * ( وكان في معزل ) * وهو مفعل من عزله عنه : إذا نحاه وأبعده ، يعني : وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين ، وقيل : كان في معزل عن دين أبيه ( ٥ ) ، * ( يبنى ) * قرئ بفتح الياء وكسرها ( ٦ ) ، فالكسر للاقتصار عليه من ياء الإضافة ، والفتح للاقتصار عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك : يابنيا ، أو سقطت الياء والألف لالتقاء



---

* ( هامش ) * ( ١ ) رواها الطبري في تفسيره : ج ٧ ص ٤٥ عن الضحاك . ( ٢ ) قحمه تقحيما : إذا أدخله في الأمر بلا روية . والمراد هنا : أن لفظ الاسم في قوله تعالى : * ( بسم الله مجريها ) * ادخل بين الجار والمجرور بقصد المبالغة في عظمة الله سبحانه وقدرته . ( ٣ ) رويت

هذه القراءة عن علي ( عليه السلام ) وعلي بن الحسين وابنه الباقر وابنه الصادق ( عليهم السلام ) وعروة ابن الزبير وهشام بن عروة . قال القرطبي : وزعم أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد " ابنها " فحذف الألف كما تقول : " ابنه " فتحذف الواو ، وقال النحاس : وهذا الذي قاله أبو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه ، لأن الألف خفيفة فلا يجوز حذفها ، والواو الثقيلة يجوز حذفها . راجع تفسير القرطبي : ج ٩ ص ٣٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٢٢٦ . ( ٤ ) ورويت أيضا عن علي ( عليه السلام ) وعروة . راجع شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٦٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ج ٥ ص ٢٢٦ . ( ٥ ) ذكره الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٥٤ . ( ٦ ) وبالكسر قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٤ . ( * )



---

الساكنين ، لأن الراء بعدهما ساكنة . * ( لاعاصم اليوم من ) * الطوفان * ( إلا من رحم ) * الله ، أي : إلا مكان من رحم الله من المؤمنين ، يعني : السفينة ، أو : لاعاصم اليوم إلا الراحم وهو الله تعالى ، وقيل : لاعاصم بمعنى : لا ذاعصمة إلا من رحمه الله ، كقولهم : ماء دافق ، وعيشة راضية ( ١ ) ، وقيل : * ( إلا من رحم ) * استثناء منقطع ، كأنه قيل : ولكن من رحمه الله فهو معصوم ( ٢ ) . * ( وقيل يأرض ابلعى ماءك ويسمآء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظلمين ( ٤٤ ) ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحكمين ( ٤٥ ) قال ينوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صلح فلا تسلن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجهلين ( ٤٦ ) قال رب إنى أعوذ بك أن أسلك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمني أكن من الخسرين ( ٤٧ ) قيل ينوح اهبط بسلم منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ( ٤٨ ) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العقبة للمتقين ( ٤٩ ) ) * نداء الـ " أرض " والـ " سماء " بما ينادي به العقلاء مما يدل على كمال العزة والاقتدار ، وأن هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه فيها ما يشاء ، غير ممتنعة عليه ، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا جلالته وعظمته ، فهم ينقادون له ويمتثلون

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٥٤ . ( ٢ ) وهو قول الزجاج كما حكاه القرطبي في تفسيره : ج ٩ ص ٣٩ . ( * )

أمره على الفور من غير ريث ، والبلع : عبارة عن النشف ، والإقلاع : الإمساك * ( وغيض الماء ) * من غاضه : إذا نقصه * ( وقضى الامر ) * وأنجز الموعود في إهلاك القوم * ( واستوت ) * أي : استقرت السفينة * ( على الجودي ) * وهو جبل بالموصل * ( وقيل بعدا ) * يقال : بعد بعدا وبعدا : إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ، ولذلك اختص بدعاء السوء ، ومجئ إخباره عز اسمه على ( ١ ) الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والعظمة ، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قاهر قادر لا يشارك في أفعاله ، فلا يذهب الوهم إلى أن غيره يقول : * ( يأرض . . . ويسمآء ) * وأن أحدا سواه يقضي ذلك الأمر . * ( إن ابني من أهلى ) * أي : من بعض أهلي ، لأنه كان ابنه من صلبه ، أو كان ربيبا له فهو بعض أهله * ( وإن وعدك الحق ) * لاشك في إنجازه ، وقد وعدتني أن تنجي أهلي * ( وأنت أحكم الحكمين ) * أي : أعدلهم وأعلمهم . * ( إنه ليس من أهلك ) * الذين وعدتك بنجاتهم معك ، لأنه ليس على دينك * ( إنه عمل غير صلح ) * تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب ، وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه ، كقول الخنساء : فإنما هي إقبال وإدبار ( ٢ ) وقرئ : " إنه عمل غير صالح " ( ٣ ) ، وقرئ : * ( فلا تسلن ) * بكسر النون بالياء ( ٤ ) * ( هامش ) * ( ١ ) في بعض النسخ : عن . ( ٢ ) صدره : ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت . تقدم شرح البيت في ج ١ ص ١٧٧ و ٢٠٥ فراجع . ( ٣ ) وهي قراءة الكسائي ويعقوب . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٩٤ . ( ٤ ) قرأه أبو جعفر القارئ ويعقوب واحمد بن صالح عن ورش وأبو عمرو . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٥٩ ، وتفسير البغوي : ج ٢ ص ٣٨٦ . ( * )

/ صفحة ١٧٢ /



وبغير ياء ، وقرئ : " فلا تسلن " مشددة النون مفتوحة ( ١ ) ، و " لا تسلني " بالتشديد وإثبات الياء ( ٢ ) وغير ياء ( ٣ ) . والمعنى : فلا تلتمس مني التماسا لاتعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، وذكر السؤال دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق ، وجعل سبحانه سؤال مالا يعرف كنهه جهلا ، ثم وعظ أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من فعل * ( الجهلين ) * . * ( أن أسلك ) * أن أطلب منك في المستقبل * ( ما ) * لاعلم * ( لى ) * بصحته ، تأدبا بأدبك

واتعاظا بموعظتك * ( وإلا تغفر لى وترحمني أكن من الخسرين ) * قاله على سبيل الخضوع لله عز اسمه والتذلل له والاستكانة . * ( بسلم منا ) * أي : مسلما محفوظا من جهتنا ، أو مسلما عليك مكرما * ( وبركت عليك ) * ومباركا عليك ، والبركات : الخيرات النامية * ( وعلى أمم ممن معك ) * : " من " للبيان ، يريد : الأمم الذين كانوا معه في السفينة ، لأنهم كانوا جماعات ، ولأن الأمم تشعبت منهم ، ويجوز أن تكون " من " لابتداء الغاية ، أي : على أمم ناشئة ممن معك ، وهي الأمم إلى آخر الدهر ، وهذا أوجه ، و * ( أمم ) * رفع بالابتداء ، و * ( سنمتعهم ) * صفته ، والخبر محذوف تقديره : وممن معك أمم سنمتعهم ، والمعنى : أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك ، وممن معك أمم ممتعون بالدنيا صائرون إلى النار ، وكان نوح أبا الأنبياء ، والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة . * ( تلك ) * إشارة إلى قصة نوح ، ومحلها رفع بالابتداء ، والجمل بعدها أخبار ،

* ( هامش ) * ( ١ ) قرأه ابن كثير وابن عامر . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٥ . ( ٢ ) وهي قراءة ورش عن نافع . راجع التبيان : ج ٥ ص ٤٩٤ . ( ٣ ) وهي قراءة نافع وابن عامر . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٥ . ( * )



---

أي : تلك القصة بعض * ( أنباء الغيب ) * موحاة * ( إليك ) * مجهولة عندك وعند * ( قومك من قبل هذا ) * أي : من قبل إيحائي إليك ، أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي ، أو من قبل هذا الوقت * ( فاصبر ) * على تبليغ الرسالة وعلى أذي قومك كما صبر نوح * ( إن العقبة ) * في الفوز والنصر والغلبة * ( للمتقين ) * . * ( وإلى عاد أخاهم هودا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون ( ٥٠ ) يقوم لاأسلكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ( ٥١ ) ويقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ( ٥٢ ) قالوا يهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ( ٥٣ ) إن نقول إلا اعتريك بعض ءالهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون ( ٥٤ ) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ( ٥٥ ) إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها إن ربى على صرا ط مستقيم ( ٥٦ ) فإن تولوا فقد أبلغتكم مآأرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيا إن ربى على كل شئ حفيظ ( ٥٧ ) ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجينهم من عذاب غليظ ( ٥٨ ) وتلك عاد جحدوا بايت ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ( ٥٩ ) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم

القيمة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ( ٦٠ ) * * ( أخاهم ) * في النسب دون الدين ، أي : واحدا منهم ، عطف على * ( أرسلنا نوحا ) * ، و * ( هودا ) * عطف بيان * ( إن أنتم إلا مفترون ) * على الله كذبا باتخاذكم



---

الأوثان له شركاء . * ( أفلا تعقلون ) * إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها * ( أجرا . . . إلا ) * من الله ، ولا شئ أنفي للتهمة من حسم المطامع . ال " مدرار " : الكثير الدرور ، كالمغزار ، رغبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة ، لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين ، وكانوا يدلون ( ١ ) بالقوة والبطش والنجدة . وعن الحسن بن علي ( عليهما السلام ) أنه وفد على معاوية ، فلما خرج تبعه بعض حجابه وقال : إني رجل ذو مال ولا يولد لي ، فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا ، فقال : " عليك بالاستغفار " ، فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في اليوم سبعمائة مرة ، فولد له عشرة بنين ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : هلا سألته مم قال ذلك ؟ فوفد وفدة أخرى ، فسأله الرجل ، فقال : " ألم تسمع قول الله عزوجل في قصة ( ٢ ) هود : * ( ويزدكم قوة إلى قوتكم ) * وفي قصة نوح : * ( ويمددكم بأموا ل وبنين ) * ( ٣ ) " ( ٤ ) . * ( ولا تتولوا ) * ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه * ( مجرمين ) * مصرين على أجرامكم وآثامكم . * ( ما جئتنا ببينة ) * كذب منهم وجحود ، كما قالت قريش لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : * ( لولا أنزل عليه ءاية من ربه ) * ( ٥ ) مع كثرة آياته ومعجزاته ، * ( عن قولك ) * حال من الضمير في * ( تاركى ءالهتنا ) * بمعنى : وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك . * ( اعتربك ) * مفعول * ( نقول ) * و * ( إلا ) * لغو ، والمعنى : ما نقول إلا قولنا : * ( اعتربك * ( هامش ) * ( ١ ) يدل بفلان : أي يثق به . ( الصحاح : مادة دلل ) . ( ٢ ) في نسخة : سورة . ( ٣ ) نوح : ١٢ . ( ٤ ) رواه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٤٠٢ . ( ٥ ) يونس : ٢٠ . ( * )



---

بعض ءالهتنا بسوء ) * أي : خبلك ومسك بجنون ، لسبك إياها وعداوتك لها ، مكافاة منها لك ، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين * ( قال ) * هود : * ( إنى أشهد الله ) * واجههم بهذا الكلام لثقته بربه واعتصامه به ، كما قال نوح لقومه : * ( ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ) * ( ١ ) ، * ( مما تشركون من دونه ) * من إشراككم آلهة من دونه ، أو مما تشركونه من آلهة من دونه ، أي : أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء * ( فكيدوني جميعا ) * أنتم وآلهتكم من غير إنظار ، فإني لا أبالي بكم ولا بكيدكم . ولما ذكر توكله على الله ووثوقه به وبكلاءته ( ٢ ) وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ، وكون كل * ( دابة ) * تحت ملكته ( ٣ ) وقهره ، والأخذ * ( بناصيتها ) * : تمثيل لذلك * ( إن ربى على صرا ط مستقيم ) * أي : على طريق الحق والعدل لا يفوته ظالم . * ( فإن تولوا ) * أي : تتولوا ، لم أعاتب على التفريط في الإبلاغ * ( فقد أبلغتكم مآأرسلت به إليكم ) * فأبيتم إلا تكذيب الرسالة * ( ويستخلف ربى ) * كلام مستأنف ، يريد : ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم * ( ولا تضرونه ) * بتوليكم * ( شيا ) * من ضرر قط ، وإنما تضرون أنفسكم * ( إن ربى على كل شئ حفيظ ) * أي : رقيب عليه مهيمن ، فما تخفي عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم . * ( ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا ) * حين أهلكنا عدوهم * ( برحمة منا ونجينهم من عذاب غليظ ) * وهو السموم ( ٤ ) التي كانت تدخل في أنوفهم

* ( هامش ) * ( ١ ) يونس : ٧١ . ( ٢ ) في بعض النسخ : بكلماته . وكلأه الله كلاءة : أي حفظه وحرسه . ( الصحاح : مادة كلأ ) . ( ٣ ) في بعض النسخ : مملكته . ( ٤ ) السموم : الريح الحارة . ( لسان العرب : مادة سمم ) . ( * )



---

وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ، وقيل : أراد بالتنجية الثانية إنجاءهم من عذاب الآخرة ( ١ ) . * ( وتلك عاد ) * إشارة إلى آثارهم وقبورهم ، ثم استأنف وصفهم فقال : * ( جحدوا بايت ربهم وعصوا رسله ) * لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله * ( كل جبار عنيد ) * يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل . * ( وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ) * جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله ، وتكرير * ( ألا ) * مع الشهادة بكفرهم والدعاء عليهم تفظيع لأمرهم ، وبعث على الاعتبار بهم ، والحذر من مثل حالهم . * ( وإلى ثمود أخاهم صلحا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب ( ٦١ ) قالوا يصلح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهينآ أن نعبد ما

يعبد آآباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ( ٦٢ ) قال يقوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربى وءاتينى منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ( ٦٣ ) ويقوم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ( ٦٤ ) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ( ٦٥ ) فلما جاء أمرنا نجينا صلحا والذين ءامنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز ( ٦٦ ) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديرهم جثمين ( ٦٧ ) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ( ٦٨ ) *

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٥٩ . ( * )

/ صفحة ١٧٧ /

(١٩٨/٢)

---

* ( هو أنشأكم من الارض ) * معناه : ماأنشأكم من الأرض إلا هو * ( و ) * لا * ( استعمركم فيها ) * غيره ، وإنشاؤهم منها هو : خلق آدم من تراب ، واستعمارهم فيها هو : أمرهم بعمارتها ، والعمارة متنوعة إلى : واجب ومندوب ومباح ومكروه ، وقيل : * ( استعمركم ) * من العمر ، نحو : استبقاكم ، من البقاء ( ١ ) ، وقيل : هو من العمرى ( ٢ ) ، فيكون * ( استعمركم ) * بمعنى : أعمركم ( ٣ ) ، أي : أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم إذا انقضت أعماركم ، وبمعنى : جعلكم معمرين دياركم فيها ، لأن الرجل إذا ورث داره غيره من بعده فكأنما أعمره إياها ، لأنه يسكنها عمره ، ثم يتركها لغيره * ( إن ربى قريب ) * داني الرحمة * ( مجيب ) * لمن دعاه . * ( كنت فينا ) * فيما بيننا * ( مرجوا ) * نرجو منك الخير ، لما كانت تلوح فيك من مخائله ، فكنا نسترشدك في تدابيرنا ، ونشاورك في أمورنا ، فالآن انقطع رجاؤنا عنك ، وعلمنا أن لاخير فيك * ( يعبد آآباؤنا ) * حكاية حال ماضية * ( مريب ) * من أرابه : إذا أوقعه في الريبة ، أو من أراب الرجل : إذا كان ذا ريبة . * ( وءاتينى منه رحمة ) * وهي النبوة * ( فما تزيدونني ) * بما تقولون * ( غير تخسير ) * غير أن أخسركم ، أي : أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم : إنكم خاسرون . * ( ءاية ) * نصب على الحال ، والعامل فيها معنى الإشارة ، و * ( لكم ) * حال أيضا من * ( ءاية ) * متقدمة عليها ، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها ، فلما تقدمت انتصبت على الحال * ( فذروها تأكل ) * أي : فاتركوها آكلة * ( في أرض الله ) * ولا تصيبوها * ( بسوء فيأخذكم ) * إن فعلتم ذلك * ( عذاب قريب ) * عاجل لا يستأخر .

(١٩٩/٢)

* ( هامش ) * ( ١ ) قاله الضحاك . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٧٩ . ( ٢ ) العمرى ، ما يجعل لك طول عمرك ، وعمرته إياه وأعمرته : جعلته له عمره أو عمرى . ( القاموس المحيط : مادة عمر ) . ( ٣ ) قاله مجاهد . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٧٩ . ( * )

/ صفحة ١٧٨ /

* ( فعقروها فقال ) * صالح : * ( تمتعوا ) * استمتعوا بالعيش * ( في داركم ) * في بلدكم ، ويسمى البلد الدار ، لأنه يدار فيه بالتصرف ، يقال : ديار بكر ، لبلادهم * ( ثلثة أيام ) * قيل : عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت ( ١ ) ، * ( ذالك وعد غير مكذوب ) * فيه ، فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به ، نحو قوله : ويوم شهدناه سليما وعامرا ( ٢ ) أو * ( مكذوب ) * مصدر كالمعقول ( ٣ ) والمجلود ، أي : غير كذب . * ( ومن خزى يومئذ ) * قرئ مفتوح الميم ( ٤ ) ، لأنه مضاف إلى " إذ " وهو غير متمكن ، كقوله : على حين عاتبت المشيب على الصبا ( ٥ ) وقرئ مكسور الميم ، لأنه اسم معرب فانجر بالإضافة ، والمعنى : و * ( نجينا ) * هم من خزي ذلك اليوم ومهانته وذلته وفضيحته ، كما قال : * ( ونجينهم من عذاب غليظ ) * ( ٦ ) ، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وبأسه . وقرئ : * ( إن ثمودا ) * و * ( لثمود ) * بمنع الصرف وبالتنوين ( ٧ ) في جميع القرآن ،



* ( هامش ) * ( ١ ) حكاه الزجاج في معاني القرآن : ج ٢ ص ٣٥١ . ( ٢ ) وعجزه : قليل سوى الطعن النهال نوافله . والبيت منسوب لرجل من عامر ، يفخر بشجاعته وكثرة غنائمه . قال البغدادي : وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي جهل قائلوها . راجع كتاب سيبويه : ج ١ ص ١٧٨ ، وخزانة الأدب للبغدادي : ج ٧ ص ١٨١ وج ٨ ص ٢٠٢ . ( ٣ ) في نسخة : المنقول . ( ٤ ) قرأه الكسائي والأعشى ورجال نافع سوى إسماعيل . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٦ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون : ج ٢ ص ٤٥٩ . ( ٥ ) وعجزه : وقلت : ألما أصح والشيب وازع . والبيت للنابغة الذبياني ، يذكر فيه بكاءه على الديار في حين مشيبه ، ومعاتبته لنفسه على طربه وصباه . انظر ديوان النابغة : ص ٨٠ . ( ٦ ) الآية : ٥٨ . ( ٧ ) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر " ألا إن ثمودا " بالتنوين ، وقرأ الكسائي وحده = ( * )

/ صفحة ١٧٩ /

فالصرف لأنه اسم الحي أو الأب الأكبر ، ومنع الصرف للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة . * ( ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلما قال سلم فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ( ٦٩ ) فلما رءآ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنآ أرسلنا إلى قوم لوط ( ٧٠ ) وامرأته قائمة فضحكت فبشرنها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ( ٧١ ) قالت يويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشئ عجيب ( ٧٢ ) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ( ٧٣ ) فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجدلنا في قوم لوط ( ٧٤ ) إن إبراهيم لحليم أوا ه منيب ( ٧٥ ) يإبرا هيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود ( ٧٦ ) ) * * ( رسلنا ) * يعني : الملائكة ، وكانوا ثلاثة : جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، الصادق ( عليه السلام ) : " كانوا أربعة ورابعهم ملك آخر " ( ١ ) ، وقيل : كانوا تسعة ( ٢ ) ، وقيل : أحد عشر ( ٣ ) ، وكانوا على صور الغلمان * ( بالبشرى ) * هي البشارة بإسحاق . وعن الباقر ( عليه السلام ) : " إن هذه البشارة كانت بإسماعيل من هاجر " ( ٤ ) ، * ( قالوا سلما ) * أي : سلمنا عليك سلاما ، أو أصبت سلاما أي : سلامة * ( قال ) * إبراهيم * ( سلم ) * أي : أمركم سلام ، وقرئ : " سلم " ( ٥ ) وهو بمعنى : سلام ، مثل حل وحلال * ( هامش ) * = " ألا بعدا لثمود " بالخفض والتنوين . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٧ . ( ١ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٥ ح ٤٦ و ٥٣ . ( ٢ ) قاله الضحاك على ما حكاه عنه البغوي في تفسيره : ج ٢ ص ٣٩٢ .

( ٣ ) وهو قول السدي . راجع الكشاف : ج ٢ ص ٤٠٩ . ( ٤ ) تفسير العياشي : ج ٢ ص ١٥٢ ح ٤٤ . ( ٥ ) قرأه حمزة والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٣٣٧ . )

/ صفحة ١٨٠ /



وحرم وحرام ، قال الشاعر : مررنا فقلنا : إيه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ( ١ ) * ( فما لبث أن جاء بعجل ) * أي : فما لبث في المجئ بل عجل فيه ، أو فما لبث مجيئه ، والحنيذ : المشوي بالحجارة المحماة في أخدود من الأرض ، وقيل : هو المشوي يقطر دسمه ( ٢ ) ، ويدل عليه قوله : * ( بعجل سمين ) * ( ٣ ) . * ( فلما رءآ ) * إبراهيم أيدي الملائكة * ( لا

تصل ) * إلى العجل الحنيذ ، أنكرهم ، يقال : نكره وأنكره واستنكره بمعنى ، وإنما أنكرهم ، لأنه خاف أن يكونوا نزلوا لأمر أنكره الله من قومه ، ولذلك * ( قالوا لا تخف إنآ أرسلنا إلى قوم لوط ) * ، * ( وأوجس ) * أي : أضمر * ( منهم ) * خوفا . * ( وامرأته قائمة ) * وراء الستر تسمع تحاورهم ، وقيل : كانت قائمة تخدمهم ( ٤ ) * ( فضحكت ) * سرورا بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث ، وقيل : * ( فضحكت ) * حاضت ( ٥ ) ( ٦ ) ، وهي سارة ، وكانت ابنة عم إبراهيم * ( فبشرنها بإسحق ) * بنبي بين نبيين ، والوراء : ولد الولد ، وقرئ : * ( يعقوب ) * بالنصب ، كأنه قال : ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، على طريقة قوله : مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب إلا بشؤم غرابها ( ٧ )

*(٢٠٣/٢)*

---

* ( هامش ) * ( ١ ) البيت لذي الرمة ، ومعناه : قلنا : سلمي واستأنسي فأمرنا سلم ، أي : نحن سالمون مستأنسون ومؤانسون . انظر ديوان ذي الرمة : ص ٦٢٥ وفيه : " مررن " . ( ٢ ) قاله السدي وشمر بن عطية وسفيان ووهب بن منبه . راجع تفسير الطبري : ج ٧ ص ٦٩ . ( ٣ ) الذاريات : ٢٦ . ( ٤ ) قاله مجاهد على ما حكاه الماوردي في تفسيره : ج ٢ ص ٤٨٤ . ( ٥ ) قاله مجاهد وعكرمة . راجع تفسير الماوردي : ج ٢ ص ٤٨٤ . ( ٦ ) قال الزجاج : فأما من قال : ضحكت : حاضت ، فليس بشئ . وقال الفراء : فلم نسمعه من ثقة . انظر معاني القرآن للزجاج : ج ٣ ص ٦٢ ، ومعاني القرآن للفراء : ج ٢ ص ٢٢ . ( ٧ ) البيت للأخوص اليربوعي ، فأراد بقوله : " مشائيم " بني دارم بن مالك ، وهو من قصيدة = ( * )
/ صفحة ١٨١ /

*(٢٠٤/٢)*

---

ومن قرأ : " يعقوب " بالرفع ( ١ ) فارتفاعه بالابتداء أو بالظرف . والألف في * ( يويلتى ) * مبدلة من ياء الإضافة ، وكذا في " يا عجبا " و " يا لهفا " ، * ( شيخا ) * نصب على الحال ، والعامل فيه معنى الإشارة ، وكان لها ثمان وسبعون ( ٢ ) سنة ولإبراهيم مائة سنة * ( إن هذا لشئ عجيب ) * أن يولد ولد بين هرمين . * ( رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت ) * أي : إن هذه وأمثالها مما يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوة ، فليس هذا مكان عجب ، وقيل : الرحمة : النبوة ، والبركات : الأسباط من بني إسرائيل ، لأن الأنبياء منهم ( ٣ ) ، * ( حميد ) * فاعل لما يستحق

به الحمد من عباده * ( مجيد ) * كريم كثير الإحسان إليهم ، و * ( أهل البيت ) * نصب على النداء ، أو على المدح . * ( فلما ذهب عن إبراهيم الروع ) * أي : لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم ، فرغ للمجادلة ، وجواب " لما " محذوف تقديره : اجترأ على خطابنا ، أو قال : كيت وكيت ، ثم استأنف * ( يجدلنا في قوم لوط ) * وقيل : إن * ( يجدلنا ) * جواب " لما " ، وإنما جئ به مضارعا لحكاية الحال ( ٤ ) ، وقيل : إن " لما " يرد المضارع إلى معنى الماضي ، كما أن " إن " ترد الماضي إلى معنى الاستقبال ( ٥ ) ،

*(٢٠٥/٢)*

---

* ( هامش ) * = يذم الدارميين وينسبهم الى الشؤم وقلة الصلاح والخير ، ذلك انهم هربوا قاتلا كان بنو يربوع قد أودعوه عندهم بعدما كفلوه ، ثم ادعوا أنه قد هرب وهذه ديته ، فلما سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال : دعوني أتكلم ، فقال هذه الأبيات . انظر خزانة الأدب للبغدادي : ج ٤ ص ١٥٨ وما بعدها وج ٨ ص ٢٩٥ و ٥٥٤ ، وفيهن " ببين " بدل " بشؤم " . ( ١ ) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات : ص ٣٣٨ . ( ٢ ) في نسخة : تسعون . ( ٣ ) حكاه الزمخشري في الكشاف : ج ٢ ص ٤١١ . ( ٤ ) اختاره الزجاج في معاني القرآن : ج ٣ ص ٦٤ . ( ٥ ) قاله النحاس في اعراب القرآن : ج ٢ ص ٢٩٥ . ( * ) / صفحة ١٨٢ /

*(٢٠٦/٢)*

---